

نفوس معقدة رواية

تأليف
دعاء سرحان





تصميم الغلاف: سارة شريف

تنفيذ المتن والغلاف
بإدارة الجمع وفصل الألوان
دار المعارف

يا هداة

يا إلى لنور الذي تاب عنا
ولا يزال يسكتنا وهاضراً علينا ...

يا إلى من تركوا بأرواحنا آتاراً
لا يحكم أمرهم مع تقاسيم الزمير ...

يا إلى الزمير والنور ... جنتي وخالتي

يا إلى الأسرة التي طالسا دعتنا ..

ما أتيت .. وشجعت .. وحضرت

أسرى العزيرة .. وخلق العرف

دعاء سليم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

نضوس معقدة

رواية

هل هناك ما هو أجمل من رؤية نهر النيل وقت الغروب من مكان مرتفع؟ وحبذا لو تمكنت من رؤية أشجار النخيل وهى تتمايل على بعضها البعض وتحتضن كل واحدة الأخرى فى أصيل شمس القاهرة، سيكون ذلك هو المنظر الأكثر روعة فى العالم.

ولأن العمل هو العمل فى كل مكان وزمان مهما اختلفت الثقافات أو ابتعدت المسافات، ولأننا غالبا ما نقضى به وقتنا يعادل ما نمضيه مع الأهل بالمنزل.

عن طريقه يمكن للإنسان أن يتخذ المسار الذى يريد أن يتخذه لنفسه ويكوّن علاقات شخصية قوية على نطاق العمل، وأيضا على الصعيد الإنسانى.

وفى الطابق الحادى عشر بأحد أبراج النيل بالمعادى، كانت الشركة الدولية للصناعات والاستشارات الهندسية، وقد كانت البناية بأكملها تندرج ضمن (مجموعة صناعية ضخمة) تملكها سيدة أعمال من أب مصرى وأم تركية (دولت هانم)، أما زوجها المؤسس و صاحب رأس المال فقد كان أحد أكبر وأشهر ضباط الجيش المصرى أثناء فترة الثمانينيات وهو اللواء (عبد الوهاب سالم).

وعندما توفي بعد التقاعد ببضعة أعوام أدارت الزوجة تلك المجموعة، وانتظرت بفارغ الصبر بلوغ ولديها السن القانونية لإدارة الأعمال بدلا منها.

وقد ورث عنها الطفلان جمال المحيا، وبينما ورثا عن والدهما قوة الشكيمة والبنية الجسدية، وها هما قد أكمل كل منهما تعليمه على أفضل وجه.

فالأول (عمر) تخصص في إدارة الأعمال وقد جدد هدفه الأساسي من تلك الدراسة، وهو أن يحل محل والدته، أما الآخر (حازم) فقد تخصص في المجال الذي شغف به منذ أن كان طفلا صغيرا، ولذلك فقد أصبح مهندسا وأسس تلك الشركة التي وقف في نافذتها متباها بينه وبين نفسه بما كان بالأمس حلما وقد أصبح اليوم حقيقة.

فقد مر على تأسيس الشركة خمسة أعوام، وظل يردد وهو يتأمل الشمس تهبط ويبتلعها المغيب (خمس أعوام من النجاح والإنجازات). ولكن «حازم» لم يكن متفرغا لتلك الشركة بشكل خاص لأنه كان كثيرا ما يضيع الوقت في اللهو والعبث، أما الشركة فقد ألقى مسئوليتها على عاتق (م/صلاح) الذي سبق حازم بأربع دفعات وقد نجح في لفت الانتباه بتفوقه في كل سنوات الدراسة، مما جعله مثلاً يحتذى به للعديد من الطلاب، أما «حازم» فقد ظل على اتصال به حتى أتت اللحظة التي كان ينتظرها بإعطاء الإشارة بتأسيس تلك الشركة، وقد بلغت ثقته في «صلاح» درجة لا يمكن وصفها؛ حتى إنه ترك له حرية اختيار المهندسين دون التدخل في أي قرار يتخذه، وكان هذا شرط «صلاح» الوحيد وهو عدم منازعته في القرارات.

وعندما أفاق «حازم» من شروده، كان «صلاح» جالساً بمكتبه ولم يكد يغلق التصميم الذى انتهى منه منذ دقائق، حتى فوجئ بحركة خارج مكتبه، واندھش من وجود شخص غيره فى هذا الوقت المتأخر.

ولم يكن سوى «حازم» الذى أراد أن يقترح على «صلاح» إقامة احتفالية للشركة، وذلك لمرور خمسة أعوام على تأسيسها وأخبره أن الفكرة واتته وهو ينظر من النافذة منذ قليل.

ولأن صلاح كان ممن لا يهدرون أوقاتهم وأموالهم على تلك المسميات، فقد نظر له وقال ببرود:

- يمكنك أن تنفق ما تشاء على ما تريد، فقط عليك أن تدعنى وشأنى.. وابتعد عن العمل واحتفل! لأننى لابد أن أمر على «صافى» وأصطحبها من عند والديها وذلك يزيد من توترى، فنناقش خطة احتفاليته فى الغد، أراك غدا يا صديقى العزيز.

رد «حازم» مازحا وقد ألقى بالقلم الذى كان يلهو به فى يده:

- أتمنى لك ليلة مليئة بالكوابيس والمشاجرات سواء مع زوجتك أو أبويها أو الاثنين معا!

هزت ضحكات «صلاح» المكان وكأنها زلزال، حتى صم أذنى «حازم»، فعاد برأسه بروية على ظهر مقعده وأغمض عينيه مستعيدا شروده، متذكرا خمسة أعوام مليئة بالأحداث.

ومضى الوقت والذكريات تتزاحم برأسه وتتقاذف أمام بعضها البعض وتعصف به عسفا حتى إنه وجد نفسه ينجرف معها وهو مغمض العينين.

يعد الطب النفسى من أهم ما يميز البلدان المتقدمة فى الوقت الحالى، فلا ينفك الشاب البالغ أو الفتاة أن يلجأ للطبيب النفسى حتى يضعها على عاتقه مسئولية كتم الأسرار، والتي لا يأتمانان عليها الوالدين أو الإخوة.

وتلك هي نقطة التنافر بين الشرق والغرب، وهي رغم إيجابيتها بالعالم الغربي وذلك لوجود تفسير لمصطلح الطب النفسى، بل ومدى إدراكهم للمعنى الحقيقى لذلك المفهوم.

أما بالنسبة لعالمنا العربى فتكون هذه النقطة (للأسف) سلبية؛ وذلك لوجود سياسة الكتمان سواء عن الأهل أو الأصدقاء، وذلك لأسباب تتعلق بالغضب والعقاب من الأهل والغيرة بين الأصدقاء.

ولأن مصطلح الطب النفسى غير وارد فى العالم العربى، لأنه متعلق ببعض الشئ، بفقدان العقل وعدم الاتزان، وهذا أمر يسلم به كافة الناس فى الوطن العربى.

ود/ «مراد جودت».. حصل على الدكتوراه فى الطب النفسى، هو من القليلين الذين حاولوا جاهدين فى ذلك المجال، وبالرغم من صغر سنه فإنه يعتبر الأفضل على الإطلاق، وذلك من خلال الأبحاث التى يقوم بنشرها بالمؤتمرات والدوريات الدولية والعالمية، حيث جعلت من اسمه نجما فى مجال الطب النفسى فى مصر والعالم العربى.

وتعتبر أبرز محاولاته تتمركز على دعم التوعية والتعريف بقوائد ذلك الفرع من فروع الطب، غير عابئ بالمهاترات والمناظرات التى يقودها البعض ضده حتى يصمت ويتوقف عما يفعل.

وقد ربطت صداقة قوية بين والدى مراد وحازم؛ حيث عملا معا دهرًا بالقوات المسلحة والجيش المصرى، مما منح الأطفال فرصة لوجود صداقة أبدية بين ثلاثتهم.

وقد حافظوا جميعا على هذه العلاقة المميزة، ولكن - لسبب ما - كانت العلاقة التى تجمع حازم ومراد أقوى من تلك التى تجمع ما بين عمر ومراد.

وقد تزوج «مراد» من «بسمة» شقيقة صلاح، والتي تعرف عليها من خلال وجوده مع حازم بالشركة، ولكن مراد رغم وجه بسمة الملائكى الذى أوقع به فى غرامها سريعا، ورغم نبوغه فى الطب النفسى لم يكن سعيدا فى حياته الزوجية.

وهذا لا علاقة له بحبه لها، فهو يحبها ولا شك فى ذلك، ولكنها دائما ما تجعله يخنتق ويشقى بذلك الحب من خلال محو شخصيتها أمام شخصيته، حتى إنها كادت تعبده وتقده، وكان ذلك بالنسبة لطبيب نفسى هو المهلاك بعينه.

وحاول مراد استخدام وتطبيق كل مناهج الطب النفسى للتخلص من هذه العقدة التى تلازم زوجته، حتى أنهكه البحث والتكرار فاستسلم للوضع بل ورفع لها الراية البيضاء.

ومراد ممن يصنعون لأنفسهم جدولا زمنيا لكل شىء، حتى إنه يضع لنفسه جدولا يلتزم به ويتنفيذه كل يوم، ولكنه غالبا ما يحرص على تغييره من حين لآخر حتى لا يقع فى دائرة الملل.

* * *

نادر القاضى.. من أكفأ ممن عملوا بمجال الهندسة، ضمه صلاح للشركة بعد دراسة مطولة، وتفكير عميق وتزكية من مروة الصاوى. ومروة هى ابنة الحاج عبد العزيز الصاوى، من كبار تجار الخرذة ومتعلقات السيارات، ورث وشقيقه الأكبر الكثير من والده، ولكنهم تطورا واستطاعوا إنشاء معرض للسيارات من وكالة واحدة. ولكن بعد وفاة الشقيق الأكبر أثر حادث أليم، ترك وراءه طفلين فى عمر الزهور شادى سبعة أعوام، وداليا فقط فى الخامسة.

وهز هذا الحادث الحاج عبد العزيز بل وزلزه وكاد يحطم حياته
بأكملها لولا أبناء الشقيق.

وقد تحمل أمام الله أمانة تربية الطفلين بجانب طفليه ومعاملتهم
سواسية دون أى تفرقة، ولم يكن له أبناء سوى كريم ومروة شقيقته
الصغرى.

مروة تخرجت فى هندسة القاهرة بتقدير جيد، وتمت خطبتها فور
تخرجها من نادر.

أما كريم فأصبح طبيبا وسافر للعمل بالولايات المتحدة الأمريكية بعد
التخرج بثلاثة أعوام، واستقر وتزوج هناك كما بدأت أخباره تقل شيئا
فشيئا.

ولأن صلاح تربي ونشأ بالمنيل، وتحديدا بالمنزل المقابل لمنزل الحاج
عبد العزيز، فقد أصبح صلاح هو القدوة والمثل الأعلى لها، فالفارق
السنى بينهما ليس كبير نوعا ما.

ولكنه دائما ما كان يمتاز بتلك الشخصية القوية، التى تأثرت بها
مروة كما تأثر حازم من قبل وجعلته يختاره لقيادة شركته الخاصة وهو
مطمئن تمام الاطمئنان أنه سيقودها إلى بر الأمان.

وارتبطت مروة أثناء الدراسة بقصة حب قوية مع نادر، جعلتها
تزكّيه إلى صلاح كى يعمل معها فى نفس المكان خاصة أنه الأول على
دفعته.

ولكن.. ما يجعل أمر قصة الحب ضرباً من الجنون، هو أن نادر هو
الابن الأكبر لأسرة بسيطة تتشبث فى أذيال الطبقة المتوسطة بينما يلهث
خلفها الغلاء حتى أنهك قواها وأنفاسها.

نشأ في أسرة متدينة ومتحفظة في كل شيء، وحيدا لأختين ضعيفتين، وسبب الضعف هو أن الأب لا يزال يميز بعقل رجعي بين الولد والبنت، سواء في الحقوق أو الواجبات.

وكان يرى في نادر الخلف الصالح له، ولذلك فقد منحه العديد من الامتيازات كالخروج كيفما يشاء والرجوع بأوقات متأخرة وإصدار الأحكام العرفية في ظل غيابه لأي سبب من الأسباب، فهو الابن الأوحد والأمل في أن تتواصل ذريته وأفكاره العمياء.

ولكن نادر ولسوء حظ والده وقع في الحب، وأصبح لا يمكنه الرؤية إلا من خلال منظار الحب الأعمى كما يقال، ومن خلال هذا المنظار استطاع فقط أن يرى المعاناة التي تكاد تودى بحياة شقيقته والتي أودت بحياة والدته من قبل.

وبينما يوجد ثمة تشابه ضئيل في الأفكار بين صلاح وما أخبره به نادر عن نفسه وأسرته، لذا فقد وجد فيه شخصا مثاليا للنوعية التي يبحث عن ضمها للشركة.

كما لقيت السيرة الذاتية وطريقة سردها قبولا حسنا عنده، فوجد أن التزكية التي قامت بها مروة في محلها.

* * *

دائما ما يكون للقدر دور كبير رئيسي ومحوري في حياتنا، ولكننا نادرا ما نستشعر ذلك من خلال إغفالنا عن أهمية الإيمان بكل ما يخبئه لنا القدر، أو حدوث شيء من الممكن أن يكون أشبه بالمعجزة، وعلينا أن نتقبل ذلك سواء أثمر عن خير أو أثمر عن شيء ضد رغباتنا.

فقد ذهب د/ مراد لزيارة حازم في الشركة الخاصة به بدعوة من الأخير، والتي شيدها بعيدا عن المجموعة الصناعية الخاصة بوالدته

وشقيقه، حرصاً على أن يكون نجاحه وليد اجتهاده الشخصي وخوفاً من ضياع هذا النجاح فى طيات نجاح الآخرين.

ولم يبالغ حازم عندما وصف شركته بأنها مولود عملاق، فقد ظن د/مراد لوهلة أنها كعيادته مجرد شقة ببنائة كبيرة.

لكنه وجدها شركة حقيقية مكونة من طابقين كاملين ببنائة ضخمة ورئيسية على نيل المعادى، ولكن فى الأصل تعود ملكيتها إلى حازم.

كما يُهر عندما وجد قاعات للاجتماعات، وأقسامًا للحسابات والمراجعة، وشئونًا للعاملين وأخرى قانونية، كما وجد نظام رعاية طبية شاملة.

ولم يستطع مراد أن يسيطر على نظرات الدهشة والإعجاب وقد ضاعت من عقله الكلمات المناسبة، ولكنه سيطر على أعصابه والتفت إلى حازم قائلاً:

- ولكن هذا ليس مجهودك وحدك! أنا وأنت نعلم ذلك، أننى أتوق وبشدة إلى مقابلة العبقري الذى استطاع أن يبذل كل هذا الجهد ويشيد هذا الصرح.

رفع حازم كتفيه وأخفضهما، كمن يحاول الدفاع عن نفسه ورد قائلاً:

- ذلك العبقري لم يكن ليفعل شيئاً دون إرادتى، فأنا من أعطى إشارة البدء فى ذلك المشروع، فالفكرة حلم حياتى كما تعلم، صلاح هو من نفذ فقط.. ولاشئ، غير ذلك!

نظر له مراد طويلاً كما ينظر إليه دائماً عندما ينتقده..

- ولكنك تقول إنك أعطيت الرجل أوراقا، فأعطاك شركة كاملة، كياناً وظيفياً مكتملاً، ثم إنك لا توجد بالمكان إطلاقاً، وقد ألقيت على عاتقه بكل المسئولية كالعادة والغريب أنك أنت الذى يجنى الأرباح!

رفع حازم سبابته محذرا:

- لا تنس يا مراد أنني تركت له حرية اختيار المهندسين الذين هم الركن الرئيسي في بناء تلك الشركة، فأخذ يأتيني بالجيران والأصدقاء والأقارب، حتى عندما اقترحت عليه أن يكون لدينا قسم للديكور، تزوج المهندسة الوحيدة التي وافقت على شروط العمل معه وتحملته، معللا ذلك بأن من يتحملة في العمل يمكنه أن يتحملة بالمنزل!

وها هي المسكينة الآن تندب حظها العثر الذي جعلها تخطو بقدميها تلك الشركة أصلا، وأنت معجب به!

تمهل مراد قليلا ثم وضع ساقا فوق ساق وقال:

- أو ليس من الجائز أن يكون الجيران والأصدقاء وغيرهم على قدر كبير من الكفاءة؟ ثم إنك لم تصف لي الرجل من قبل على أنه استعماري! ضحك حازم وهز رأسه:

- إنني لم أقصد ذلك المعنى، هو بالفعل أتى بكل من يعرفهم، ولكن إحقاقا للحق هم مهندسون أكفاء وجميعهم أوائل الدفعات، وأنا لم أشعر لوهلة أنه يجامل أحدا على حساب العمل.

ولكن شقيقته مثلا جعلها تترك البنك الذي كانت تعمل محاسبة به لتأتى للعمل هنا، فقط كى تكون أمام عينيه بحجة أنها عاجزة عن حماية نفسها!

لم يتمالك مراد نفسه من الضحك قائلا:

- هذا بالفعل شيء غريب، ومن حقك أن تغضب وتشعر بالرغبة، فمن تخرج للعمل الآن ليست بحاجة لمن يحميها لأنها ولا بد أن تكون مسئولة ومؤهلة أيضا لذلك.

تململ حازم فى مقعده قائلاً فى خبث:

- البنّت فى الحقيقة رقيقة بشكل يجعلك تنتبه لوجودها، وجميلة أيضاً، ومن الممكن أن يطمع فيها الكثيرون، ولكنك عندما تتحدث معها تشعر وكأنك تتحدث للجدار الذى أمامك، فهى مبرمجة بحيث لا تجيب أو تستجيب إلا لصوت ذلك الصلاح.

استنكر مراد ازدواجية رأى حازم.. ورد قائلاً:

- ولكنك معجب بذلك الصلاح وبشخصيته القيادية الفذة التى جعلت شخصاً مثلك.. يتأثر به!

صرخ حازم ...

- هو بالفعل إنسان ناجح، ولن أنكر ذلك، كما لن أنكر فضل الله فى توفيقى فى الاختيار، فأنا أضع بين يديه حياتى ومستقبلى وهو الوحيد القادر على الحفاظ عليهما أكثر منى أنا شخصياً..

- فى تلك الأثناء دخل المكتب ملاك يمشى على الأرض، ولاحظ حازم انبهار مراد بها فابتسم قائلاً..

- خير يا بسمّة.. أليس صلاح متواجداً بالمكتب، أنا مشغول الآن! وضعت الفتاة رأسها أرضاً باستحياء شديد، وهمت بالرحيل، عندما هبطت قدم مراد على قدم حازم كالصاعقة ومال برأسه ناحيتها دون أن ينطق.

تأوه حازم وقال بصوت عالٍ...

- لو الأمر ضرورى يمكننى الاهتمام به الآن..

والتفتت بسمّة قائلة بوداعة...

- إنها ميزانية المشروعات الجديدة، وصلاح هو الذى أرسلنى لأن لديه اجتماعاً مع بعض العملاء.

مط حازم شفتيه قائلًا بسخريته المعهودة...
- بالطبع يمكننى توقعيها، ولكن هل تعرفت فى البداية على
د/مراد كامل؟

وهنا أحس مراد بقبضة قوية تعتصر قلبه من الداخل، عندما نظرت
له بعينيها وسرعان ما عادت ونظرت أرضا خجلا وحياء.
همس قائلًا إلى حازم...

- كيف للإنسان أن يدخل طوعا فى آخر شكل قانونى من أشكال
العبودية؟

وكان حازم يدرك معنى تلك العبارة جيدا فقال مازحا...
- مراد هل جننت؟ إنها شقيقة صلاح تلك الفتاة مسلوبة الشخصية
والإرادة التى كنت أحدثك عنها منذ قليل.

ولكن مراد كان قد فكر وقرر، وانتهى، ولم يعد النقاش حلا يمكنه
أن يلجأ إليه، فرد على صديقه قائلًا...

- ليكن ما يكون، حتى لو اضطررت أن أخضعها لبرنامج تأهيلى من
البداية، ولكنى سأزوج من تلك البسمة، وأنت ستساعدنى على ذلك.

* * *

بيرهان ثابت... أو بيرى كما يطلق عليها الجميع، كانت هى
الاختيار الوحيد الذى قام به حازم منذ تأسيس الشركة.

وبيرى مهندسة الديكور التى صممت مكاتب المجموعة الخاصة بـ
(عمر سالم)، ومن هنا تعرف عليها حازم، وتعرف على عملها وكيفية
قيامها به.

وقد لفت انتباهه تلك الملامح الغربية وملابسها الباهظة شبه العارية،
لذلك فقد سألها عما دفعها للعودة إلى مصر.

وقد أخبرته بيري أنها ابنة وحيدة لطبيب مصري مهاجر في فرنسا منذ أكثر من ثلاثين، وقد تزوج من فرنسية.

وبعد أن أتمت تعليمها بفرنسا، وجدت طريقها للعمل بسهولة، خاصة أنها كانت تعشق ذلك المجال منذ الصغر، فقد استحوذ على شغفها وولعها، هو وتصميم الأزياء.

ولكن بعد وفاة الأب وزواج الأم بعد تخطيها الخمسين من شاب في بداية الثلاثينيات، لذا فقد فكرت بيري كثيرا ثم حصرت كل ممتلكاتها وتخلصت منها، ولم تبقى إلا على شقتها هناك.

ولذلك فكرت - وبقوة - في العودة إلى الوطن الأم، وطن والدها الذي أحبته، وتعرفت عليه وتعلقت به من خلال الحكايات والروايات التي طالما سمعتها منه.

وعلى الرغم من أنها تتحدث العربية بشكل لا بأس به فإنها واجهت صعوبات في التأقلم والتفكير، كما وجدت بعض المشاكل بالنسبة للمظهر والملبس، ولكنها وجدت عملا بشكل سريع على عكس ما كانت تتوقع، لذلك فقد تغلبت به على ما يؤرقها من مشاكل وعقبات.

وعندما فكر حازم في التقدم بعرض عمل لم يخل ذهنه من غضب صلاح، واعتراضه خاصة على بيري وشخصيتها، ولكنه بعد أن أعاد التفكير تذكر كم الشخصيات التي تدخل لها صلاح وضمها للشركة دون أن يتدخل في اختيارهم، ومنهم شقيقته التي وقع مراد في حبها، وكذلك مى وصافى وأحمد ومروة.

وهنا عرض عليها حازم العمل في شركته مقابل أن يذلل لها كل العقبات التي تواجهها في مصر، ووافقت بيري وقبلت العرض لعدة

أسباب منها العائد المادى، الشقة ذات المكان المتميز، التأمين الطبى الشامل، والتعامل مع محترفين فى مجال الديكور.

* * *

وقبل أن تأتى ببرى إلى الشركة كانت بها مهندسة ديكور واحدة وهى.. صافيناز شاكر.

تخرجت فى كلية الفنون التطبيقية/ قسم الديكور وتعرف عليها صلاح عن طريق أحد العملاء الذين يثق بهم، ورغم أن الشركة ليس لها علاقة بالديكور، وتخصصها الرئيسى هو التصميمات الهندسية والمقاولات فإن صلاح عندما أجرى معها مقابلة ليتعرف على إمكانية تواجدها ضمن طاقم العمل بالشركة، غلبه إحساس قوى بأنها من الممكن أن تكون أكثر من مهندسة ديكور بالشركة.

وبالفعل فلم يمض على عملها بالشركة خمسة أشهر فقط حتى ارتبطت بصلاح، وتزوجها قبل نهاية العام. ولكن بعد مرور بعض الوقت أدركت صافى الخطأ الذى وقعت به، وهو زواجها من شخص بالكاد تعرفه.

وعلى الرغم من خلافاتهما ومشاكلهما المتعددة فإنها كانت تحبه، تحب آراءه الحاسمة وقراراته الشجاعة وصموده بجانب الحق على طول الطريق.

وعلى النقيض فقد كرهت تجاهله لرأيها، واعتبارها مجرد قطعة أثاث من محتويات الشقة، كرهت المجادلة معه فى كل شىء، كما كرهت عناده وإصراره بقوة على الصواب والخطأ.

ولما كانت الحياة بينهما دائما على صفيح متأجج أو بين غضبة أمواج بحر عاصف، فقد بدأت تلجأ لكل من يهمهم الأمر على اعتبار أنها

ليست حياتها هي فقط، حتى إنها كانت تتوق بشدة لإنجاب طفل منه قبل الزواج ولكنها عدلت عن تلك الفكرة الآن حتى يتبين لها ما إذا كانت الحياة بينهما تحتمل إنجاب أطفال أم لا !!
فقد كانت الحياة مستمرة على الرغم من ذلك ولا أحد منهما يدري لماذا؟

* * *

أحمد عبد الحكيم... تخرج في كلية الهندسة/ جامعة الإسكندرية، حيث ولد وعاش ونشأ في تلك المدينة الخالدة ولكنه واجه بعض الصعوبات لمزاولة عمله الطبيعى كمهندس، حيث تطلب الأمر اللجوء إما إلى الوساطة أو إلى الرشوة للحصول على الوظيفة المناسبة.
ولأنه الأخ الأكبر لأسرة مكونة من خمسة أشقاء، والأسرة بأكملها تعاني من أنانية الأب الذى تزوج من أخرى تاركا أم أبنائه دون عمل أو مال.
وقد تركت هذه المأساة أثرها في نفس الطالب الذكى الذى فقد الأب وهو على قيد الحياة، وبينما يرسل الأب بعض المبالغ التافهة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع أو كالفقات كما يقال.
وبين أنانية الأب وقلة حيلة الأم، اضطر الابن أن يعمل منذ المرحلة الثانوية، حتى استطاع أن يؤمن عملا دائما له حرص على التواجد به حتى أثناء فترات الدراسة، وذلك من أجل توفير المال له ولأشقائه.
ومن الممكن أن يكون القدر هو من رتب هذه الصدفة المحضة، حيث تواجد أحمد في أحد مواقع العمل بالإسكندرية والتى تخص الشركة الدولية.

كما تواجد صلاح أيضا بالموقع ، وحدثت الصدفة التي غيرت حياته ، حيث لم يتمكن من منع شغفه بالهندسة وهو يرى اللقافات والتصميمات مطروحة أرضا كالمهمات دون أية أهمية.

ترك ما بيده وكل ما يفعل وتوجه للتصميمات وفضها ، وأخرج قلمه ، وبدأ يعبث بالتصميمات التي أعتقد أنها مهملة ومتروكة عمدا على الأرض.

وفوجئ بصلاح يتصدى له بقوة وخشونة عندما يعبث شخص ما بالعمل ، ولكنه وجد أمامه مهندسا ماهرا يدرى ما يفعل بالورق ويدرك ما يقول من ملاحظات.

وعلم صلاح أنه خريج هندسة ويعمل سائق ديليفرى لأحد المطاعم الشهيرة وذلك لتوفير النفقات ، وأيضا عدم وجود أية فرص متاحة له . وظل يتحدث مع صلاح طول اليوم ، واختبره أكثر من مرة ، وانتبه بالفعل للإمكانيات التي يتمتع بها الشاب ، والذكاء الحاد الذى يمكنه من مقارعة الكبار.

ولم يتردد صلاح لحظة واحدة وهو يعرض عليه العمل بالشركة على أن يترك الإسكندرية ويستقر بشكل شبيه نهائى بالقاهرة ، وبعد تأكده من جدية العرض لم يتردد أحمد فى قبوله.

وأعقب ذلك بعبارة لم يتمكن صلاح من نسيانها ولو بعد ألف عام ، حيث أقسم له أحمد قائلا : (والله لو طلبت منى الاستقرار فى آخر الدنيا ما ترددت ، ما دمت سأحصل على المقابل).

بهت صلاح نتيجة سماع هذه الجملة ، ولكنه لم يعلق عليها كونها من شاب خرج توا من عنق الزجاجاة.

* * *

مى الشورىجى... مهندسة ذات تفكير خاص، كما أن لها بصمات يصعب على غيرها التعامل معها بل وتنفيذها.

وأكثر ما ميز مى عندما التقاها صلاح فى المقابلة الخاصة بالعمل هو رقتها وبساطتها اللانهائية سواء فى اختيار الألفاظ أو الملابس أو المظهر العام. وعلى الرغم من ذلك الهدوء الذى يخيم على ملامحها، فإنها كانت تتميز بذكاء حاد ومهارة فائقة، وبالإضافة إلى ذلك وجه مصرى خمرى رقيق الملامح والقسمات وإحساس مرهف حتى فيما يخص العمل، فقد كان يمكنها أن تعلم إذا ما كان هذا العميل سوف يتعاقد معها أم لا، وذلك عن طريق الحاسة السادسة كما كانت تردد دائما، ولكن ذلك ما هو إلا مخزون كبير من قوة الإحساس موجود داخلنا دون أن نشعر به.

وكان هذا الإحساس القوى هو السبب فى اقتناع صلاح بضمها للشركة، لأن ثقتها بنفسها كانت تفوق كل التوقعات، فظل صلاح ينمى ذلك الشعور داخلها حتى باتت ممن يستطيعون القيام بأهم الأعمال.

أما عن حياتها الشخصية فهى ابنة وحيدة... من أسرة على قدر ميسور من الحال، تعيش بمنزل كبير فى مصر الجديدة، وهو منزل الأم التى تزوجت فيه مع والدها ووالدتها ولكن فى ظل وفاة الأب والجد، عاشت مع أمها وجدتها حياة أقرب للحياة المدرسية.

الجددة تلازم المنزل ولا تغادره، الأم تعمل مديرة لإحدى المدارس، وهما هى الابنة تعمل الآن، لذلك فإنهم لا يلتقون إلا على المائدة مرة فى السابعة صباحا وأخرى فى السابعة مساء.

ولكن ذلك لا يمنع أنهم عاشوا معا حياة سالمة آمنة وخالية من العنف، القهر، المشكلات، والضجيج.

فقد كانت كل المشكلات والعقبات تحل عن طريق النقاش وطرح الحلول الممكنة واختيار أفضلها دون تحيز. لذلك فقد كانت تعشق المنزل وتتوق الرجوع إليه ، وتأبى مغادرته إلا إذا كانوا جميعهم معاً ، كما أتاح لها هذا الجو مزيداً من الاستقرار فى العمل والإبداع.

* * *

لم يكن حازم أو شقيقه ممن يهوون الجلوس بالمنازل ومشاهدة الأفلام ، لطالما أحبوا السهر مع الأصدقاء والتواجد بأماكن معينة يستطيع الجميع إيجادهم بها.

ولم تمنع الأم فى ذلك ، بل على العكس كانت دائما تحثهم على الاختلاط بالناس ، فمن هذه السهرات تتكون العلاقات ، وتأتى الصفقات. وكل من كان يعرف دولت هانم ، كان يعلم جيدا غرورها وتكبرها وانطوائها على نفسها بشكل غير عادى.. ويمكن أن نضيف إلى هذه الصفات أيضا أنها امرأة متسلطة ومحبة للسيطرة على كل شىء.

ودائما ما صارحها أبناءها بذلك ، ولطالما كان ذلك هو سبب نفورهم وهروبهم من المنزل ، وليست الحرية والتربية الغربية والشعارات الخاوية ، التى كانت تتحدث عنها فى كل مكان تتواجد به.

لذا حرص الاثنان على امتلاك شقة بأحد العقارات الخاصة بهم بمنطقة بعيدة عن المنزل ليقضوا بها سهراتهم الخاصة دون أية رقابة من دولت أو ضمير من أنفسهم.

وفى تلك الليلة تحديدا تلقى حازم اتصالا من عمر يبلغه فيه أنهم سوف يذهبون إلى الشقة هذا المساء ، وسيكون بصحبته بعض العارضات الروسيات ، كما أنهم سوف يقومون بعرض الأزياء الخاص بالمجموعة.

ولكن حازم اعتذر لأنه كان مرهقاً بشكل غير عادي ، بعد قضاء يوم كامل بالعمل وهو لم يتعود عليه من قبل.
لذا فقد ذهب عمر وحده مع العارضات ، وقد أعد العدة لتلك السهرة الخاصة...

فقد كانت الشقة مجهزة بكل الوسائل التي يمكن أن تغوى أية امرأة ، للدخول في علاقة حميمية محرمة ، فقد كان البار به كافة أنواع الخمور ، ثلاث غرف نوم ، كما كان لديه كل أنواع المقبلات ، وطاولة للبياردو التي لا يفارقه أبداً.

ويبقى شيء واحد لم يكن يفعله أبناء آل سالم مهما كانت الإغراءات ومهما كانت النتائج والعواقب ، وهو (القمار) فقد كانا دائماً ما يتجنبان القمار والمقامرين وذلك عن قناعة شديدة منهما ، فقد انقضى دهرهما وجمعان هذه النقود وتلك الثروة ولم يكن من السهل أن تضيع بأيديهم هباء من جراء نزوة لعب ، والخاسر فيها يخسر كل شيء.

وعلى النقيض فقد دخل حازم غرفته وهو يشعر ببعض الآم في الرأس نتيجة المهاترات والمشاتات بينه وبين صلاح طوال اليوم دون أخذ قسط من الراحة.

لذا فقد تناول قرصاً مسكناً ، ودخل الحمام ليمحو آثار العمل الشاق واليوم الطويل من على جسده تحت الماء الساخن ، ولكنه ما إن خرج حتى وجد (سارا) زوجة أخيه عمر تقف أمامه عاقدة يديها أمام صدرها.
وسارا كانت صفقة عقدت ضمن نطاق صفقات قامت بها دولت هانم لتوسيع حجم استثماراتها في مجال التجارة والصناعة.

ولكن الفارق الوحيد من أجل ضمان تنفيذ الصفقة كان زواج عمر ابنها إلى سارا ابنة رجل الأعمال الأمريكي ، الذي وافق بعد أن رأى إصرار ابنته العنيدة على إتمام تلك الصفقة.

وكان رأى حازم قاسيا بشكل شديد فى تلك الصفقة ، فقد كان يتخيل أن يبلغ جشع دولت كل شىء، و لكنه ما تخيل قط أنها من الممكن أن تضحي بابنها من أجل توسيع حجم الاستثمارات.

لقد كان عمر ورقة ألفت بها دولت دون أن يطرف لها جفن، وبعد فترة أقل من القصيرة، ملت سارا الحياة فى مصر، ودبت المشكلات بينها وبين عمر بشكل متواصل، حتى إنه تركها تفعل ما تشاء، ووقتما تشاء..

وظلت المشاحنات بينهم تزداد وتكبر يوما بعد يوم، ودائما ما كانت تلجأ إلى حازم كى يحل لها مشكلاتها مع عمر و دولت... والآن فى غرفة النوم كان حازم واثقا من أنها ستسأله عن عمر، ولماذا يتجاهل وجودها فى حياته؟

وستبدأ تسرد له نفس الكلمات التى ترددها عليه كل ليلة، حتى حفظها حازم، بل إنه أصابه الملل من تكرار سماعها...

وبالفعل جلست سارا فوق السرير، بدأت تحكى عن خيانة عمر وأنه لا يستحقها.. وأنها تود أن تنتقم منه بنفس الطريقة التى يعاقبها بها.. فقال حازم فى إرهاق..

– أنا أعلم أنك تعلمين أنه يخونك مع أخريات، ولكن لن أكون أنا الوسيلة التى تنتقمين بها من عمر، فأنت للأسف اخترت الشخص الخطأ.

ضغطت سارا على أسنانها، وصرخت بعنف...
– إذن عليك أن تذهب معى الآن لوالدتك لأنها لا تثق بمعلوماتى حين أخبرتها أن عمر على علاقة بكل من فى المصنع!

ضحك حازم وبشدة هذه المرة، حتى أمسك رأسه بيديه من فرط الألم... وقال:

- ليس كل من فى المصنع، فالعمال والعاملات مثلا عمر برىء منهم، ولكن للأمانة والصدق، هو على علاقة بكل العارضات الأجانب فى المصنع، ثم لا داعى للذهاب إلى أمى، لأنها تعلم جيدا سلوك ابنتها، فهى تعلم ما نفكر فيه قبل أن نترجمه إلى كلمات، وأنا أنصحك بشىء قبل أن أسقط فى غيبوبة وأنام...
ليس أمامك سوى حلين.

أولا.. هو أن تتواجدى بصفة دائمة فى المصنع أو المجموعة، والآخر هو اللجوء إلى الطلاق مع استمرار الشراكة بينه وبين والدك.
هزت سارا رأسها مرتين ثم قالت بسخرية...

- عمر لن يتورع عن خيانتى أمام عينى وأنت تعلم ذلك جيدا، ثم إننى عندما أتيت وتعرفت عليك أحببتك أنت أكثر، حتى إننى لا أجد الراحة فى هذا المنزل إلا فى حديثى معك!

ابتسم حازم ابتسامة صفراء، ثم نزل بجسده ورأسه تحت الفراش رافعا يده..

- وأنت أيضا مفضلة عندي، وأعدك أنك إذا انفصلت عن عمر فسوف أفكر فى الزواج منك!

غادرت سارا الغرفة بعد أن انتهت محاولاتها بالفشل، فقد كانت فى حالة شديدة من اليأس دفعتها دون تفكير إلى هذا الحل، ولكنها اصطدمت بواقع الفرق الفكرى ما بين الغرب و الشرق، حتى إن كان حازم بلا ضمير.. فهو أبدا لن يخون أخاه.

أحيانا يكون الزواج هو الحل السحري الذى يخلصنا من كل المشكلات التى يمر بها الرجل أو المرأة، وأحيانا يصبح الحبل الذى يحيط برقبة كل منهما وينعقد كى تصنع المشنقة.

وهذا بالفعل ما كان يحدث بين صلاح وصافى، فقد باتت العلاقة بينهما على صفيح ساخن، وكلما تحسنت وتقدمت أعادها صلاح لنقطة البدء من جديد.

وذلك ما أحبط صافى وجعلها لا تريد العودة للمنزل، ولكن بينما هى عائدة من عند والدتها أحاطت رأسها بيديها وسقطت مغشيا عليها، وقررت الذهاب ووالدتها لأقرب طبيب.

وبعد التأكد من سلامتها، أخبرها الطبيب أنها تحمل فى أحشائها جنيناً منذ شهر ونصف الشهر.

صدم الخبر صافى، وهى التى قد قررت أن تطلب من صلاح الطلاق لاستحالة وجود حياة بينهما، رفضت أن تستمع إلى نداء والدتها بقضاء الليلة لديها وأصررت على العودة للمنزل.

وقد طاردها الأفكار طوال الطريق عن كيفية الوقوع فى مثل ذلك الخطأ؟ وما إذا كانت ستخبره به أم لا؟

وهل يتغير بعد أن يعرف بأنه سيصبح أباً أم سيظل على عنده وديكتاتوريته وجبروته؟

كل تلك الأسئلة دارت بذهنها وهى عائدة إلى المنزل والأفكار ما بين صعود وهبوط... بعضها يتحامل عليه، والآخر يشفع له بحق ذكرى الأيام الجميلة التى مروا بها معا.

ولكنها فوجئت به جالسا بانتظارها فى مدخل الشقة، وقد عقد كفيه وأخذ يهز ساقه بعصبية كلما كان متوترا، وكان قد أخبرها أنه ذاهب

مع أحمد كى يعاين قطعة أرض معروضة للبيع وسيتم عليها مزاد، لذا لم تتوقع عودته سريعا، فارتبكت عندما رأته قائلة...

– ألم تقل إنك ذاهب لرؤية أرض فى العبور؟

تفرس ملامحها بشراسة ثم رد مهاجما...

– أظن أننى من سيوجه الأسئلة هذا المساء! ولكن ليطمئن قلبك فقد

قرر حازم عدم الدخول فى ذلك المزاد قبل ذهابنا بخمس دقائق.

ثم علا صوته، وبدأ بالاقتراب منها وهو يقول...

– ومن حقى أن أسأل أين كنت حتى الآن؟ فقد سمحت لك بالذهاب

لوالدتك على أن تعودى إلى المنزل فى الساعة، والآن الساعة التاسعة

والنصف..

جلست صافى على أول مقعد وجدته وفكرت جيدا قبل أن تقرر عدم

إخباره بالحمل، على أنها كانت فى حيرة من إيجاد كذبة تخفى بها

السبب الحقيقى وراء تأخرها، فقالت ببطء...

– لقد حدث شيء ما أربكنا جميعا، فقد سقط أبى مغشيا عليه عندما

كنت على وشك الانصراف، نتيجة ارتفاع السكر فى الدم.

نظر إليها صلاح طويلا ثم مد يده وتناول الهاتف قائلا فى سخرية...

– وبالطبع جاء الطبيب، ولم تنصرفى إلا بعد أن اطمأنتت عليه..

أليس كذلك؟ وبالطبع يجب أن أطمئن أنا الآخر عليه!

وعندما رد عليه الطرف الآخر كان وجهه صافى يكاد يحاكي وجه

الموتى، وهى تدعو الله أن تظن والدتها لما حدث بينهما.

أما الطامة الكبرى فكانت أن والدها هو الذى رد على الهاتف، وما

زاد من فزعها هو أن صلاح كان يتحدث معه بشكل طبيعى، ولم يذكر له

شيئا عن المرض.. ثم سأله فجأة عن صحته وتعامله مع الضغط والسكر؟

- وكان جواب الأب حمدا لله وشكرا له ، فهو فى خير حال..
وعندما أغلق صلاح الهاتف ، وقف أمام صافى قائلا فى غضب...
- إما أن تخبرينى الحقيقة أو أكون على حق فيما سأفعله بك!
انتابت صافى حالة من الرعب ، ولكنها حاولت السيطرة عليه ،
ورفضت التهديد وذهبت مسرعة إلى غرفة النوم ، ولكن يده القوية
استوقفتها وجذبتها نحو نفس المقعد مرة أخرى ويعنف صارخا...
- ألا تعلمين أننى لم يكذب على أحد من قبل ، وأنه عندما يتحدث
إليك زوجك يجب أن تستمعى إليه ، وتجيبي أسئلته!
قالت بصوت يكاد يجهد بالبكاء...
- لقد ذهبت إلى الطبيب لأنى شعرت ببعض الآلام فى أسناني ،
وأخبرنى أننى يجب أن أتناول مضادا حيويا قوى حتى أستطيع
التخلص من ذلك الضرس.
لم يتخلص صلاح من العنف بعد ، فقال بخشونة..
- ولماذا لم تخبرينى ذلك منذ البداية؟
قالت وهى تنتفض من ردة الفعل...
- لقد حذرتنى أكثر من مرة أن أذهب لأى طبيب وحدى ، ولكن
الآلام فاجأتنى بعد أن تناولت عند ماما الحلويات ، أقسم لك..
وكان الرد عنيفا كما توقعت ، فقد أمسك صلاح بكتفيها وهزها فى
قوة..
- وبالطبع ذهبت وحدك ، وإلا كانت والدتك اتصلت كى تطمئن
عليك..
قالت وقد بلغ بها الفزع مبلغه...

- نعم.. ذهبت وحدى، وهو طبيب فى غاية الاحترام، و.. لم تستطع صافى أن تكمل الجملة، فقد هوت يده على وجهها كالصاعقة، حتى إنها ارتطمت باللنضدة الزجاجية الموجودة أمامها فجرحت جزءا من رأسها وأدمت يدها بشدة ولكن ما عقد الموقف أنها فقدت الوعى.

* * *

عندما تسلم أحمد العمل بالشركة الهندسية كان هو آخر من التحقوا بالعمل، فقد أصبحوا خمسة مهندسين فى قسم التصميمات الهندسية، واثنين فقط فى قسم الديكور.

ومع تعدد التخصصات، فقد منح المكتب العديد من الاختيارات الهندسية للعملاء، ما بين التصميم الأوروبى، الشرقى، الأمريكى والعربى.

واستطاع أحمد أن يثبت نفسه من خلال بعض التصميمات التى أبهرت الجميع بمن فيهم حازم، ولكن لسبب ما لم يستطع كل منهما أن يحب أو يتقبل الآخر.

فأحمد مهندس بارع وماهر ولن يختلف اثنان على ذلك، ولكن به شيئا لم يرتح له حازم، ولكن صلاح أقصى حازم عن ذلك التفكير معللا ذلك بأن العمل لا دخل له بالعواطف والراحة النفسية.

وأكبر برهان على ذلك هو قبول بيبرى فى العمل رغم اعتراضه عليها.. أولا.. كونها غير مسلمة، ثانيا.. ملابسها العارية الفاضحة، ثالثا.. إثارة الفتنة فى الشركة بأكملها خاصة أنها تتواجد وزوجته فى مكتب واحد.

وكانت هذه الواقعة نقطة الانطلاق لأحمد الذى تأكد أن صلاح هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة بالشركة وأن حازم هو مجرد ممول مالى

لا أكثر، حتى انه لا يمتلك طاولة رسم كى يرسم عليها، فكل ما يمتلكه مكتب كبير يوقع فيه الأوراق، وقاعة للاجتماعات عادة ما يستخدمها صلاح فى لقاءات العملاء.

لذا فقد فطن أحمد إلى صاحب الكلمة الأولى والأخيرة بالشركة، وقرر الشاب الطموح أن يسلك الطريق المختصر، واتجه مباشرة نحو صلاح يردد عباراته، وينادى بما يحبه ويريده وينشده ويندد بكل ما يرفضه حتى أصبح صلاح فخورا بهذا الشاب، ومعجبًا بذلك الاختيار الذى اهتدى إليه، حتى انه بات يردد أن صدفة عثوره على أحمد مثل صدفة عثوره على جوهرة أو كنز فى قاع المحيط.

وزاد ذلك فى ثقة أحمد حتى إنه ترك العنان للقلم والأدوات، وبات يقارع الكبار، ولكن ذلك كان ليس من أجل صلاح، بل كان من أجل ببرى التى أعجب بها منذ اللحظة التى وقعت عيناه عليها، لعله تباين الحضارات أو صراع الطبقات ولكنه انجذب إليها بشدة وعنف، حتى إنه أصبح يتوهم بين النفس والخيال ما يؤجج تلك العاطفة المشحونة بالتهبؤات والخيالات المريضة.

وقد تولى صلاح أمر تدبير شقة دفع ثمنها تملك من رصيد الشركة على أن يسدد أحمد ثمنها من أرباحه السنوية على هيئة شيكات وقع عليها دون تردد.

والحق يقال فقد تمتع أحمد بالفعل بكل صفات العبقرية، لذا نجده منفصلا أثناء العمل عن تلك الأوهام التى تزدهم داخل عقله، وتبلغ نسبة تركيزه مائة بالمائة.

أما تلك الترهات فهى لا تنتابه إلا فى المنزل، وتحديدًا عندما يبدأ فى سرد ذكريات اليوم، وما إن كان قابل فيه ببرى أم لا.. و يظل يحلم بها.

وبالرغم من سياسة التقشف التي كان يتبعها أحمد لسداد ثمن الشقة
كى يستطيع الاحتفاظ بها، فإنه لم ينس الأهل بالإسكندرية...
فقد حرص على إرسال الدعم المالى لهم أولاً بأول كلما أتحت له
فرصة توفير مبلغ محترم.

* * *

جلست دولت هانم تراجع العائدات نصف السنوية التي أعطاه
إياها عمر منذ يومين وقد بدت السعادة واضحة عليها؛ لذا لم يتردد
حازم وهو يجلس جوارها ويحيطها بيده ويضمها ل صدره فى حنان بالغ.
ولأن دولت كانت خير من يقرأ أبناءها، فقد علمت أن حازم يريد
أن يقول شيئاً حيث اعتادت منهم على ذلك منذ كانوا صغاراً، لذا فقد
مالت عليه برأسها وغمزت بخبث ولكزته ضاحكة...
- ماذا تريد؟ فأنت دائماً ما تفشل فى الكذب على، تماماً مثل أخيك
عمر...

وهنا تردد حازم بعض الشيء، ثم قال بروية...
- أعلم أنك تجديني شخفاً فاسداً، ولا يحق لى انتقاد الآخرين،
وأنا أفرك أن بوصلتى لا تشير دائماً إلى الشمال، ولكن إذا كان هناك
خطأ، فهو على الأرجح خطأ، وهذه المرة ينبأ عن كارثة وبالمناسبة فإنها
تخص عمر!!

ردت دولت وهى تشعل إحدى سجائرها...
- وماذا فعل عمر حتى تنتقده؟
بدت الجدية على صوت حازم و هو يقول..
- عمر بدأت سهراته الخاصة تفوح رائحتها وتصل إلى المنزل، وسارا
غاضبة للغاية، وجاءت واشتكت بعد أن ذكرت أسماءهم اسماً اسماً...

اعتدلت دولت فى جلستها، قائلة فى عنف...
 - شقيقك لا يسهر تلك السهرات إلا من أجل العمل، و حتى إن كن
 ساقطات! ألم تتزوجه هى من أجل المال؟
 وعليك اختيار ألفاظك ومزيدياً من الثقة بأخيك، كما أنها هى الأخرى
 على علاقة مع العديد من الرجال.. هل تحب أن أذكر لك أسماءهم؟
 استنكر حازم قولها فى غضب، قائلاً..
 - كيف تتهمين إنساناً فى شرفه هكذا وبهذه السهولة؟ ثم إن ذلك
 ليس شرفها هى، بل شرف ابنك وشرفك وشرفى!
 صرخت عليه دولت بغضب هى الأخرى...
 - وما أدراك أن عمر ليس على علم بما يحدث؟ إنها تعلم ما يفعل،
 وهو أيضاً يعلم ما تفعل.. والعلاقة بينهما مجرد بيزنس وشراكة.
 ولكن من الواضح أنها لم تكتف به، وبدأت تنسج خيوطها حولك
 أنت الآخر كى تقع فى شراكها..
 وعليك أن تسأل نفسك إذن لماذا أتت إليك كى تشكو من شىء
 لا يسبب لها أى أذى، إلا إذا كانت تريد أن تضيفك لمجموعتها...؟!
 هز حازم رأسه غير مصدق لما يسمع ..
 - ولكن جميع الناس تعلم أنها زوجة ابنك، فكيف ستكون صورتنا
 إذا أصبحت الفضيحة عامة!
 هذه العائلة لها اسمها وهيبتها ولا بد أن تستمر هكذا، ولا بد من
 وجود حل لذلك المأزق إما الطلاق وإما الاستمرار.
 جمدت دولت فى مكانها، وأريد وجهها، ثم ضحكت ضحكة عالية
 وقالت...

- إذن أنت لا تمنع أن يفعل كل شخص ما يريد، ولكن شريطة أن يكون ذلك سرا، حتى لا يتأثر اسم ومكانة العائلة، هل هذه هي القيم السامية التي تنادى بها؟
وقف حازم قائلا فى سخرية...

- لا أعرف شيئا عن القيم السامية، وهذه المبادئ أنت من لقتنتى إياها، ولسنا نملك ما هو أغلى وأهم من سمعتنا خاصة أننا رجال أعمال، وينبغى أن نتجنب الفضائح قدر المستطاع، أما بخصوص ابنك وزوجته فقد وصلا معا إلى أدنى مراحل التدنى التى من الممكن أن يصل إليها زوجان فى علاقتهما، وأنا أرى أن ينفصلا وتظل الشراكة بدلا من استمرار الزواج مع الفضيحة!

ضحكت دولت وهى تقول بسخرية...

- رأى سيديا بالفعل خذوا الحكمة...

قاطعها حازم خارجا من الغرفة...

- بدلا من السخرية، أوجدى حلا فعلا لتلك الأزمة قبل أن تتحول إلى كارثة.

تركها وصفع الباب خلفه مرددا مزيدا من عبارات الغضب عن الفساد والانحلال.

* * *

أحيانا تكون هناك أيام أو ساعات أو لحظات تكون هى نقطة التحول فى حياة الإنسان وبالنسبة إلى بسمة فهى لم تصدق أذنيها عندما تم إخبارها صافى بالعرض الذى تقدم به د/مراد إلى حازم.
وقد فضل حازم إبلاغ بسمة بالأمر قبل صلاح، لأن رأى بسمة هو الأهم فى هذا الموضوع، كون الأمر يتعلق بها قبل أى شىء.

فهى لم تره سوى مرة واحدة عندما كان فى المكتب مع حازم .
ولكنها تسمع اسمه يتردد كثيرا سواء من حازم أو من صلاح .

ولم تستطع أن تتفوه بشيء سوى أن الرأى الأول والأخير يعود إلى
صلاح ، وعلى الرغم من وجود والدى صلاح وبسمة فإن صلاح بالفعل
كان هو صاحب القرار الأخير فى كل شيء .

عض حازم على شفته السفلى قائلا بحسرة...
- وهل هناك ما يمنع موافقتك حاليا إذا كنت ترغبين بالفعل فى
هذا الشخص؟

وضعت بسمة يدها على فمها تماما كالأطفال عندما يخطئون ثم قالت
بفزع..

- أنا لا أستطيع قول ذلك؟ سيكون ذلك موضع شك بالنسبة إلى
صلاح ، ومن الممكن أن يظن أنني أعرف مراد هذا من قبل ، فتفشل
الزيجة كلها قبل أن تبدأ!

أطرق حازم برأسه وقد تبين له صدق ما تقول ، وخير دليل ما حدث
مؤخراً لزوجته صافى عندما حاصرها صلاح بالأسئلة ، فهو يشك فى كل
شيء ، ولا يصدق إلا نفسه لذا فقد قال ببطء...

- وماذا عن إرادتك ، ورأى والديك؟
وهنا هزت بسمة رأسها علامة النفي... فقاطعتها حازم بمزيد من
الضيق...

- ولكنك لا تمانعين؟
فقالت بسمة بسعادة بالغة كالأطفال..

- بالطبع لا أمانع بل وأتمنى أن أرتبط بإنسان ذكى مثل د/ مراد!

هز حازم رأسه وقال بترؤؤ..
- إذن لم يعد أمامنا سوى العقبة الكبرى.. صلاح..

* * *

فقط أشخاص قليلون هم من يتعلمون من أخطائهم ويعون الدرس الذى
لقد تعلمناه إياه الحياة. سواء نجحوا أو فشلوا!
وكانت بيرى من هؤلاء الأشخاص، فقد كانت تؤمن بالتجربة
وأهميتها فى حياة الإنسان حتى إنها كانت تفخر بكل ما خاضته من
تجارب فشلت فيها أو نجحت.
وكثيرا ما رددت.. المهم أننى خضت التجربة واستفدت منها ووعيت
الدرس جيدا، لذا لم يتبقى سوى ألا أكرره مرة أخرى.
وكانت هذه الأقوال تثير أعصاب صلاح وحفيظته ناحيتها، فهو يكره
اليوم الذى أتت فيه إلى الشركة، بالرغم من ابتعادها عنه، وبقائها فى
مكتبها طوال فترة تواجدها فى العمل.
فإنه كان يخشى على زوجته صافى التى تتواجد مع بيرى فى نفس
المكتب.

ولأن بيرى كانت تدرك مدى العلاقة بينها وبين صلاح، فهو رئيسها
المباشر وهى مرؤوس؛ لذا فقد كانت حريصة كل الحرص على بقاء تلك
العلاقة فى إطار العمل ليس إلا.
وذلك أيضا حرصا منها على العلاقة بين حازم وصلاح، حيث إنها
لا تريد أن يخسر حازم (صلاح) باعتباره المحرك الرئيسى للعمل.
وهى تدرك ذلك وتعيه جيدا بل وتثق أيضا بقدرات هذا الشخص
الذى يضطهدا دون إبداء أى أسباب.

ولكن ما كان يخشاه صلاح حدث بالفعل، فقد تباينت العلاقة بين بييرى وصافى فى الفترة الأخيرة رغم تحذيرات صلاح بعدم التحدث مع بييرى مطلقا حتى لو فى إطار العمل.

ولكن رغما عنها وجدت أمامها إنسانة واعية مجربة ومدركة لما تقول، فاستشارتها فى العمل أولا، ثم تدانت العلاقة بينهما حتى أصبحت أقرب إلى الثقة والصدقة.

ولما كانت بييرى تعلم جيدا رأى صلاح فيها، فقد رفعت الحرج عن صافى قائلة...

- يجب ألا يعلم صلاح أننا أصدقاء، وإلا أصبحت حبيسة المنزل عقابا لتلك الصداقة!

وقد أحست صافى بشيء من العقلانية والصدق فى ذلك القرار، فنفذته دون نقاش، وبدأت أواصر الثقة تتوطد بينهما، بل إن صافى قصت عليها مزيداً من الأمور التى يصعب على أية زوجة أن تناقشها مع أقرب الأقربين.

وذلك لأنها متأكدة أنها لم تكن تجد مثل هذا الرأى السديد والواضح، فقد كانت بييرى بالنسبة لها عبارة عن قاموس فى التجارب الإنسانية. ولكن بييرى صُدمت وفُوجئت عندما علمت الطرق التى يطبقها صلاح فى العقاب مع صافى؛ فقد رأت بعينها الجرح الذى حدث بعد ارتطام رأسها وزجاج الطاولة منذ يومين.

كما علمت منها طرقا أخرى قد تكون أقل ضررا على الجانب الجسدى، ولكنها أشد ضررا على الجانب النفسى للمرأة.

وقد باتت بييرى متأكدة من أن تدهور العلاقة بينها وبين صلاح قادم لا محالة، وأنها وصلت معه إلى طريق شبه مسدود، خاصة إذا ما قررت

أن تساعد زوجته فى الحصول على حقوقها كزوجة وامرأة لها حقوق وواجبات.

لذا فقد قامت من فوق المكتب، وتأكدت من إغلاق الباب بإحكام، ثم بدأت تلقنها ما يجب عليها فعله، وصافى كلها آذان مصغية.

* * *

دوام الحال هو عين المحال كما يقولون. والحب من الممكن أن يتغير وتتبدل ملامحه على مر السنين، وهذا واضح وجلى للعيان فى جميع الزيجات التى بدأت بالحب وانتهت بالزواج، والتى بدأت بتعارف الصالونات وانتهت أيضا بالزواج.

والفرق واضح بين الحاليتين فالحالة الأولى غالبا ما تكون هناك بعض المشاكل والخلافات بعد ثلاث سنوات من الزواج، أما الحالة الثانية فالمشاكل تبدأ عادة بعد الزواج مباشرة والحب هو الذى يأتى بعد السنوات الثلاث.

وفى ظل هذه الأوضاع المعكوسة تغلبت الحيرة على العديد من المفكرين وعلماء النفس فى فهم شخصية الرجل والمرأة، بل ومحاولة سبر أغوارها فى ظل هذا الرباط المقدس.

ولكن هيهات، لقد باءت كل المحاولات بالفشل، وذلك ليس ضعفا منهم أو تشكيكا فى قدراتهم بل على العكس، ولكن لأن التحليل النفسى للرجل شىء، وللمرأة شىء، وما يحدث وراء الأبواب المغلقة شىء آخر. لذا يكون النوع الأول هو التعارف والحب بين الطرفين قبل الزواج والذى يستمر بعده مدة ضئيلة، والنوع الآخر هو التعارف والحب بعد الزواج بحكم العشرة والاحترام المتبادل بين الطرفين.

وهذا تحديدا ما يحدث بين مروة ونادر، فالأولى تشبعت بالخبرة وتود أن تكون لها شركتها الخاصة، خاصة أن لديها الدعم المادى ممثلا فى والدها الحاج عبد العزيز، والثانى لا يوافق على هذه الفكرة ويرفضها بشدة لعدة أسباب...

أولا... الانفصال الكلى عن الحياة الزوجية، خاصة بعد كثرة الخلافات بينهما على كل الأشياء.

وثانيا... الابتعاد بشكل كبير من الناحية المادية مما يجعلها تسبقه بمراحل، فعلى الرغم مما يجنيه نادر من عمله بالشركة، فإنه لم يستطع نسيان الفرق الطبقي بينه وبين زوجته.

وثالثا... رفضه مبدأ عمل المرأة من الأساس، فقد وافق فقط من أجل إتمام الزيجة، ثم حبه الشديد لها، وأخيرا عملهما فى مكان واحد وجعلها تحت ناظره طوال الوقت.

فهو على الرغم مما وصل إليه من علم ودراية بأحوال المجتمع من حوله، فإنه لم يتخلص بعد كليا مما أنشأه عليه والده.

وأمام المحاولات المتكررة من مروة التى لا يعرف اليأس طريقا لها، خارت قواه دون أية مقدمات أمام عنادها، ووجد نفسه يبحث عن أية وسيلة فى سبيل إنقاذ هذا الحب.

وقد قررت مروة عقد اجتماع أسرى يعرض فيه كل منهما رأيه ووجهة نظره، ومن استطع إقناع الآخرين فستكون له الكلمة الأولى والأخيرة.

ورفض نادر ذلك الأسلوب الذى يجعل من حياته الزوجية مجلسا عاما قابلا للاقتراع، فهو لا يزال يرى نفسه سيد الموقف فى منزله، وعلى زوجته أن تطيعه وتتبعه فى كافة القرارات.

ولكن مروة حطمت تلك الرؤية، وأصرت على الذهاب لوالدها
والتحدث معه فى الموضوع بشكل علنى.. ولم يكن على نادر سوى
الانتظار...

* * *

(ليس كل السيئ سيئاً، وبالتأكيد ليس كل الجيد جيداً)
لأن البشر عادة يخطئون، وهذا من الطبيعى لأن جميعنا أخطأ
ونخطئ وسوف نخطئ.
فالإنسان بطبيعته ليس معصوماً من الخطأ، ولكن الأهم هو أن نتعلم
من تلك الأخطاء.

وكان خطأ مى الكبير هو أحمد. فقد أحببت هذا الشاب قبل أن
يأتى للشركة، وذلك من خلال ما تحدث به صلاح عنه وهو لا يزال فى
الإسكندرية.

فقد منحه أوصافاً لا تتوافق إلا مع بطل كبير أو شخص عظيم، يقوم
بما يعجز عنه الآخرون.

ولأنها بريئة جداً، ونقية جداً.. فقد تحمست لرؤيته وللعمل معه،
ظننا منها أنها سوف تقابل شخصية خرافية قادمة من الأساطير، ولكنها
وجدته شخصاً عادياً وطبيعياً: يتكلم ويضحك ويبكى.

ولكن ما يميزه بالفعل هو تركيزه الكبير على العمل، وصمته وانعزاله
عن أقرانه، والهروب الدائم من المواجهات والأسئلة خاصة فيما يخص
الحياة الشخصية.

وقد جعلها هذا الصمت وتلك الجدية تحبه وتتعلق به أكثر، بل
ورأت فيه الشخص الذى من الممكن أن يكمل معها ما تبقى من الحياة.

ولكن الغريب أن كل من فى الشركة لاحظ هذا الانجذاب ما عدا أحمد نفسه ، وأصبح السؤال الأهم هو:

هل هو يشعر بذلك ويحاول تجاهله بطريقة أو بأخرى؟ أم أنه بالفعل ليس لديه الوقت للوقوع فى الحب أو الإحساس بالآخرين؟

وعلى الرغم من حالة الجمود التى هو عليها، فإنها حاولت أكثر من مرة لفت الانتباه من خلال بعض المواقف.. كالإدلاء برأيها فى تصميم قام به ، أو تشارك فى حوار هو طرف فيه، ولكنها دائما ما كانت تعود إلى نقطة البداية مرة أخرى دون أية نتائج.

ثم يعود ويفاجأها بأنه لا يزال هناك بصيص من الأمل من خلال إطراء على فكرة من أفكارها البسيطة العبقريّة، أو إبداء إعجابه برؤية قديمة من الممكن أن نجرب عودتها مرة أخرى.

وهنا تجد لنفسها متنفسا جديدا تعود من خلاله لأحلامها الوردية، فى أن يفيق من التزاماته وينظر حوله فيجدها لا تزال فى انتظاره.

ولكن كان هناك من ينظر إلى هذه العلاقة على أنها سوف تفشل فى كافة الأحوال مثل.. حازم، بيرى، مروة، وصافى.. وقد كانوا يصرون على أنه لا يوجد رجل سواء أحمد أو غيره سيقبل على علاقة تنتظره، بل على العكس هو يفضل دائما اختيار المرأة التى عليه أن يطاردها.

لأن البشر جُبلوا على ذلك، هم يفضلون البحث حتى إن كان الخيار نصب أعينهم وطوع بنانهم، هم اعتادوا على ذلك، ولا يرغبون فى أن يوفر لهم الآخرون الشيء المناسب.

ودائما ما ردد أحمد فى هدوء...

– وما الذى يجعل الناس يقررون للإنسان؟ وكيف يعلمون أن ذلك

الاختيلار هو المناسب للآخرين؟

لذا فإن كل شخص لديه الحرية فى الاختيار وصنع القرار بنفسه
ولنفسه . ولا يحق لأحد أن يفرض هيمنته عليه ، لأن كل إنسان يعلم
متطلباته من الحياة.

بل ويعرف كيف ومتى وأين يجدها؟ إذن لماذا يتدخل الناس فيما
لا يعينهم؟ وفى كل شىء؟

وبالطبع صدمت هذه الكلمات مى . ليس فقط من أجل صراحتها
المفرطة . ولكنها ولسبب ما أحست أن من الممكن أن تكون هذه الكلمات
هى المعنية بها.

* * *

رغم التردد الذى انتاب صلاح فى الموافقة على زواج بسمه من مراد ،
وقد كان بالطبع لديه أسبابه...

أولا... هو من وجهة نظره الصديق الحميم والمقرب جدا من حازم ،
ولا يفترقان تقريبا . ثانيا.. عدم تواجد أى تشابه بين الظروف التربوية
بينهما . ثالثا.. عدم اقتناعه بالطب النفسى كفرع من فروع الطب أساسا .
ولكنه توقف أمام رغبة والديه الذين طلبوا منه الانصياع لرغبة شقيقته
الصغرى . ثم إنه طبيب حتى ولو كان للأمراض النفسية .

ولم يكن صلاح حتى هذه اللحظة جالس مع بسمه كى يعلم منها
رأيها وانطباعها عنه حتى يصل إلى رأى حاسم . فهى بالنسبة إليه
ليست سوى مجرد تحصيل حاصل وسوف تنفذ ما يقرر دون نقاش .

لذلك فقد أخبرها بأن والديها موافقان شريطة أن يتم الزواج دون
خطبة أو مقدمات ، وذلك خوفا من أن يكون الهدف الأساسى من عرض
الزواج هو فترة خطوبة يلعب فيها مراد بمشاعر بسمه ، ثم يتركها دون

إبداء أسباب واضحة، وكان ذلك الخوف نتيجة العلاقة التي تربط بين مراد وحازم، فقد كان كل ما يخشاه صلاح أن تكون أخلاقهم متشابهة، ولم تعلق بسمه على ذلك القرار، بل على العكس فقد رقص قلبها طرباً لسماع هذا النبأ.

أما مراد فقد اندهش من الطريقة التي يفكر بها صلاح، وقد أبدى استياءه منها واعترض على قراره، وذلك عندما زاره صلاح في العيادة كي يخبره بما تم، وبما قرر...

ولكن صلاح علا بنبرة صوته مهدداً، أن قراره غير قابل للنقاش، وأن كل ما عليه هو أن يقبلها أو يرفضها!

ولكن رد مراد كان مفاجأة لصلاح، وعلى غير ما توقع، فقد رجع في مقعده بمزيد من الثقة، وبهدوئه الذي لا يفارقه...

- أستاذ صلاح.. إذا كنت أتيت إلى هنا وتكبدت عناء الانتظار كي تهددني، فتكون قد قمت بالاختيار الخاطيء، فأنا على عكس ما تتوقع لم ولن يتم تهديدي من قبل، كما أنك لم ولن تقابل أحداً مثلي. انتفض صلاح من مكانه مستنكراً، ورد بخشونة...

- أنا مهندس ولست أستاذاً، كما أنك لن تتزوج شقيقتي دون موافقتي، وهذا آخر ما لدى!

ابتسم مراد لثورة صلاح، والتي حدثه عنها حازم وقال بصوت ثابت وهادئ:

- لماذا وقفت يا باشمهندس صلاح؟ إننا نتناقش هنا نقاشاً موضوعياً بحثاً، أنا أطلب منك يد شقيقتك.. وأنت ترفض دون إبداء سبب مقنع، ومن حقي أعلم سبب عدم قبولي، وأعتقد أن هذا من حقي.

ظل صلاح واقفا ومتحفزا، فهو لم يعتد من قبل ذلك النوع من الحوار، لذا فقد وضع يديه على طرف المكتب وقد تطاير الشرر من عينيه...

- أنا أزوج شقيقتي لمن أريد، ولست مطالبا بإبداء أية أسباب، إنها حرية شخصية!

تدخل مراد مقاطعا، بصوت مؤثر أكثر...

- ولكن إذا كانت رغبة شقيقتك عكس ذلك، فماذا سيكون موقفك وموقف الوالدين؟

رفع صلاح سبابته أمام عيني مراد....

- لقد تماديت معك في هذه المهاترات... ولعلمك.. في أسرتي الكلمة الأولى والأخيرة لي!

شعر مراد بمدى تطرف شخصية صلاح، وتطور الموقف، فقام من مقعده وتوجه نحوه قائلا بابتسامة صفراء تخرج من بين أسنانه...

- على الأقل من حقي أن أعلم لماذا تتخذ مني هذا الموقف، دون أن يعرف كل منا الآخر!

نظر له صلاح بقوة ثم ما لبث أن لانت قسما وجهه وقال في صوت خفيض نسيبا...

- هذا الموقف بسبب آرائك التي بحث بها في بداية اللقاء، ثم إنني لست مرتاحا لتلك الزيجة، يكفي أنك صديق حازم.

ضحك مراد، وقد علم أنه حقق ما يريد...

- وهل حازم سيئ لهذه الدرجة؟ إنه صديق عمري وقد نشأنا معا، ولك أن تعلم أنه لولا ما قاله حازم عنك وعن أسرتك الكريمة ما تقدمت بهذا الطلب أبدا.

أما بخصوص آرائى وأفكارى، فهذا شىء فى صفى وليس ضدى...
أترىد أن تتزوج شقيقتك من رجل صاحب كلمة وموقف أم تتزوج أى
شخص لمجرد أنه ذكر؟

صمت صلاح برهة ثم انتفض قائلاً...

- ليس لدينا خطبة أو شىء من هذا القبيل.. إذا كنت ترىد الزواج،
فإنه سيكون مجرد عقد قران فى إطار عائلى، هل لديك أى اعتراض؟
وبالرغم من آلاف الاعتراضات التى كانت تصرخ داخل مراد، وبالرغم
من علمه بمدى فداحة هذا الخطأ، فإنه كان لا يملك سبيلاً إلا أن يوافق
على ما اقترحه صلاح..

لذا فقد نظر إلى عينيه مباشرة، وقال دون تردد و بصوت من حسم
أمرًا.. موافق.

* * *

بعيدا عن الشركة الهندسية، فقد اجتمعت دولت هانم بمجلس
إدراتها كاملاً وذلك لتحديد ملامح الخطة الاقتصادية الجديدة التى
اعتمدها مؤخرًا مع عمر.

وكذلك توزيع الأرباح السنوية والمكافآت على العاملين بالمجموعة،
ولم يكن حازم يجد وجوده مبرراً فى ذلك المجلس سوى إطاعة أوامر
والدته التى أصرت على حضوره قبل أى شخص، لذا فقد كان يعتبره
عقاباً من نوع خاص أو تعذيباً نفسياً له.

وقد عقد المجلس كاملاً دون غياب أى مدير واحد من مديرى
المصانع، وفى غمرة انشغالهم بالمراجعات والميزانيات والأرباح، فوجئ
الجميع بسارا تدخل إلى قاعة الاجتماعات، وهى تترنح مخمورة فى
الحادية عشرة صباحاً.

ارتبك الجميع ولم يستوعب عمر الموقف بشكل جيد فى البداية، ثم نظرت دولت نظرة نارية نحوه جعلته يقفز من مكانه ويتجه نحوها. أمسك عمر مرفقها بقوة وجذبها خارجا نحو مكتبه، ولكنها أبت أن تتحرك، وترنحت بيده كالصفيور، وكادت تسقط نتيجة عنفه وقوة ذراعه، فقد كانت ضعيفة بالنسبة إلى رجل مثل عمر.

أما حازم فقد كنتم ضحكة كادت تفلت من بين شفثيه، وهو يرى المجلس الموقر يشهد على تلك الفضيحة الأخلاقية، التى تنبأ بها منذ أيام. وأخيرا.. انهارت سارا على الأرض وهى تتلفظ بألفاظ نابية عن دولت وولديها، وعن سوء عاقبتها وانعدام ضميرها وتحجر قلبها الذى لا يضر للبشر إلا الشر.

ولم يستطع عمر أن يستمع لمزيد من تلك الترهات التى تتلفظ بها سارا، وفى نفس الوقت لم يكن يريد أن يستمتع الحضور بالمزيد من هذا العرض المجانى..

لذلك فقد هوى على وجهها بصفعة أفقدتها الوعى من فرط قوتها، ثم حملها ووضعها فى مكتبه وأحكم غلق الباب جيدا ثم عاد لمتابعة أعمال مجلس الإدارة بهدوء شديد يحسد عليه، وكان شيئا لم يكن.

ولكن هذا الهدوء كان من الخارج فقط، هو القشرة التى تخفى تحتها البركان الذى يعتمل فى أحشائه، فقد بلغ السيل الزبى كما يقولون.

وفى تلك اللحظة اتخذ عمر قراره بالتخلص من سارا نهائيا، كى تنتهى سلسلة الفضائح التى ستودى حتما بمستقبلهم.

لذا فإن دولت هائم لابد أن تتفهم الأسباب التى دفعت به إلى قرار الطلاق.. نظرا لما حدث اليوم، وبمنظرة واحدة أدركت دولت ما يفكر فيه

عمر، ومدى المعاناة التي يمر بها، لذلك فقد أنهت الاجتماع على أن يستكمل فيما بعد.

وتنفس حازم الصعداء نتيجة هذا القرار، ولكنه فوجئ بوالدته تجذبه من يده نحو مكتب عمر. ليجدوا سارا لا تزال فاقدة الوعي. أجفلت دولت في البداية من أن تكون أصيبت بشدة. فأشاح عمر بيده قائلا في ازدياء:

- إنه تأثير الخمر ليس إلا، إنني لم أصفعا بشدة فقد كانت فاقدة للوعي قبل أن تأتي..

قامت دولت من مكانها، وحاولت أن تهزها مرة أو مرتين قبل أن تستجيب سارا لنداءها المتكررة.. متأثرة لوهلة قبل أن تردد في تحد غاضب..

- لم يصفني أحد من قبل أيها الهمجي!
ذهب عمر باتجاهها، وخشيت أن يضربها مرة أخرى فأخفت وجهها بيدها، فضحك عمر وأحضر لها فنجانا من القهوة قائلا في سخرية..
- تناول هذا، سيخرجك من حالة السكر ويمحو الصداع من رأسك، ثم دعينا نستمع إلى شرح واف منك عما بدر منك منذ قليل.

* * *

أحيانا نذهب إلى العمل وليس لدينا القدرة على القيام بأى شئ..
وأحيانا أخرى إذا لم نجد ما نفعله نخترع شيئا يشغلنا عن مرور الوقت الثقيل ودقات الساعة البطيئة.

وذلك ما كانت تفعله بيري وصافي في أوقات الفراغ التي تمر عليهما بالمكتب، فقد تفرغت بيري لحل مشكلة صافي ليلا ونهارا، إلى أن استقر ذهنها على فكرة تقويم عقل صلاح بسياسة الأمر الواقع.

ولكن صافى أخبرتها قبل أن تشرع فى عرض أية أفكار أنها حامل فى شهرين، وتخشى أن تخبره فيأبى أن يعاملها معاملة حسنة ويستمر فى معاملته لها كالأسيرة.

وهنا حل الذهول مكان الشفقة، فقد كادت بيرى تصرخ من شدة الغيظ، فقالت فى غضب:

- كيف يمكنك أن ترتكبى مثل تلك الجريمة؟ كيف يمكنك أن تأتى بطفل إلى هذا العالم دون أن تعرفى ما إذا كنت ستستمرين مع والده أم لا؟ كيف تستسلمين دون مقاومة تُذكر فى وجه رجل يُعاملك كما يُعامل العبيد، هذا إذا ما كان لا يزال هناك عبيد!

أطرقت صافى برأسها وقد فهمت الهدف الرئيسى وراء ثورة بيرى، فقالت فى خجل..

- ثورتك مبررة ولن أستطيع أن أوضح مدى فداحة الخطأ الذى ارتكبته، ولكنى مازلت أحبه...

فصلاح على الرغم مما هو عليه فإن له العديد من المميزات، مثل قلب طيب من ذهب، وحنان يستمد منه العالم كله الدفء والحب. وهنا ثارت بيرى مرة أخرى مستنكرة، وقائلة بانفعال.

- صافى.. أنا أعرف صلاح منذ مدة قليلة، ولم أشعر فى يوم واحد بأنه قادر على أن يمد أهدًا بالحب والدفء والحنان.

اقتربت صافى من بيرى وأخفضت من صوتها حتى كاد يحاكي الهمس...
- إننى عنيت كل كلمة صدقيني ولكنه لا يحب أن يشعر أحد بذلك، فهو يعتبر هذه هى نقطة ضعفه الوحيدة، بل ومشكلة لا يمكنه أن يتخلص منها.

هزت بيرى رأسها وقد هدأت بعض الشئ..

- إننى لا أرى فى ذلك مشكلة، بل عقدة نفسية! صلاح يخشى من كل الناس ويتوجس منهم خيفة، ويعاملهم معاملة سيئة، وهل يحاول إخفاء حبه عنك أنت أيضا يا صافى؟ ومنذ متى يعد الحب نقطة ضعف؟ رضخت صافى لما قالت بيبرى، ولم تعقب وسألت فى ضعف ...
- لا أدرى جد ما أفعل، ولكنى لا أريد أن أؤذيه، أو أجرحه، فكيف أتعامل مع هذا الوضع؟

صمتت بيبرى برهة. ثم قالت فى هدوء:

- ليس أمامنا حل سوى أن نجبره على الاعتراف بكل ما يعتمل فى صدره، وتلقينه درسا بأن يتصارع مع جميع الناس فى كل ما يتعلق بهم سواء كان للأمر علاقة بالقلب أو بالعمل.
وافقت صافى على تلك الخطة، كما أصرت بيبرى على كتمان أمر الحمل إلى حين وضوح نجاح الخطة من عدمها.

* * *

اعتاد حازم أن يلتقى ومراد كل ليلة فى عيادته بعد أن ينتهى من آخر مريض، ويفرغ من وضع أجندة اليوم التالى.
وكان حازم يريد أن يعرف نتيجة حوارهم مع صلاح بشدة، حتى إنه لم ينتظر وسأله مباشرة..

- ما الذى حدث بينك وبين صلاح؟

أخذ مراد نفساً عميقاً، ثم أفرغه من صدره من خلال تنهيدة طويلة أفرغ فيها كل انفعاله...

- الرجل ليس سهلاً على الإطلاق يا حازم، لقد أخبرتنى أنه من السهل التأثير عليه، ولكنه يمتلك رأساً من الفولاذ، ثم إنه عنيد وغبى ورجعى لأبعد الحدود.

ضحك حازم وهو يقف كى يتناول زجاجة من الماء..

- لماذا كل هذا السخط؟

اعتدل مراد فى مقعده. قائلاً فى سخرية...

- تخيل شخصاً فى الألفية الثالثة يريد أن تنزج شقيقته دون خطبة، أو سابق معرفة بالشخص الذى سوف ترتبط به، فقط لأنه ووالديه تزوجا على تلك الطريقة! كما أنه عنيف فى رد فعله، ومنتسرع فى أحكامه، وقاس أيضاً فى ألفاظه، لقد قمت بقياس ردود أفعاله أكثر من مرة، وإذا صح التعبير يمكنك أن تقول إنه متهور!

أمن حازم على كلامه، ولكنه رفع سبابته قائلاً فى هدوء...

- ولكنه عبقرى، أمين، قيادى، قوى الشخصية ورابط الجأش..

وهذا يكفى كى يكون الشخص الذى هو عليه!

ولكن المهم.. هل وافقت على هذه المهزلة أم أنك تراجع عن تعلقك

بها؟

رد مراد بهدوء وهو يلف رأسه بيديه...

- بل وافقت.. وسوف يتم باقى الإجراءات فى الوقت الذى

سيحدده هو بنفسه! ولا أخفى عليك أنه يراودنى إحساس غريب من

هذا القرار...

لأن عقلى بين المطرقة والسندان، فيما بين تعلقى ببسمة، وبين

التعنت والتعسف والتذمر وكل الصفات التى يمكنك أن تقولها على ذلك

الصلاح!

واكتسى وجه حازم بالجدية قائلاً:

- لو أنك متردد يمكنك الرجوع، والرجوع الآن أفضل بكثير من

الرجوع بعد الزواج، لذا وجب عليك أن تحدد موقفك من الآن مع صلاح.

صمت مراد، ثم قال بعد صمت طويل..
- إننى شغوف بها، ولكن لا يمكننى أن أحدد ما يعتمل داخل قلبى
إن كان حباً أم لا، ولكن كل الخوف من أن تكون قد تأثرت بصلاح
هذا، أو أصبحت مثله... ستكون هذه هى الطامة الكبرى!
لم ينته الحديث عن هذا الموضوع، ولكنهما صمتا فيه حتى يصلا إلى
شقة المعادى.

* * *

تفاقت فى الآونة الأخيرة المشاكل والخلافات بين نادر ومروة مما
أدى إلى كثرة تواجدهما بمنزل والديها، وابتعادها عن العمل بشكل
متقطع.

وحرصت فى تلك الزيارات العائلية أن تتجنب بث همومها لوالدها
أو والدتها، خشية من تطور الموقف أو خشونة التعامل مع نادر.
لذلك فقد لجأت إلى داليا ابنة عمها، ولأن داليا كانت دائما ما تقف
فى صف نادر بسبب وبدون سبب، فقد آثرت مروة أن توفر الجهد الذى
تستهلكه معها كل مرة لإقناعها بالعكس.

وعلى النقيض فقد كان شادى شقيق داليا يقف دائما بجوار مروة على
الحق والباطل، وذلك لما يكنه لها من حب منذ أن كانوا أطفالا.
إلا أنها كانت ولا تزال تعتبره الأخ والصديق أما هو فمشاعره
وأحاسيسه لم تتغير من ناحيتها رغم زواجها من نادر وحبها له.

ولم يكن هناك أسوأ من أن يشكو لك شخص تعشقه لدرجة الجنون
مشكلة يعانيتها مع شخص آخر، وليس عليك سوى أن تستمع وكل نبضة
فى قلبك تكتوى بنار تلفح ألسنتها جداره، ويعتصرك الألم اعتصارا،

بل وتبحث عن حل يخلصها من هذه الدموع والآلام، دون الانفصال عن نادر لأنها تحبه ومازالت تحبه.

ولأنه يريد أن يستمع إليها دون إزعاج سواء من داليا أو من والدتها، فقد عرض عليها أن يخرجها من جو المنزل الكئيب كي يتمكن من الوصول إلى حل جذرى إلى تلك الأزمة العاطفية.

وبالفعل جلسا وتحدثا عما يؤرقها، ومر الوقت دون أن يشعر به، حتى تمكنا فى الأخير من الوقوف على رؤوس كل الخلافات. فقد اهتدى عقله إلى حل بليغ وهو تشجيعها على العمل الخاص بها، والضغط بواسطة أبيها.

أما بخصوص الحياة الزوجية فقد أوحى إليها بأن نادر لا يملك من أمره شيئا، وأن والده هو الذى يسيّره، لذا فما عليك سوى أن تتجنبى المناقشات والخلافات معه قدر المستطاع، ولأنه يتصيد لك الأخطاء، وهو نفسه كثير الهفوات والأخطاء لذا عليك أن تحرصى على أن تقومى العكس.

ووجدت الساعة بلغت السابعة، فقررت أن تغادر، وعلى الرغم من أن الوقت مر كأنه ماء يتسرب من بين أيديهما... فإنهما على الأقل توصلا لأكثر من حل...

* * *

مر الوقت ثقيلًا على أحمد وهو يجلس دائما بمفرده دون أن يحرك ساكنا، لا يريد أن يحدث أحداً، أو يتحدث إليه أحد، فهو يشعر بالضيق لعدة أسباب...

أولا.. عدم وجود ما يشغله من مشاريع جديدة، ثانيا.. ابتعاد بيبرى عن جو المكتب وانشغالها مع صافى معظم الأوقات وتعهد إغلاق الباب

باستمرار، ثالثاً.. الرغبة القوية فى إيجاد سبيل للحوار معها ولكنها دائماً ما تعزف عن ذلك، حتى ولو فى صميم العمل؛ مما أكسبه شعوراً ذاتياً بالعجز، رابعاً.. - وهو أهم الأسباب - العقدة التى سببها له والده، والتى لا يزال يعانى منها منذ أن تركهم وهم صغار، فداًئماً كان على يقين بأن الطرف الآخر سوف يهرب دون إبداء الأسباب.

وهكذا تزاخمت الأفكار فى ذهنه حتى شعر بالصداع يلف رأسه ويكاد يفتك به، وحاول طلب المزيد من القهوة ولكنه اكتشف أنه تناول أكثر من خمسة فناجين وتلك كمية لا يمكن للجسم أن يحتملها، خاصة أنه لم يتناول أى طعام منذ الصباح.

وفجأة اهتدى ذلك العقل الذى لا ينفك أن يهدأ إلى فكرة عبقرية شيطانية فى نفس الوقت، فقد وجد بيرى معظم الوقت منشغلة مع صافى، وصافى هى زوجة صلاح الذى يكن عداوة لا مثيل لها إلى بيرى. وهنا ربط أحمد ما بين الخيوط وبعضها، ووجد أنه يمكنه بسهولة شديدة أن ينفرد ببيرى عن طريق إقناع صلاح بأن بيرى تدبر له شيئاً أو أمراً ما، وتريد أن تنفذه عن طريق صافى.

وبفضل الثقة المتبادلة بينه وبين صلاح، واقترابه منه واقتناعه به، وبقليل من الحيلة سينجح فى إبعاد بيرى عن صافى لأنه واثق من رد فعل صلاح. وبذلك يكون حقق ما يريد دون أن يضطر إلى طرق الباب، أو اختلاق الأعذار، كما سيتمكن من الانفراد بها بشكل أو بآخر.

ضحك أحمد وصفق لنفسه وهناً على عبقريتها، وشعر بمدى سعة حيلته، وبقدرة هذا العقل الجبار الذى يمكنه أن يحل أية مشكلة مهما كانت معقدة.

و أخيرا استطاع أن يرضى عن نفسه، وقد تملكه شعور غريب من
النشوة أنساه تماما ما يعانیه من جوع.

* * *

لكل بنت أحلامٌ عن ذلك الفارس، ودائما ما تتمنى أن يشبه شخصًا
ما سواء في الشكل أو الوسامة أو حتى العمل.

أما مى فقد كانت غير كل هؤلاء الفتيات، فدائما ما كانت لها أحلام
غريبة، لم يكن يهمها ما إذا كان يتمتع بأية مهارة أو موهبة. قدر ما
كانت تفضل أن يحبها إلى درجة الجنون.. لدرجة العبادة، بل لأقصى
درجات العشق، بحيث لا يستطيع أحد منهما العيش أو الحياة بدون
الأخر، وتكون نهاية أحدهما - على الأرجح - المرض أو الموت.

وتلك النظرية القاتمة اكتسبتها من خلال ما مر عليها من خبرات
وتجارب، حيث توفي جدها إثر سقوط جدتها جراء أزمة قلبية. ولكن
مفارقات القدر أن تعيش الجدة بينما يموت الجد حبا.

وأبوها الذى لم يحتمل الفشل فى صفقة أو صفقتين، وفضل أن يغادر
حياتهم تماما ويذهب بعيدا على أن تكون أمها أغنى منه، ومات عبثا
دون أن يثبت لها أنه على قدر المسئولية.

وعلى غرار تلك النماذج كانت مى تتمنى هذا الفارس، لكن بالطبع
تتمنى ذلك الجزء الخاص بالحب، وتكره ما تبقى من تلك المأساة التى
تكررت فى هذه الأسرة مرتين.

وعندما فكرت مى فى أحمد بتلك الطريقة، حاول الجميع إقصاءها
عن هذه الفكرة، ولكنها لم تكن تعرف السبب وراء ذلك، ربما يكون
هناك شىء هم جميعا يعرفونه عنه فى الوقت الذى يدعى هو أمامها
عكس ذلك.

وكما مقت صلاح بيرى منذ اللحظة الأولى، فإن حازم مقت بالمثل أحمد منذ اللحظة ذاتها، لذلك فقد كان حازم دائما ما يبحث عما يزعج أحمد ثم يفعله.

ولم يتردد لحظة في البحث عن خطيب مناسب يشغل به وقت مي، لما وجد أن أمرها ربما يهم أحمد في شيء، ولم تتمكن مي من إخفاء دهشتها مما أخبرها به حازم.

وكم تكون درجة السعادة حين تعلم أن هناك شخصا يهتم لأمرك دون أن تدري بذلك، وعليك أن تضاعف ذلك المقدار عندما تعلم من هو؟ فقد أخبرها حازم عن (يوسف) وهو ابن خالته، طيار يعمل لدى شركة (إير فرانس)، وقد رآها في أحد عروض الأزياء الخاصة بالمجموعة.

ونجحت مي في أن تتذكره، وكم أبدى هو إعجابه بها وقتها، كما أثنى على تفوقها في عملها كمهندسة. ولكن تلك المقابلة لم تعلق كثيرا في ذهنها، ولكن حازم استطاع أن يقنعها أنها بقيت في ذهنه هو!

- كما حاول أن يقنعها بموعد يمكن من خلاله أن يذيب يوسف بعض الجليد بينهما، إلا أنه لاحظ أنها لا ترغب في ذلك بل تحاول الهرب منه خلف ستار من الحياء والخجل.

وعلى الرغم من ذلك ظل يحاول حتى وافقت على أن يمنح يوسف رقم الهاتف فقط، على أن يدع له الطريقة والأسلوب الذي سوف يستخدمه كي توافق على الخروج معه، وما إذا كانت سيلانمها أم لا؟

وفي قرارة نفسه كان يعلم أن يوسف سوف يعترض على هذا الأسلوب المهين بالنسبة له، فهو من خلال عمله كطيار ناجح على علاقة بالعديد من الفتيات الجميلات بل لا يبالغ أن وصفهم بالفاتنات.

كما أن كل واحدة منهن تتمنى لو تدخل معه فى علاقة ولو يوماً واحداً، ولكنه لم يجد أمامه حلاً آخر كى يستفز أحمد سوى هذا الحل. لذلك فقد اعتمد الخطة فى رأسه على أن يتمكن من إقناع يوسف باصطحاب مى فى موعد، وعلى الطريقة التى سوف يتبعها لإقناعها.

* * *

الرحيل... من أصعب القرارات التى يمكن أن يتخذها الإنسان، ومنذ أن سافر كريم شقيق مروة وهم يعيشون جميعاً معاناة تجمع ما بين القلق والخوف.

ولكن المعاناة ليست مقصورة على من سافر واغترب، ولكنها أيضاً على من يعانى من العذاب والحب من طرف واحد.. عندما تحب ولا يشعر بك الآخر، عندما تفكر له وفيه، عندما تكتوى بالنار وتستمتع بلهبها، عندما تموت عشقا وتصرخ طالبا المزيد.

ولأن حالتك لا أمل فى شفائها، فإنك لا تجد حلاً سوى أن تترك المكان وترحل لأبعد نقطة بينك وبينه، عسى أن تجد فى البعد الدواء أو تخلق ملاذا لنفسك وخلصاً من تلك المعاناة.

وكان ذلك القرار يراود شادى منذ فترة طويلة، وأرسل أكثر من رسالة إلى كريم عبر الإنترنت يخبره فيه بأنه مستعد للسفر وبشكل نهائى عن هذا البلد. ومع إصرار شادى لم يكن أمام كريم حل سوى أن يبعث له بالبشرى السارة التى تؤكد اقتراب موعد سفره، ولم يكن عليه سوى استخراج أوراق السفر.

ولم يعد أمام شادى إلا أن يمهد الحديث عن السفر إلى شقيقته داليا وعمه وزوجة عمه، ولكن كل ذلك لم يؤرقه فى شىء، ما أرقه حقاً وجعل النوم يأبى أن يعانق جفنيه، هو وقع الخبر عندما يصل إلى مروة.

وماذا سيكون رد فعلها؟ هل تتألم لرحيله؟ هل تشعر بما يشعر به ويعتدل داخله؟ وتلك المشاعر التي تختلجها هل يكون لها تأثير عليها؟ هل تقترب منه وترجوه ألا يسافر ويتركها وحدها؟ وماذا ستفعل هي في مشكلتها؟ وماذا سيكون الحل إذا حصلت على الطلاق وأصبحت بلا زوج؟ وأيضا ماذا إذا ما عادت الأمور إلى ما كانت عليه بينها وبين نادر من جديد؟

وأخيرا اهتدى عقله إلى شيء مهم، وقرر أنه سيعود إذا ما حصلت مروءة على الطلاق، أما إذا ما لم تحصل عليه فإنه سيظل في أمريكا إلى ما شاء الله.

كما أن عليه أن يجد عملا سريعا، حتى يضمن أن يعيش في نفس المستوى الذي يعيش فيه الآن. وأيضا عليه أن يتعلم كيفية الاعتماد على النفس مادام أنه سوف يبقى مدة طويلة وحده بالخارج. فقد كان يعتمد على داليا وزوجة عمه بشكل أساسي في كل ما يخص الحياة المنزلية، بينما يعتمد عليه عمه في المصنع والمعرض اعتمادا كلياً نظرا إلى كونه خريج كلية التجارة، وهو أحرص الناس على ماله ومال عمه. ظل شارد الذهن في غرفته ما تبقى من الليل دون أن يغمض له جفن، ولم يجاهد كثيرا وهو يسترجع ذكريات لقائه الأخير مع مروءة. وبقائهما معا قرابة خمس ساعات، وكانت تلك اللحظات هي أجمل شيء يمكنه أن يختم به الليلة، فأغمض عينيه.. وراح في سبات عميق.

* * *

عندما تحب إنسانا بقوة، يتملكك شعور غريب مزيج من الأنانية والغيرة.

فقد أحب صلاح صافى من النظرة الأولى التى وقعت عيناه عليها، وما من شك فى ذلك.. كما أن هناك خلافاً قوياً بينه وبينها نشب فى شقتهما مؤخراً.

ولم يعف عنها حتى الآن على الرغم من أنه هو الذى اعتدى عليها، ولكن ما إن أصغى إلى أحمد حتى أصابه الهياج كمن مسه الجنون أو الشيطان...

ولم يستطع أن يكبح جماح غضبه، ولا السيطرة على أعصابه.. ووقع ما كان يخشاه دائماً...

ولطالما طلب من حازم أن ينقل صافى إلى مكتب آخر أو تظل فى نفس المكتب مع باقى المهندسين، ولكن حازم دائماً ما كان يقابل ذلك الطلب بالرفض.

وكان يعلل الرفض بأنها من الصعب أن تتأثر بأى مؤثر خارجى، مادامت هى على عقيدة قوية من أمرها وبما تؤمن به، كما أن بيرى مهندسة ديكور وليست من آكلى لحوم البشر.

وليس من اللائق أن تظل وحيدة بالمكتب وباقى المهندسين الآخرين فى مكتب آخر، لذا لم يكن أمام صلاح بد من الانصياع لما أمر به حازم. ولما كانت صافى فى إجازة من العمل فى ذلك اليوم، فقد دخل صلاح المنزل كالمسعود، لا يريد البحث عن دليل، ولا التأكد من صحة الوشاية.

كادت صافى أن تموت خوفاً عندما رأت الشرر يتطاير من عينيه، وجل ما كانت تخشاه أن يكون علم شيئاً مما يدور بينها وبين بيرى من أجاديث.

كانت توشك أن تبتسم حين دخل إلى المنزل. ولكنه فاجأها بقوة وهو على وجهها بصفعة أسقطتها أرضاً... ثم راح يمطرها بوابل من الأسئلة...

- أين ذهبت مع تلك الحقيبة؟ هل أصبحتما الآن أصدقاء؟ ألم أحذرك من التحدث معها؟ ماذا قالت لك؟ وبماذا أخبرتها؟ هل هي على علاقة بالتأخير يوم ذهبت إلى والدتك؟
ثم أمسك كتفها ورفعها وهزها بقوة، قائلاً...
- لماذا لا تتكلمين؟

ولكن صافى اكتفت بالدموع.. فألقاها أرضاً مرة أخرى، وراح يكيل لها مزيداً من اللكمات والركلات وهو يردد...

- إذن فالشائعات صحيحة.. أنت على علاقة مع تلك الساقطة!
واحتملت صافى ركلاته المتهورة التي آلتها فى كل مكان. ولكن عندما رأت الدماء تسيل منها والتي تعنى سقوط آخر أمل تتشبث به مع صلاح.

صرخت وحاولت أن تقف ولكنها لم تستطع، لذا فقد زحفت ونشبت أظافرها فى كل ما حولها كى تقف على الأرض محاولة الاستنجاد بأى شىء.

ولكن هيهات، فقد جذبها من شعرها بقسوة وهو على وجهها بصفعة أخرى أنهت كل ما تبقى لها من مقاومة، وتصمت معها أناتها تماماً.

ألقي رأسها على الأرض، وكان يهم بالرحيل وكأن شيئاً لم يكن. ولكنه رأى الدماء التي لم يكن رآها من قبل...

ارتسمت على وجهه كل تعبيرات المقت.. الغضب.. الكره.. السخط، ولم يعد يدرى ماذا يفعل؟ ففي لحظة ارتبكت كل الأفكار فى رأسه!
لذلك فقد أسرع بنقلها بيديه إلى المستشفى، وقلبه القلق يذرف دموع الندم والحسرة، وعقله يعمل وكأنه مليون حاسب فى وقت واحد...
وهناك توالى المفاجآت...

فقد اكتشف أنها كانت حاملاً، ولكنها فقدت الجنين منذ قليل نتيجة الضرب المبرح الذى تعرضت له.
لم يصدق أذنيه فى البداية، ولكن عندما وجد الطبيب يحدث والديها عن ضرورة إبلاغ الأمن والشرطة بدأ يصدق ويفيق شيئاً فشيئاً من تلك الصدمة.

وتقدم منه والدها والدموع قد غطت وجهه، وقال منها..
- يا ولدى.. لقد بلغ السيل الزبى!

لقد عانت ابنتى معك بما يكفى، سواء بالضرب أو الحرمان وأخيراً الإجهاض، وهذا يفوق قدرات البشر يا ولدى، لذلك عليك أن تتركها بالمعروف وتطلقها، واليوم قبل الغد وإلا فسنضطر آسفين أن نلجأ للقانون كما سمعت الطبيب منذ قليل.

وسيكون الحق حليفنا، والطلاق من نصيبنا لأنك جعلتها تندم على كل لحظة مرت عليها وهى على عصمتك.
دخلت هذه الكلمات فى أذن صلاح كأنها السم فى البدن، فقد كان الطلاق يأتى كآخر الحلول التى يفكر فيها.

وبالتأكيد كان يأتى قبله الإذلال والضرب والتعذيب والحرمان حتى تتساوى أنفها وغرورها بالأرض، ولكن القدر حال بينه وبين تحقيق كل

أحلامه وطموحاته، خاصة وبعد أن فشلت كل خطته لابد أن ينفصل عنها بكل هدوء.

أولا... حتى لا يتعرض للمساءلة القانونية، وثانيا... من أجل نظرة اليأس والكره والمقت التي رمقته بها من خلف زجاج غرفتها، لذا فقد اكتفى بهز رأسه دليل موافقته على كل ما قاله والدها منذ قليل ورحل في هدوء...

* * *

قدرة غير عادية تلك التي تمكّنك من قراءة البشر سواء بالواجهة أو من خلال الهاتف أو التواصل الإلكتروني، وذلك لأن هناك آخرين يأتون إلى الدنيا ويخرجون منها دون أن يتركوا بها أثرا، أو حتى يفهموا ما حولهم أو يتعلموا من أخطائهم شيئا. وتلك القدرة للأسف هبة غالية للغاية، ولكنها لا تطلب أو تستحضر، ولكن تأتي من خلال منحة ربانية من الله عز وجل.

وكان لابد من خطة محكمة حتى يمكن لأحمد أن ينفرد ببيري في مكان واحد، كما تفتق ذهنه للخطة الأولى، ورغم أنه لم يكن واثقا بينه وبين نفسه فيما إذا كانت صحيحة أم لا، ولكن الأهم لديه أن بيري أصبحت وحيدة في مكتب هندسة الديكور.

لذلك لم يضع وقتا، واستغل وجودها بالمكتب وبدأ ينسج خيوطه حولها كالعنكبوت، لكنها ورغم قوة أعصابها ورباطة جأشها ظلت متوترة ومتوجسة منه خيفة، بل ونجحت في الهرب من جميع محاولاته التي عرضها عليها كي يتقابلا خارج نطاق العمل. وكان الرفض المستمر لسببين لا ثالث لهما...

الأول... أن يكون صلاح هو الذى دفع أحمد كجاسوس كى يعرف منه ما إن كانت هناك علاقة بينها وبين صافى.

والثانى أنها قرأت أحمد من اليوم الأول لها بالمكان، وذلك بفضل تصرفاته وأفعاله المفضوحة والظاهرة للعيان.

ورغم ما يتمتع به أحمد من ذكاء قاتل، فإنها عرفت أن أحمد أدرك من يومه الأول فى العمل أن صلاح هو الأمر الناهى فى الشركة، لذلك فقد عقد العزم على ألا يفارقه أبدا، ليس ذلك فحسب ولكنه استشهد بأقواله، وأمن على أفعاله، وردد ما يقول دون إدراك أو وعى إذا كان صحيحا أم لا، أو إذا ما كان ضمن ما يؤمن به أو لا.

وكل ذلك بالطبع كى يضمن البقاء والاستمرار فى العمل، وقد جعلتها تلك الفكرة تشمئز من أحمد كثيرا حتى إنها آثرت الابتعاد عنه، والتحدث فقط فيما يخص العمل.

واستنكرت فكرة إصراره على لقاءهما خارج العمل، وهى لا تتذكر أية مشاريع يمكن أن تجمعهما فى الأساس.

وكانت المفاجأة من نصيبها حين طلب منها أحمد الزواج والارتباط فقالت فى هدوء...

– على ما أعتقد أنك من أنصار الفكر الدينى المتشدد، وأنا مسيحية! ألسنت تخشى صلاح؟ ألسنت تخشى فقدان الوظيفة والمبلغ المالى الكبير كل آخر شهر؟

ابتسم أحمد فى هدوء أدهشها، وردد...

– لست أخشى شيئا إذا كنت بالفعل توافقين على الارتباط بى، ويمكننى تدبر أمر صلاح بسهولة، فالتأثير والسيطرة على عقله أبسط وأسهل مائة مرة من السيطرة على عقل طفل صغير!

أطرقت برأسها نحو الأرض، وهي تضحك وقالت..

- آه لو علم صلاح برأيك فيه وفي عقله!

ارتبك أحمد لما قالت، ولكنه كان قد قرر ما يفعل، فصارحها عندما أدرك خطورة الأمر...

- أنت تدركين جيدا أن ما أؤمن به عكس ما يؤمن به صلاح، ولكن هناك أولويات لكل مرحلة! وأنا من يحدد تلك الأولويات، وقد انتهيت من هذه المرحلة، كما أنني الآن على علاقة مع العديد من الشركات والمؤسسات التي تطلب تصميماتي بالاسم.

وهنا لم تجد بيبرى بدءًا من الصراحة مقابل صراحته، فقالت في ثبات...

- وإذا كان ردى هو الرفض...

تراجع أحمد في مقعده، وعقد ما بين حاجبيه...

- وهل هذا خيار وارد؟

ابتسمت بيبرى بسخرية وقالت...

- إنه ليس واردا فقط! إنه الخيار الوحيد، فأنا وأنت متشابهان في نقاط كثيرة...

كلانا اعتمد على نفسه منذ الصغر رغم وجود الوالدين، كلانا له معتقدات يؤمن بها، ولم ولن يغيرها ولكن من الممكن التحايل عليها حتى يتمكن من المرور من صدمات ولطمات الزمن.

نحن لا يمكن أن نتقابل أبدا يا أحمد، لأن كلاً منا يسير على نفس شريط القطار أى من المستحيل أن نتقابل أو نلتقى!
ازدادت العقدة ما بين حاجبيه، ورد قائلاً...

- إذن فأنت ترفضين دون نقاش أو تفكير، حتى إن استطعت أن أقنعك بى بعد مدة، فهل تعديننى أن نظل أصدقاء رغم ما حدث؟ وألا يعلم أحد بما دار بيننا الآن؟

أطرقت ببرى برأسها وضحكت، وقالت...
- بالنسبة للأولى.. لا أستطيع أن أعدك لأننا لم نكن أصدقاء من قبل حتى نظل أصدقاء فيما بعد، أما بالنسبة للثانية.. فلك أن تطمئن للغاية فأنا لم يسبق لى إن أفشيت سرا لأحد، فما بالك إن كان يتعلق بى!

* * *

إذا نجحت فى الدفاع عن نفسك فى مرة، فإنك ستفشل حتما فى المرة الثانية لسببين...

الأول... لأن خصمك سيكون تدارك أخطائه، وبالتأكيد سيعمل على تفاديها. أما الثانى... هو الضعف الذى من الممكن أن يصيبك تلك المرة خاصة إذا كان الخصم امرأة مثل سارا.

وقد تداركت سارا الأخطاء التى وقعت فيها المرة السابقة عندما أتت إلى غرفة حازم ليلا، أما هذه المرة فقد أسرعت إلى الغرفة بمجرد أن لمحت سيارته تدلف باب الفيلا.

ولم تعد تبالى بعواقب الأمور، ولم يعد أى شىء يشكل بالنسبة لها أى فارق، فقد قررت بينها وبين نفسها أن يكون حازم هو العقاب الذى ينزل بدولت وعمر.

ولأنها تعلم جيدا مدى ترابطهم وقوتهم ووحدتهم، فإنهم لن يتسببوا لأنفسهم بأية فضيحة أخلاقية، وسيسيطرون على الوضع سريعا، كى يحافظوا على مظهرهم الاجتماعى لآخر رفق يتردد فى صدرهم.

ووجد حازم دولت تجلس فى غرفة المكتب منشغلة إلى أقصى درجة فى اجتماع استرعى كل اهتمامها، خاصة أنه تعلق بتوقيع أوراق كثيرة وميزانيات.

ولكنه كان لابد أن يعلمها بعودته، ويطمئن عليها، قبل التوجه إلى غرفته، لذا فقد دخل المكتب وابتسم بشيء من السخرية وقال..
- أين عمر؟ هل ترك لك هذا الاجتماع وذهب بصحبة إحدى العارضات؟

رمقته دولت بنظرة حادة وهى تطبع قبلة على خده قائلة فى خبث...
- إنه لا يزال فى المصنع ومن المحتمل أن يقضى الليلة هناك، ولكن هذا الاجتماع لا يخص عمر فى شيء!!

ضحك حازم، وقال فى خبث مماثل...
- إذن فأنت الليلة لن تتناولين طعام العشاء، لأنك بالتأكيد فقدت شهيتك غالبا، مادام عمر غير موجود!

همست دولت بأذنه وهى تصحبه خارج الغرفة...
- هذا لأنك لا تتناوله معى، أو بالأحرى لا تتناوله مطلقا! والآن عليك أن تدعنى لأكمل أعمالى.

ضحك حازم وهو يغمز بعينه ويقول...
- سأصعد إلى الغرفة فى هدوء، وسوف أراك بعد الاجتماع.
ضحكت دولت بدورها، وعلقت قائلة...

- أتمنى أنا أيضا أن أراك، علينا أن نتناقش فى أكثر من موضوع...
ضاقت حدقتها، وابتسم فى ضعف..

- أرجو ألا يكون هناك شيء بشأن سارا، وذلك بالطبع لدوام استمرار الشراكة بيننا، ليس إلا؟

زجته دولت نحو السلم قائلة ...

-- عليك أن تحتفظ بصراحتك لنفسك ، ولا أريد أن أراك بعد الاجتماع!
صعد إلى الغرفة وهو يطلق صغيرا حادا ، ويلقى بعدة أوامر إلى
الخادمة ، التي استمعت في إنصات تام حتى لا تنسى شيئا مما طلب
تباعا دون توقف...

ولم يكده يدخل إلى الغرفة حتى وجد نيدا تجذبه بقوة إلى الداخل ، بل
وتمنعه من أن يضيء الغرفة...
وصوت هامس يقول في حذر..

- شششش.. أنا سارا، الزم الصمت لأن والدتك تحسبني خارج
المنزل فقد خرجت من الباب الرئيسي وعدت عبر الباب الخلفي دون
أن تشعر بي!

هز حازم كتفيه بسخرية ، قائلاً...

- سوف تعلم.. فسيارتك أمام باب الفيلا!

لكرته بيديها وهي تقول بنعومة...

- لقد أخبرتها أنني سوف أستدعى سيارة أجرة لأن قدمي تؤلني ،
ولن أستطيع القيادة!

حاول حازم أن يعقب بشيء على خطة سارا العبقرية ، ولكنها
لم تعطه الفرصة لذلك ، فقد تداركت الخطأ الذي وقعت فيه المرة
السابقة ، وقررت أنها لن تهدر وقتها معه في الكلام..

فقد بدأت بالتعامل مع الموقف ، واستسلم هو بسهولة ويسر هذه
المرة ، مرددا في سخرية..

- ما دمت تصرين!

الإعجاب ليس كافياً كي نحاول التقرب من شخص وجذب انتباهه ، فهناك عوامل أخرى كثيرة يمكنها أن تكون هي المحاور التي تبلور علاقة الرجل بالمرأة.

كالقبول، التعليم، التكافؤ الاجتماعي، التكافؤ الفكري، تشابه مجال العمل، إيمانه أصلاً بعمل المرأة ويأتي الحب ويتذيل الترتيب في القائمة كونه من العوامل غير المؤثرة على الزواج.

والدليل على ذلك أن معظم من يحب لا يرتبط بمن أحب. ولكن لكل أسبابه، فهناك من يترك، وهناك من تترك... ولكن بالأخير لا يبقى في الحاليتين سوى قلوب كسيرة وجريحة دامية وعيون لا تنام.

وقد انطبقت تلك العبارة الأخيرة على نادر الذي جفا النوم عينيه منذ اليوم الذي قررت فيه مروءة ترك العمل، وبدأت تأسيس شركتها الخاص بمعاونة وتشجيع من والدها الحاج/ عبد العزيز الصاوي.

وقد ارتمت في حضن والده كالطفل وأخذ يبكي ويحكي، ووالده يسمتع بأذان مصغية، وإن كان اعترى وجهه الامتعاض والاشمئزاز مما يقول ولده.

فكان آخر ما يتوقعه من ذلك الابن هو أن يكون على تلك الحالة من الضعف والليونة في يد امرأة...

هز رأسه آسفاً لما يسمع وعلق قائلاً وسط تشنجات نادر وانتحابه...
- لا أستطيع أن أصدق كيف يكون ابن كمال القاضى بذلك الشكل؟
بهذا الضعف والاستسلام، وأمام من؟ أمام زوجتك! التي هي من المفروض أن تطيع ما تقول دون حديث أو نقاش!
جفف نادر دموعه، وقال بصوت متحشرج...

- يا أبى، كانت تلك الأفكار منذ زمن ولى.. أما الآن فالمرأة لها حقوق وواجبات وإن منعها الزوج عنها، يمكنها أن تلجأ للقضاء وتحصل عليها أو تحصل على الطلاق، وأنا لا يمكننى أن أتخيل حياتى بدون مروءة، فأنا أحبها بشدة. وأنت تعلم ماذا فعلت كى أتزوجها؟ فكيف الآن أتركها تذهب من بين يدي بتلك السهولة؟

نهره والده بشدة على تعليقه واتهامه بالجهل قائلًا...

- إذا كانت تحبك مثلما تحبها، فلماذا مر أكثر من سنة ونصف من الزواج ولم تنجبا طفلاً واحداً؟ ألم تسأل نفسك هذا السؤال أو تسألها هى؟

فالمرأة حين تأبى أن تنجب من زوجها فإنها تكون قد عزمت التخلّى عنه، خاصة إذا وجدته متدلهاً فى غرامها!
أفاقت العبارة الأخيرة نادر من غيبوبته، فهم واقفا وهو يقول فى خشونة...

- هل ترانى كذلك؟ هل أنا بالفعل هكذا من وجهة نظرك؟ يا أبى إن الحب هو أسمى المشاعر البشرية التى يتبادلها الرجل مع المرأة، فما بالك إذا كانت هذه المرأة زوجتى؟!

أما بالنسبة لمسألة الإنجاب، فأنا أجد لديك كل الحق فيها فنحن أهملنا هذا الجانب من حياتنا بشكل غريب، ولا بد من السعى فيه لأن ذلك ما سوف يردعها ويجعلها تتوقف عن مشروع شركتها الخاصة.

قال ما قال، وأسرع نحو الباب مودعا والده دون سماع الرد أو الإجابة عما قال، ولا توجد برأسه إلا فكرة واحدة وهى إقناع مروءة بضرورة إنجاب طفل كى يملأ حياتهم الزوجية المهتدة بالخطر.

* * *

لم يعتد مراد أن يندم على أية خطوة أو فعل يقدم عليه ، ولكنه بينه وبين نفسه ندم أشد الندم على زواجه من بسمه ، فعلى الرغم من براءتها وجمالها الملائكى ، فإنه لاحظ خلالا كبيرا فى ردود أفعالها ، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بينهما .

فقد تأثرت كثيرا بصلاح ، وبمفهوم الحلال والحرام الذى يردده بسبب وبدون سبب ، بلا فهم وبلا وعى لما تتضمنه أو تحتويه هاتان الكلمتان من معنى خطير يمكنه أن يهدم حياة بأكملها .

وضاق مراد ذرعا بتشدها غير المبرر على كافة آرائه ، وإصرارها على أن تدلو بدلوها فى كل الأمور سواء كانت على علم بها أم لا .

وحاول أن يتعايش مع الأنثى بداخلها دون النظر لرجعية الأفكار ، ولكن على الرغم منه وقفت تلك الترهات حائلا بينهما فى سبيل إنقاذ هذا الزواج الذى لم يمض عليه سوى ستة أشهر .

ولكن السبب الحقيقى الذى كان يؤرق مراد هو طاعتها العمياء له ، حتى لو حثها على فعل شىء ضد رغبتها أو ضد ما تؤمن به من أفكار ، فكانت بعد صراع قوى من النقاش والمجادلة يجدها تستسلم فى وداعة قاتلة . وضعف يعجز عن تفسيره .

ولطالما كانت تفسر بسمه ذلك على أنه بدافع حبها له ، وبالفعل هى كانت تحبه بشكل غير طبيعى ، حتى إنها باحت له أكثر من مرة بأنها لم ولن تحلم فى أجمل وأروع أحلامها يزوج مثله ، وأنها دائما ما تشعر بأنه أكبر من أحلامها وتوقعاتها ، لذلك فهى ترى فى كل ما يقول عين الصواب .. وكاد يسقط مغشيا عليه من فرط الإحباط عندما رددت فى أذنه (بأنها لا تريد أن تفكر .. يكفى أن يفكر هو) وما عليها سوى أن تنفذ تلك الرغبات سواء كان على حق أو على باطل .

وأفزع مراد ذلك التصريح، وجعله لا يتمكن من النوم ليلاً! لأن المعنى من حديث بسمه أنها إنسانة بلا شخصية وبلا هدف فى الحياة، وهذا آخر ما كان يطمح به مراد!

فلطالما حلم بأن يتناقش ويتبادل حوارات علمية وفلسفية مع زوجته ورفيقة دربه، أن يرى اعتراضاً ونفوراً أو يرى قبولاً واستحساناً، ولكن ها هو يحظى بزوجة لا رأى لها أو علاقة بكل ما يقول أو يفكر!

وكعادته منذ أن كان صغيراً لم يبح لأحد بمكنون صدره، وفضل بقاء الهموم داخله عن البوح بها لأى شخص حتى ولو كان مقرباً منه.

وذلك لأنه سيكون ولا شك مثار سخرية الجميع، فها هو الطبيب النفسى المشهور الذى يلجأ إليه الآخرون كى يجد لهم الحلول، لا يستطيع أن يجد لأزمته حلاً!

وظل يردد وهو جالس بعيادته..

- حازم كان على حق.. كررها لا يعلم كم من المرات، ولكنه أفاق من هذيانه على صوت صلاح يسأله..

- عن أى حق تهذى وتتحدث؟

نظر له مراد بقسوة، فقد كان دائماً يرى صلاح السبب الأساسى وراء ضياع شخصية زوجته، ومحو عقلها وجعلها تبدو كعروس الماريوننت.

وكذلك كان يكره أن يقطع أحد عزلته وأفكاره بالعبادة، حيث يؤثر ذلك فى تفكيره سلبيًا، ولكن صلاح كان قد اتخذ بالفعل لنفسه مقعداً وقال بصوت حاسم...

- أخبرتنى بسمه أنك تغادر العيادة عند منتصف الليل، لذلك

أتيت وأريد أن أتحدث معك وأروى دون مقاطعة، ودون إلقاء اللوم على عاتقى..

نظر له مراد بلا مبالاة، ثم قال فى برود..
- هات ما لديك..

* * *

هل احترت من قبل بين ما هو متاح، وما ترغب؟
هل وضعك القدر بين شقى الرحى، وكان عليك الاختيار؟
هل تمنيت ممن ترغيبين فيه شيئاً، وانتظرت حتى مضى الوقت دون
طائل من الانتظار؟

هل توقعت رد فعل من شخص تحبه ولا يحبك؟
كل هذه الأسئلة طرحتها مى على نفسها وهى جالسة فى غرفتها
وحدها لا تعلم كم مر من الوقت؟ أو ما هى الإجابة عن كل تلك الأسئلة
التي طرحها عقلها الباطن منذ قليل؟
فهى ليست ذات خبرة، وحازم فاجأها باهتمام يوسف بها وطلبه
مقابلتها.. فى الوقت الذى تهتم هى فيه لأمر رجل آخر لا يشعر أصلاً
بوجودها فى الحياة.

ولكنها تخشى فى كل ذلك شيئاً واحداً، هو أن يشعر بها ولكن وقت
لا ينفع الندم، فماذا سيكون رد فعله عندما يخبرها أنه يحبها وتكون
هى ارتبطت بيوسف هذا؟

يوسف.. من هو أصلاً؟ هو الآخر ليس بالإنسان الهين، ويكفى أنه من عائلة
حازم، فالوضع كان سيكون أهون بكثير لو كان من ضمن الأصدقاء أو المعارف،
ولكنهما أقارب، وهذا ما أقلقها بشدة.

فقد رأت كيف يعيش حازم والحياة التى عليها داخل وخارج العمل
هو ووالدته وشقيقه، ولم تنس آخر حفل حضرته فى منزله كانت زوجة
شقيقه مثار حديث الحفل بأكمله هى وملابسها الفاضحة.

وهى كفتاة عادية جدا تفضل حياتها الطبيعية المعتادة مع جدتها ووالدتها، بل وترها أفضل بكثير من طريقة حياة حازم وأسرته! ثم إنها نظرت إلى المستقبل مع يوسف برؤية مستقبلية بعض الشيء، ووجدت الحياة بينهما ستكون شبه مستحيلة، لا سيما عمله كطيّار خارج المنزل طوال الوقت.

وهى التي ظلت تتمنى في قرارة نفسها أن تحظى بمصير مختلف عن مصير جدتها ووالدتها، عن رجل يعيش معها ويبقى، ولكن من الجلى أن جميع النساء في أسرتها يجب ألا يعيشن حياة طبيعية مع أزواجهن.

ضحكت بمرارة عند التعبير الأخير ونظرت في الساعة ووجدتها قاربت الواحدة بعد منتصف الليل، فكرت قليلا ثم تناولت الهاتف المحمول وطلبت رقم حازم.. ثم أبلغته رأياها الذي توصلت إليه بعد تفكير عميق، وتحذّر مع الذات، وأنها مقتنعة بهذا الرأي تمام الاقتناع، ولا دخل لأي مؤثر خارجي عليها في رفضها ليوسف!!

لم يكن حازم في وعى تام وقت ألقت بكلامها، كما أنه لم يعلق على ما قالت، لأنه كان واثقا من أن مى لن تفكر أبدا بموضوعية مادامت واضحة صورة أحمد أمامها وهي تفكر بأى شخص آخر، وليس يوسف فحسب.

لذلك تلقي المكالمات، وأغلق الهاتف دون أن يعقب. كانت تتوقع مناقشة أو ثورة.. ولم تتوقع أن تكون المكالمات قصيرة إلى تلك الدرجة، لذلك فقد بدا القلق عليها من ذلك الهدوء، وتساءلت بينها وبين نفسها هل هو الهدوء الذي يسبق العاصفة؟

بعد أن قضى أياما فى التفكير المستمر، اهتدى عقله أخيرا إلى فكرة من أفكاره الشيطانية، وعزم على تنفيذها غير عابئ بما سوف يترتب عليها من عواقب، ودون أن يدري أن تلك الفكرة ستكون بالنسبة إليه هى (القشة التى قسمت ظهر البعير).

فقد قرر أحمد أن يبيت فى أذن صلاح بإشاعة جديدة غريبة بعض الشيء، فهو من وجهة نظره لم يعد لديه شىء ليخسره. فقرر أن يفعل كما يفعل (المستجير من الرمضاء بالنار)!

أى أنه جرب كل الحلول السلمية، ولم يعد يتبقى أمامه سوى الهجوم العنيف الذى سيأخذه مع الطوفان..

وكم كان أحمد عنيفا فى حبه، وغريبا فى اختياره حتى لا يتورع عن فعل كل المستحيلات كى يحظى بإنسانة لا تفكر فيه حتى وهو جالس أمامها.

وكانت فحوى تلك الشائعة أن بيرى عرضت عليه أن تتزوجه سرا، على أن يهربا معا خارج البلاد..

لا يعرف لماذا فكر فى حل كهذا؟ ولكنه كان يعرفها جيدا، ويعرف عزة نفسها وكبرياءها وكرامتها التى لن تضحي بها هباء، بل ستحاول جاهدة على إنقاذها حتى لو كان السبيل الوحيد لذلك هو الزواج منه.

وعند ذلك الجزء من التفكير.. ابتسم وهو يتخيل أنه سوف ينجح فى ذلك المخطط الجديد، ولكن ما الذى يجعل بيرى تخضع إلى شائعة ساذجة مثل تلك؟

ورغم علمه بقدرتها على الدفاع عن نفسها، وعدم قبولها لابتزازة الحقيقير، فإنه اعتبر ذلك بمثابة الورقة الأخيرة المتبقية فى جعبته، لعل وعسى ينجح فى الإيقاع بها!

ولم يتردد لحظة وهو يخبر نادر بذلك، ونادر يخبر صلاح، وصلاح يتأكد منه ... وعندما اطمئن لانتشار الخبر أثلج صدره وتنفس الصعداء. ولكن صلاح لسوء حظ أحمد لم يكن في المزاج الذى يسمح له بشن أية غارة على بييرى، أو إزعاج أى شخص، وعلى الرغم من أنه بات يملك الآن سببا قويا يؤدي إلى فصلها لسوء سلوكها وتحريضها على الفسق والرذيلة.

ولكن أحمد كان يفكر باتجاه آخر تماما غير الذى سلكه صلاح، فكان يفكر فى وضع بييرى كأنتى تتعرض إلى مثل ذلك النوع من الشائعات التى تكاد تودى بحياتها المهنية قبل أن تبدأ، وحياتها الشخصية إلى الأبد.. خاصة إذا كانت لا تملك إثباتا ينفي ما يقال، أو تدافع به عن نفسها.. فقط كانت كلمتها أمام كلمته!

ولأنه كان يدرك جيدا أن أحدا لن يقف بجانبها ويناصرها فى تلك المحنة سوى حازم وصافى، وذلك ما يجعل موقفها أضعف، خاصة أن حازم قليلا ما يحضر إلا للضرورات فقط، أما صافى فقد تدبر أمرها منذ زمن... لذلك فقد بدأ يبتسم فى زهو وغرور، وهو يئنئ على عقله هذه العبقرية الفريدة فى التفكير، فقد أجاد هذه المرة نصب الشباك، وأتقن وأحكم قبضته عليها جيدا، وتعهد أن يخبر نادر قبل صلاح حتى لا تكون الوشاية مباشرة منه.

وحتى لا يتسلل الشك إلى نفس صلاح، لأن أحمد كان ضالعا بشكل كبير فيما يتعرض له صلاح مع صافى.

وظل يتخيل بييرى وهى وحيدة بلا صديق تتحدث إليه، أو صدر يكون لها ملاذا فى تلك الأزمة، فقد أراد أن يحاصرها بين نظرات الدهشة والاستنكار.

فالبعض لا يصدق ما قيل ، والبعض الآخر لا يستبعده نظرا إلى النشأة الأوروبية التي تعتمد على الجرأة والحقيقة .
لذلك ما كان عليه سوى أن ينتظر كأي صياد ماهر ألقى بالطعم ، وانتظر في صمت مطبق حتى يأتي إليه بالصيد الثمين .
وكل ما يشغل باله هو .. ماذا سيكون وقع الخبر عليها عندما تسمع به ويؤكد لها الناس؟

أفاق حازم من النوم وهو في حالة إعياء شديدة ، ربما من الكحوليات مختلفة الأنواع التي تجرعوها الليلة الماضية ، أو كم الكافيين الذي تناوله على مدار اليوم دون أى طعام يذكر!
ولكنه أصبح معتادا على ذلك بشكل ما .. فما الذى يجعله على هذه الحالة الغريبة؟

لم يكن طبيعيا على الإطلاق . فهو لا يدرك إن كان في حالة جيدة أم لا؟

وهو بالتأكيد في هذا الصباح لم يكن في حالة جيدة! كان يشعر بذلك داخل نفسه ، بل من الممكن أن يصنف حالته على أنها مزرية .
فقدماه لا تستطيعان حمله . وهناك ألم بشع يعترض معدته وشعور مقرز من الغثيان جعله يفرغ كل ما فى أحشائه . ولم يبالي بكل ذلك فهو معتاد عليه .

ولكن ما أقلقته وجعله يشعر بالانزعاج هو العرق الذى يتصبب من جبينه ووجهه ، والخفقان الذى يشعر به ، فضربات قلبه متقاربة ومتسارعة بشكل قوى ، لاسيما الصداع الرهيب الذى يلتف حول رأسه ويكاد يفتك به ، ثم السقوط فوق السرير وعدم القدرة على النهوض .

كان كلما يحاول الوقوف يفشل فى ذلك ويسقط فوق السرير كما لو كان يجتذبه ويشده شدا. حتى إنه اضطر للاستناد على كل ما فى الغرفة حتى يصل إلى الحمام حتى يضع رأسه تحت الماء. وحاول أن يرفع صوته ليستدعى أحدا من الخدم، ولكن على الرغم منه خرج صوته المبحوح فى شكل صرخة استنجد قوية. لم يسمعها سوى دولت التى كانت تمر صدفة أمام الغرفة وهى على وشك الذهاب إلى النادى، وما إن دخلت حتى اكتشفت أن تلك الصرخة كانت آخر شيء احتمله، واستطاع القيام به، فقد كان ملقى على أرض الغرفة فى حالة مزرية... ارتمت أرضا كى تطمئن على النبض، ثم صرخت بانهييار تستنجد بمن ينقذها...

* * *

منذ وفاة والديها فى الحادث المروع الذى أودى بحياتهما منذ كانت فى السابعة من عمرها، وهى تعيش هى وأخوها بشكل طبيعى فى بيت عمها عبد العزيز. وقد كان شادى هو الأخ الأكبر وقت الحادث، فقد كان فى التاسعة من عمره، ومن حسن الحظ أن أولاد العم كانوا تقريبا فى نفس المرحلة العمرية. كريم كان فى العاشرة من عمره، بينما شقيقته مروة فى الثامنة من عمرها، لذا نشأ الصغار معا فى جو جميل من الألفة والمآخاة والحب. ولكن مع الأيام تنمو أيضا المشاعر والأحاسيس. مع مرور الزمن ينضج الإنسان، ولطالما احتفظ شادى لروة منذ الصغر بمشاعر خاصة لا تمت للأخوة بشيء.

لاسيما أنه كان يكبرها سنا وهو الوحيد القادر على تذكر ذلك الحادث المروع الذى أودى بحياة والديه.

بينما كانت داليا تميل إلى العزلة والانطوائية وفشلت فى الاختلاط بأى شخص على الإطلاق، حتى إن كثيرا من أقرانها أيام الدراسة كانوا يبتعدون عنها نظرا إلى الصمت الدائم والخوف من كل الأشياء.

ولم تجد فى صدر زوجة عمها رغم طيبة قلبها ملاذا كافيا. حيث دائما ما افتقدت الحنان الجارف، فقد كانت رومانسية إلى أبعد الحدود. لذلك فضلت أن تلجأ إلى الورق، وقامت بتسجيل كل سنوات عمرها يوما بيوم فى شكل مذكرات.

وكانت هذه المذكرات هى رفيقتها الوحيدة، وكلما أحست بالوحدة، أو ضاق صدرها من أمر ما.. تذهب وتقرأها وهى تجهش بالبكاء، والغريب أنها كانت تشعر براحة كبيرة بعد قراءتها.

ولكن منذ أن تعرفت داليا على نادر حتى أصبحت صديقين من أول لحظة، فهو من وجهة نظرها رجل لا يمكن تكراره فى الحياة، وهى من وجهة نظره تعانى من تجاهل الآخرين لمشاعرها الفياضة وقلبها الذى ينبض حبا.

ودائما ما ساندته ووقفت إلى جانبه فى الحق والباطل، وبررت كل ردود أفعاله دون حتى معرفة الملابس الخاصة بالموقف، ونادر دائما ما يسعد بأن له حليفاً فى أسرة مروءة، وكان دائما ما يمزح معها ويقول لها هذه الجملة.

ولكنها كانت تشعر دائما أنها ليست مجرد حليف يعاونه، بل إنها أكثر من ذلك بكثير، فقد بدأت تشعر بسعادة غامرة منذ بدأت العلاقات

تدب بين نادر ومرورة، ووصلت إلى قمة السعادة والفرح حين سمعت مرورة تبلغ والدتها في لحظة ضعف أن الحياة بينها وبين نادر أصبحت مستحيلة بالفعل، وليست شبه مستحيلة.

ولم تكن في البداية تدرى السبب الحقيقي وراء تلك السعادة، ولكنها بعد أن رفضت أكثر من عرض للزواج، أدركت فيما بينها وبين نفسها سبب السعادة.

ليس لأنهم ليسوا على قدر من الوسامة والثقافة فقط، ولكن لأنهم ليسوا كما تتخيلهم قريبي الشبه من نادر... إذن فهي تحبه!

تحبه.. دون أن تدرى متى أو كيف أحبته؟ ولكنها أحبته وتمنت من كل قلبها أن تنفصل مرورة عنه، حتى تتمكن هي من الزواج منه غير عابئة بما يمكن أن يحدث في الأسرة نتيجة تلك الأمنية.

أو ما سوف يأتي بعدها من عواقب، ليس بالنسبة لها فقط بل إلى شادي، ونادر نفسه..

هل يحبها هو الآخر؟ هل من الممكن أن ينسى مرورة ويبادلها نفس الشعور؟

ابتسمت في وهن، والأسئلة تتزاحم في عقلها دون أن تجد جوابا واحدا...

أحيانا يرتبط الأصدقاء ببعضهم البعض بشكل قوى للغاية، خاصة إذا ما كانت تربط بينهم علاقة مميزة من نوع خاص، مثل التي تجمع ما بين حازم ومراد.

فالإنسان من الممكن أن يقضى عمرا كاملا دون أن يجد الخل الوفى الذى يقضى إليه بالأسرار، ويأتمنه على ما يعتمل فى صدره.

لذا فقد كان مراد بالنسبة إلى حازم هو ذلك الخل الوفى الذى يندر وجوده كثالث المستحيلات.

فقد أفاق مراد من نومه، وما إن فتح هاتفه المحمول حتى وجد أكثر من مكالة من عمر يخبره فيها بوجود حازم فى المستشفى.

هب مراد فزعا، وترك كل شىء وركض كالمجنون نحو المستشفى الذى يتواجد به حازم كى يطمئن عليه، فقد تركه آخر مرة بحالة جيدة، ولكنه لم يأت لرؤيته فى الليلة الماضية بالعبادة كعادته كل يوم. ولمح عمر مراد وهو يجرى على غير هدى، فركض خلفه.. لكن مراد انهال بالأسئلة على عمر والجزع والخوف يملأ كل قسماته...

- ما الذى حدث؟ لقد كان بحالة جيدة.. لقد تركته آخر مرة فى أفضل حال.. ما الداعى لوجوده فى المستشفى؟

أشار له عمر علامة الهدوء، ورد قائلا...

- لا داعى إلى كل ذلك القلق، لقد طمأننا الطبيب، وقام بعمل غسيل للمعدة، وكافة التحاليل والأشعات اللازمة.

تجهم مراد وقال فى صعوبة...

- ولكن وجهك يقول غير ذلك، ومادام هو بحال جيدة لماذا يظل بالمستشفى؟ وما الداعى إلى التحاليل والفحوصات والأشعة إذن؟

إننى أريد التحدث مع الطبيب المعالج، وحاول أن يتجاوز به خطوات حين أمسك عمر بذراعه قائلا فى هدوء:

- الطبيب يشك فى شىء ما، ولكنه أم يخبر أحداً حتى الآن عما يدور بذهنه، ولكنه أخبرنا أنه مجرد انخفاض فى ضغط الدم، ولكن القلق يفتك بى فتكا...

فقد أجرى أكثر من مكاملة للمعمل، وذلك زاد من قلقى وتوترى، وحازم بحاجة إليك الآن فهو يصر على رؤيتك منذ أن أفاق، ولا أعلم السبب..
ازداد وجه مراد عبوسا، وكاد قلبه يتوقف وهو يستمع إلى الجمل الأخيرة التى ألقى بها عمر. ورد بصوت مبحوح...
- أين غرفته؟

لم ينطق عمر واكتفى بالإشارة إلى الغرفة التى تقع فى آخر الممر...
ركض مراد كالمجنون نحو الغرفة وهو يطرح مئات الأسئلة، وعقله يرد بآلاف الإجابات.

كان وقع رؤية مراد بالنسبة إلى حازم، كروية الظمان للسراب فى عرض الصحراء، فقد اعتدل وقال بصوت خفيض...
- تأكد من غلق الباب جيدا..

أحكم مراد غلق الباب بالقفل المخصص له، ثم احتضنه واطمان عليه، وكان حازم هو الذى تكلم..

- مراد، لدى الكثير لأبوح به إليك، ولا أريدك أن تقاطعنى باستنكار أو دهشة أو اشمئزاز أو أى شىء من هذا القبيل.. هل تفهم ما أعنى؟
رد مراد فى طواعية آلية...
- نعم!

بدأ حازم السرد على النحو التالى...
- لقد كان من المفروض أن أمر عليك فى العيادة كى نسهر معا مثلما يحدث كل ليلة، ولكنى شعرت بالإرهاق ففضلت الذهاب إلى المنزل.
وفى المنزل حدثت أشياء غريبة، ووقعت أحداث كثيرة فى الفترة الأخيرة، تضاعفت الأرباح بالمجموعة فازداد اهتمام أمى وعمر بها لدرجة أنى كنت أحيانا أذهب هناك كى أراهما.

ولأنهما والسبب ما اختلفا مع سارا، فقررا أن ينبذاها من بينهما،
لذلك ظلا يحتقرانها ويشعرانها بذلك الكره.

حتى قررت هي الأخرى أن تنتقم منهم فى شخصى أنا، فقد وجدت
بغرفتى فى إحدى الليالى حيث إننا كنا وحيدين بالمنزل، ولكنى صرفتها
لسببين...

الأول... هو أننى كنت مرهقاً للغاية حتى إننى ارتميت على السرير
بملابسى.

والثانى... هو أن صورة عمر ظلت تتأرجح أمامى طوال فترة وجودها..
ولكن بالأمس كانت أمى تعقد اجتماعا بالمنزل، بينما عمر بالمجموعة
كالعادة...

لذلك صعدت إلى غرفتى، ولكنى وجدت سارا بالغرفة ولم أستطع أن
أرفض ما تدعونى إليه، فأنا بشر.. ولست نبيا!!
واستيقظت لأجد نفسى على تلك الحالة، خاصة أننى أنا الآخر
لم أكن فى كامل وعيى، ولا أعلم السبب وراء ذلك، فقد سقطت بعد
أول كأس..

صمت فجأة، وساد على الغرفة صمت القبور... ولم يتكلم مراد،
فأشار له حازم بأنه انتهى من السرد...

تنحني مراد قبل أن يقول بصوت حاول أن يكون طبيعيا ولكنه فشل
فى ذلك...

- وما الذى يجعلك تشعر بفقدان الوعى بعد أول كأس؟ إنها ليست
المرة الأولى لك!

هب حازم مستنكرا السؤال من شخص مثل مراد...

- من كل ما سردته لك.. لم يشد انتباهك سوى هذه المعلومة!
هز مراد رأسه بعلامة الفهم، ورد بهدوء...
- من الممكن أن يكون خلاصك في هذه المعلومة، لا تكن غيبيا وحاول
أن تتذكر. ما الذى تناولته منذ أن وصلت إلى المنزل؟
فكر حازم قليلا.. ثم قال...
- إننى صعدت إلى غرفتى، ثم وجدتها ممسكة بكأس من المارتينى
تناولته جرعة واحدة..
أشار له مراد بعلامة التوقف..
- إذن لقد خدرتك أيها المغفل حتى تنفذ كل ما تريدك أن تفعله!
إنها حقيرة بالفعل...
نظر له حازم بوهن.. وقال فى ضعف..
- أخشى ما أخشاه أن تأتى كى تخبرنى أنها حامل، كما نشاهد
فى الأفلام المصرية!
ابتسم مراد فى خبث وهو يقول...
- حتى لو أخبرتك بذلك.. ما الذى يجعلنا على يقين من أنها حامل
منك أنت، على حسب ما تخبرنى به أنت وعمر أنها لديها العديد من
العلاقات الأخرى، ألم يخطر ببالك أن تكون أنت وسيلة الانتقام؟ مجرد
مراوغة للضغط على عمر حتى تحصل على الطلاق الذى تسعى إليه؟
ارتسم الرعب على وجه حازم و هو يقول..
- أنا لست واثقا من كلام أمى وعمر عنها، ثم إنها لا تحتاج إلى ورقة
ضغط على عمر، فإذا أرادت الرحيل فسوف ترحل ضاربة بهما جميعا
عرض الحائط... إنها لا تخشى عمر أو دولت... فهى تعلم جيدا أن

الشركة والمجموعة عندهما أهم من أى شيء آخر، والشراكة مع والدها قائمة مادام الجميع يخشى تنفيذ الشرط الجزائى.

رد مراد بسرعة دون أن يفكر هذه المرة...

- ولكن هل حاولت أن تبرر لك ما حدث؟ أو تشرح سبب حدوثه؟

تراجع حازم فى السرير وهو يقول...

- إنها بررت ما فعلت بأنه كان بدافع الحب، فهى دائما ما كانت

تردد أنها تحبني منذ أن رأتنى لأول مرة، وتمنت أن تتزوجني بدلا

من عمر!

تساءل مراد بدهشة...

- وما الذى منعها من الزواج منك حينها؟

رد حازم بسخرية...

- هل جننت؟ لقد تزوجها عمر بقرار من دولت هانم، فقط من أجل

الشركة والبيزنس، ولم يحبها قط ولم يحاول حتى أن يحبها، هل تريد

أن يكون زواجى قائما على صفقة تجارية؟

هز مراد رأسه فى حيرة... وقال:

- لا أفهم شيئا مما تقول، هى أحبتك.. هذا ما فهمت، وأنت.. هل

أحببتها؟ ما الذى جعل ذلك الشعور ينمو داخلها؟ هل أعطيتها أملا به؟

أغمض حازم عينيه... وقال:

- لا وأقسم بالله على ذلك.. لقد كانت تتحايل على أحيانا كى

تقبلنى، ولكنى كنت دائما ما أهرب منها.. أخشى ما أخشاه أن أعاقب

على الذنب الوحيد الذى لم أرتكبه أولم يكن لى فيه حيلة!

- انهار مراد ضاحكا وهو يقول...

- بسمة لا تسمح لي أمسك يدها في مكان عام...
 أشاح حازم بوجهه، وهو يراقب الباب...
 - لا نتناقش هنا عن بسمة وأزمتك معها، أريدك الآن تجد حلاً لتلك
 المشكلة، هل تقدر زناد فكرك من أجلى؟
 صمت مراد طويلاً قبل أن يقول...
 - إذا كان ذلك ما يؤرقك، فهذه ليست مشكلة..
 لأن في حال حدوث مواجهة بينك وبين عمر بسبب ما حدث، لن
 تكون المواجهة صعبة بالصورة التي تتصورها، فهو فعلياً منفصلاً عنها
 منذ أن تزوجها، كما أنه يتركها دون اهتمام...
 إذن فهو يمثل ضلعاً قوياً في تلك المشكلة التي تتحدث عنها الآن،
 فلو لم يتركها تعانى الكبت والحرمان ما كانت تقع في حب رجل
 آخر.. ولما كنا في ذلك الوضع الآن!
 أما إذا كان استنتاج وضع المخدر صحيحاً.. فسيكون عليها أن ترحل
 فى صمت، ومن المحتمل أن يطالبها عمر ووالدتك بدفع مبلغ تعويض
 للضرر الذى ألم بك وبهما جراء تلك الفضيحة.. وهذا من حقهما قانوناً!
 أمسك حازم برأسه، وقال فى جزع...
 - إننى لا أحتمل الشعور بالذنب، إننى على استعداد أن أفعل أى
 شىء كى أستطيع أن أنسى ما حدث، ولكنى لا أشعر بتحسّن...
 ثم، ما الذى أوحى إليك بأن المواجهة مع عمر لن تكون قوية، إنه
 مجنون.. فهو يحمل معه مسدساً طوال الوقت ولديه هاجس قوى أنه
 مستهدف من منافسيه!
 عقد مراد حاجبيه باستنكار، وقال...

- مسدًا.. هل هو قادر على القتل؟ لا لا.. أنا أستبعد ذلك الاحتمال. فأنت شقيقه الوحيد، ولن يستطع قتلك، فالعلاقة بينكما مستحيل أن تصل إلى القتل، خاصة بسبب سارا.. فهو يكرهها بشدة ويتمنى رحيلها اليوم قبل الغد.

كاد حازم يقول شيئاً ما، ولكن الطبيب كان يقرق باب الغرفة في إلحاح مستمر، حتى فتح مراد الباب...

ونظر الطبيب نحو مراد كثيراً قبل أن يقول..

- أخبروني أنك طبيب، فهل هذا صحيح؟

هز مراد رأسه بعلامة الإيجاب دون أن يتفوه بكلمة، فقال الطبيب في برود..

- إذن عليك أن تعلم أننا وجدنا في دمه كمية مركزة من المخدر، واندھش تماماً من كيفية بقاءه حياً حتى الآن، على الرغم من خطورة تناول الخمر مع المخدر...

ابتسم مراد وهو يلتفت كي يرى رد الفعل على وجه حازم، الذي بقي في حالة من الصدمة.. ورد مراد بهدوء..

- لا بد من أنه سعيد الحظ يا دكتور، أو أن الله عز و جل أراد أن يمدّه مزيداً من الأجل.

كان الطبيب متجهماً.. فقال في برود..

- محتمل.. من الممكن أن يغادر اليوم، لقد أعطيت كافة التعليمات للمرافقين بالخارج، وعليك أن تمتنع عن الخمر تدريجياً.. وهذه نصيحة مني أنا كطبيب..

ابتسم مراد مرة أخرى ورد شاكرًا...

- إننى أقدر مجهودك يا دكتور، ومدى اهتمامك به، وأؤكد لك أننى سأحرص على تنفيذ كافة التعليمات.
وما إن ذهب الطبيب حتى نظر الصديقان إلى بعضهما، وقد وجد كل منهما الإجابات التى كان يبحث عنها...

* * *

عاش صلاح أسوأ أيام حياته دون صافى، مر بمراحل متعددة من الاكتئاب، منذ الزيارة الأخيرة إلى مراد، لا يزور أحداً، ولا يزوره أو يواسيه أحد، اللهم إلا شقيقته بسمة..

وعلى الرغم من أنها حاولت أن تخفف عنه كثيراً من حالة اليأس الشديد التى يتعايش معها بنكاتها المستهلكة، فإنها كانت تجد صعوبة فى التواصل مع صلاح الذى تجهم فى البداية ثم ابتسم على مضمض. وشيئاً فشيئاً بدأ يعود إلى قوته وجبروته، وإلقاء النصائح بقوة الأوامر، خاصة عندما أخبرته عن تأخر مراد فى العمل كل ليلة. وهنا ثارت تائثرته وقال غاضباً..

- ولماذا عليه أن يتأخر كل ليلة؟ إنه ينتهى من تلك الحالات فى العاشرة مساءً. لماذا يظل حتى منتصف الليل؟

اندهشت بسمة من دقة الوصف الذى ذكره صلاح، فقالت فى هدوء..
- لا أذكر أننى أخبرتك عن جدولته اليومي، فمن أين لك بهذه الدقة؟ لقد وصفت ما يقوم به مراد بدقة متناهية!

ولكن عليك أن تعلم أنه لا يعود فى منتصف الليل، بل قبيل الفجر بقليل..

وما إن سمع صلاح تلك الكلمات، حتى انفجر فيها قائلاً بخشونة...

- وما دورك فى كل ذلك؟ لماذا لا تسألين أين كان؟ ومع من ظل إلى هذا الوقت المتأخر؟ أين أنت من حياته؟
تجهمت بسمه قليلا، ثم قالت فى هدوء..
- وهل كنت تجاوب عن تلك الأسئلة عندما كانت توجهها لك صافى؟

نظر لها والغضب فى عينيه.. قائلا.
- وما علاقة صافى بما نقول الآن؟ إننى لم أتأخر عن موعدى بالمنزل ولو لحظة واحدة فى أى يوم من الأيام، كما أنها لا تجرؤ على أن تسألنى مثل هذا السؤال!
وهنا ضحكت بسمه ببراءة..

- وما الذى يجعلك متأكدًا من أن مراد سوف يجيب عندما أسأله؟
ألستم جميعا رجالاً؟
هزها صلاح قائلا..
- ولكننى لم أعد يوما إلى المنزل قبيل الفجر، فما بالك بمن تعود على ذلك كل ليلة؟
قالت ببراءة..

- لقد سألته يا صلاح أكثر من مرة، وكانت الإجابة نفسها فى كل مرة، أنه يبقى بصحبة حازم وأحيانا شقيقه عمر.
وشارت نائرة صلاح مرة أخرى.. ولكن فوجيء بضحكة من بسمه، وهى تخبره بأنه أصبح على ما يرام، ولا يوجد داع لبقائها...
ضحك من القلب وحاول من خلال حديثه معها أن يوضح مدى قوته وقدرته على نسيان الزوجة وحلم الابن الذى ضاع...

ولكن بسمة كانت تود أن تواسيه فقالت فى فخر..
- لقد كنت منذ الصغر، ومازلت نموذجًا للشخصية القيادية الصلدة
التي تأبى أن تخضع لأحد.
وأنا واثقة من أنك سوف تتخطى هذه الأزمة وتعود كما كنت
وأفضل، ولكن لا تنس أن العمل يجمع بينكما، كما أنه يحتم علينا
جميعا الاحتكاك ببعضنا البعض.
ورد صلاح فى عنف.. وخشونة
- إن السماء من الممكن أن تتقابل مع الأرض.. لكنه أبدا لن يتبادل
الكلمات مرة أخرى مع هذه المرأة.. هذا غير ممكن ولا وارد حتى فى
أزهى أحلامها.

كما شدد على بسمة عدم الاختلاط بها. أو التحدث إليها أو التواجد معها
بمكان واحد، أو إلقاء السلام حتى على صافى، بل وأطلق عليها لقب الناشر.
ولما اعترضت بسمة على كل تلك التحذيرات... عنفها صلاح بأنها
يجب ألا تتدخل فى أمور مثل ذلك، وأن هذا المصطلح هو الأصلح من
بين كافة المصطلحات الأخرى.
وكالعادة لم تجد بدا من الاستسلام والرضوخ إلى رغباته وأوامره،
فودعته على أن تأتي لزيارته بالمنزل هى ومراد.

* * *

أثبت العلم قديما أن المعلومة المنقولة من شخص إلى آخر لها عظيم
الأثر فى النفس البشرية، كما أنها تنتقل بسرعة غير عادية.
وذات يوم عندما أراد هتلر قياس قوة تلك المعلومة وكيفية تحولها من
معلومة إلى إشاعة، جعل صفا من الضباط يقف أمامه وأخبر الأول معلومة
فى أذنه، وأمره أن ينقلها لمن بعده بنفس الطريقة.

وعندما وصل هتلر إلى آخر الصف ليسأل الأخير عن المعلومة التي وصلت إليه، وجدها مختلفة كل الاختلاف عن التي أخبر بها الضابط في أول الصف.

وهنا ضحك وقال لهم في هدوء.. هكذا تصنع الشائعة..

وكم من إمبراطوريات ودول انهارت بسبب لعنة الوشايات، المكائد، الفتن، والدسائس. ولم تكن مى تعلم ما تعرض له حازم من أزمة صحية، وأنه نسى تماما أن يخبر يوسف برأيها فيه، وبذلك المكاملة الهاتفية التي دارت بينهما.

وكانت الشائعة التي تنتقل فى المكتب مثل النار فى الهشيم بمثابة هبوط قنبلة فوق رأسها.

فقد تفاجأت بما يتردد حول عرض زواج من بيرى لأحمد، كما أنها سمعتهم يتحدثون عن فرار خارج البلاد، ورغم حالة الذهول التي انتابتها فإنها اندهشت من نظرة السعادة على وجه صلاح.

فهى تعلم جيدا أن صلاح لا يحب تواجد بيرى فى المكان، كما أنه يريد رحيلها عن الشركة اليوم قبل غدا.

ولكنها أيضا تعلم أنه يحب أحمد بشدة ويسانده دائما، إذن لماذا يشعر صلاح بالسعادة إلى هذه الدرجة؟ فهو بذلك سيتمكن من طردها خارج الشركة، ولكنه بالتأكيد لا يريد طرد أحمد، لماذا إذن هذه السعادة من أجل عرض ضد رغبته!

وحاولت أن تستشف من انفعالاته وردود أفعاله، ولكنها لم تجد سوى نظرة الفرح التي تعلق وجهه كلما نجح فى أمر ما، فها هى الفرصة تأتيه على طبق من ذهب، وسوف يتخلص من الفتنة فى الشركة.

وعندما حاولت مروة الاتصال ببيري كى تتأكد من تلك الشائعة، كان واضحا من صوتها مدى التأثر بالمفاجأة.

لذلك فقد قررت عدم الذهاب للشركة فى هذا اليوم، خاصة بعد أن أصبحت مثار حديث الجميع، وأن الشائعة باتت بمثابة الفيروس. لم تستطع مى أن تكبت شعورها بالازدراء، وتمنت أن ترى بيري فى تلك اللحظة كى تحطم حياتها، كما حطمت هى الأخرى حياتها. وحاولت عبثا أن تقترب من أحمد كى تعرف المزيد عن هذه النكبة، كما أرادت أن تخفف من وطأتها عليه، ولكنه عزف عنها متعللا بالإرهاق وتعب الأعصاب، خاصة أنه كشخص سوى ينأى بنفسه أن يظل محطاً للشائعات.

وكانت مى من السذاجة أن صدقت ما يردده أحمد دون أن تتحرى الدقة، والغريب أن أحدا لم يحاول حتى أن يعلم رد الطرف الآخر. رغم أن بيري كثيرا ما كانت تشمئز وتستنكر الحب الذى تكنه مى إلى أحمد، وكثيرا ما ذكرت ذلك إلى صافى أثناء حديثهم فى المكتب. ولأن صافى لم تكن متواجدة كى تدافع عن صديقتها التى حكم الجميع عليها دون أن يسمع دفاعها عن نفسها. بل وأرادوا ذبحها دون وازع من ضمير، وكأنها عدو لهم جميعا!

وعلى الرغم من المعاملة الجافة والسلوك القاسى الذى يسكله أحمد تجاه مى، فإنها لا تزال تفكر فيه، بل وتعتقد أنه ضحية بيري. بل وذهبت إلى نادر وطلبت منه أن يقف بجانبه ويسانده فى تلك المحنة. حتى لا يتأثر نفسيا بتلك الشائعة أو تتأثر سمعته عند العملاء (لا قدرالله) إذا ما وصلت إليهم.

كل ذلك وحازم بالمستشفى وليس لديه علم بما يحدث بالشركة، لا يعلم ما يخططه صلاح للتخلص من بيرى، أو ما قام به أحمد من ترهات، وما رسمه خياله المريض.

* * *

كان اليوم يوما عاديا كأي يوم آخر فى حياة بسمة لولا أنها كانت ممن يؤمنون بالتفاؤل والتشاؤم من الأشياء.

وعندما سقطت من يدها صورة زفافها هى ومراد أثناء تنظيفها لها، فزعت وكادت أن تموت خوفا، فأسرعت إلى الغرفة كى تطمئن على مراد، الذى كان لا يزال نائما كما تركته منذ قليل.

أثلج وجهه النائم صدرها، وغير كثيرا من مزاجها، ولكن قلبها وصدرها ظلا منقبضين نتيجة طبيعية لرد فعل الذى حدث بعد سقوط الصورة.

ولكنها ما لبثت أن روت له ما حدث، وكان على عكسها تماما لا يتفاءل ولا يتشاءم، وحاولت عبثا أن تثبت له أن ما تقول مثبت فى القرآن، وملزم فى السنة، ولكنه لم يقتنع لأنها وببساطة شديدة لم تستشهد بأى نص صحيح يجبره على الاقتناع بما تقول.

ثم إنها لم تكن تدرى عما تتحدث، فقد كان شرحها أقرب للهذيان، لذا فقد نهض من السرير وهو يخبرها بأنه سوف يغادر مسرعا للاطمئنان على حازم.

ومن ثم يقوجه إلى العيادة لمتابعة أبحاثه وحالاته، لكنها لم تستطع أن تظل صامته، وبدأت فى إلقاء الأسئلة اليومية التى تعود عليها مراد من بسمة...

- هل نام نوما هادئا أم لا؟ هل راودته أى أحلام أم لا؟ وإذا راودته فعليه أن يقصها عليها لأنها تجيد تفسير الأحلام! ثم.. هل يود تناول القهوة قبل الإفطار أم العكس؟ وإذا طلب القهوة قبل تناول الإفطار، تلقى بسمة عليه محاضرة علمية كى تمنعه من ذلك، وبأن القهوة تهدم كل كريات الدم فى جسد الإنسان!

وكالعادة يبتسم مراد فى وجهها، ثم يشير بالإيجاب على كل التساؤلات.. لكنه هذه المرة شرد بذهنه بعيدا وهو يردد بينه وبين نفسه...

- الغريب أنها على نفس الحال منذ الزواج.
ورغم تلك المدة القصيرة، إلا أننى أحس بمثل كبير وصدع هائل فى تلك العلاقة التى باتت نهايتها وشيكة.
فقد بلغ السيل الزبى كما يقال! فما هو د/ مراد الذى يضرب به أقرانه المثل فى هدوء الأعصاب والتحكم فى الغضب، وقوة السيطرة على الموقف.. صار عصيبا بشكل غير عادى، حتى إنه أصبح يثور لأتفه الأسباب.

وكيف لا؟ فهو لا يحيا فى جو طبيعى أو صحى منذ عدة أشهر!
ولكن مراد فى ذلك الصباح لم يستطع أن يحتمل! فقد أرقنت منامه بسبب خرافة هو لا يؤمن بها، ثم هناك تلك الأسئلة التى تحرص على أن تكررهما كل يوم، لذلك فقد استطاعت بسمة أن تجعله يخرج من حالة الصمت التى كان يلزمها طوال الأسابيع الماضية.

فقد صرخ بشدة طالبا منها تغيير نفسها، لأنه أصابه الملل، ووصل للدرجة التى يمكنه فيها أن يتنبأ بما ستقول ومتى ولماذا؟

لأنها وبكل بساطة لا تهتم فى الحياة سوى به ، ولا ترى فى الدنيا مخلوقا سواه!

وهذا ما يسبب له قلقا نفسيا لا حدود له ، لأن عليها أن تهتم بنفسها أكثر، وتلتفت إلى عملها بعض الشيء، ثم تترك له الاهتمام بها ولو لبعض الوقت.

غادر المنزل وصفع الباب وراءه، بعد أن أفرغ شحنة التوتر والانفعال والعصبية الزائدة فيها، وأخرج مخزون كل الأيام الماضية دفعة واحدة. ولكم شعر بالسعادة والارتياح وهو يتركها خلفه حائرة لا تعلم ماذا تفعل؟ أو ما الخطأ الذى ارتكبه؟ أو لمن سوف تلجأ؟ أو مما تشكو؟ تركها دون أن يخبرها ما الذى يجب عليها أن تفعله كى تتغير؟ وما هو عيبها وهى على تلك الحالة؟ وماذا لو كانت ليست قادرة على القيام بما إقترحه منذ قليل؟

كل تلك الأسئلة طرحتها والدموع تنهمر من عينيها وتسقط بهدوء فوق وجنتيها، وتنهار فوق أقرب مقعد...

* * *

لم تعد مروة تخشى تهديدات نادر أو تلقى لها اهتماما ومضت قدما فيما قررت خاصة بعد أن ابتاع لها والدها الفيلا التى ستنفذ فيها حلم عمرها.

وتعمدت أن تتغزل فى الفيلا، وموقعها الجغرافى وثنمها الباهظ، متجاهلة نظرات الأزدرء فى عين نادر الذى ظل صامت دون تعليق على أى شىء رددته.. وتمادت هى فى الوصف وإظهار سعادتها وربما المبالغة فيها قليلا من أجل إرضاء جانب الغرور فى شخصها ونفسها.

ولكنه بعد نقاشه الأخير مع والده قرر أن يطلب منها التوقف عن تناول أقراص منع الحمل، واثقا بأن هذه المفاجأة كفيلة أن تزلزل مروة وتهدم كل طموحها.

ولكن المفاجأة كانت من نصيبه هو حين أخبرته مروة أنها بالفعل توقفت عن تناول تلك الأقراص منذ ستة أشهر، نزل الخبر على رأسه كالهواية.

إلا أنه حاول أن يتماسك وأن يبدو غير مكترث بما أخبرته به، فقد كان على ثقة تامة في قرارة نفسه إما أنها تكذب أو تحب أن تشعل غيرته...

ولكن شيئاً ما لم يكن مطمئناً لتلك الاستنتاجات، فقد ظل هاجس يوسوس داخل نفسه وبشدة.

وعلى الرغم من أن حياتهما معا في الفترة الأخيرة باتت تعتمد على اصطياذ الأخطاء، وإن كانت كفتها أرجح منه، معتمدة في ذلك على الحب الكبير الذي يكنه لها...

وفي ظل المفاجأة الجديدة التي ملأت حياتهما الزوجية، والتي دائما ما يحاول نادر رأب الصدع بها، بل وحذرهما في هدوء إلى ما وصلا إليه معا بسبب عنادها...

- أنا لا أعترض على افتتاح تلك الشركة، ولكن هل تضمنين لي وجودك معي نفس الأوقات كما كنا نفعل سابقا؟
نظرت له مروة باستهجان وهي تقول..

- أنا مهندسة، ولست موظفة لها موعد محدد تخرج وتعود فيه من المنزل، هذه هي حياتنا منذ الزواج، وستظل هكذا بعد أن أفتتح

تلك الشركة، وغير ذلك فأنا سأصبح رئيس مجلس إدارة، بمعنى أنني ستتضاعف مسؤولياتي ويزداد وقت العمل وليس العكس يا نادر! ابتسم نادر فى وهن..

- مروة لبتك تحاولين تهدئتي بدلا من تعمدك استفزازى، أنا كآى زوج من حقى أن أعرف متى ستخرجين ومتى ستعودين؟ ضحكت مروة بسخرية..

- وأنا لا يمكننى ذلك!

رد نادر بتساؤل...

- وإذا اعترضت؟

استمرت مروة فى إستفزازها قائلة...

- اعترض!

هنا صرخ نادر فى ضعف...

- مروة ألم تعودى تحببيني مثلما كنا فى السابق؟

ولكنها أجابت فى جفاء...

- الحب يأتى بعد بعض الأشياء أحيانا يا نادر، وأنت على علم

بطموحى هذا قبل زواجنا، بل ووافقت على ذلك، ألم يحدث؟

قال نادر فيما يشبه البكاء...

- أنا وافقت على طموحك لأننا كنا متواجدين فى مكان واحد،

أما الآن فكل منا فى مكان، ثم أنت تحرمينى من أمنية عمرى الوحيدة

وهى أن أنجب طفلاً يحمل اسمى فيما بعد، ألم يكن هذا نزولا على

رغبتك وإرضاء لدلالك الذى لا حدود له.

صرخت مروة فى قوة...

- سبق وأخبرتكم أنى توقفت عن تناول أقراص منع الحمل منذ ستة أشهر، وعلى ما أعتقد أن علاقتنا الزوجية كانت مستمرة بشكل طبيعي طوال تلك الفترة، لماذا إذن لم تتمكن من الإنجاب؟
ولأننى كنت حريصة أكثر منك على معرفة إجابة عن ذلك السؤال، ولم يتوقف عقلى عن التفكير فى السبب وراء عدم الحمل، حتى قتلتنى الشكوك والأفكار قتلا.

لذلك ذهبت مع داليا إلى الطبيب الذى أكد لى أننى طبيعية، ومن الممكن أن أحمل فى أى وقت، ولم آخذ بكلامه، وذهبت لآخر وآخر حتى بات الأمر حقيقة لا تقبل الشك.

إذن فعليك أنت أن تذهب إلى الطبيب، وعدم الانتظار لحظة واحدة، لأن حياة أحد منا الآن على المحك، فأنا قادرة على إنجاب دسنة من الأطفال، ومن حقى الطبيعى أن أحظى بطفل، والله يعلم أنى أتمنى من صميم قلبى أن يكون منك.. ولكن متى؟
سكتت برهة ثم أكملت برفق...

- نادر إن لحظات السعادة فى حياتنا هى التى تدفعنا دائما إلى الأمام، ولأننا لن نحيا مرتين علينا إذن باقتناص هذه اللحظات من الدنيا، إن لم يكن برغبتها فلنأخذها إذن رغما عنها، هل تسمعنى يا نادر؟ رغما عنها..

ظل نادر واجما دون حراك لحظة أو لحظتين ثم قال بهدوء...
- أتخبرينى أننى غير قادر على الإنجاب لمجرد أن الطبيب أخبرك أنك طبيعية، هذا دليل غير كاف بالنسبة لإنسانة متعلمة ومتقفة تعرف جيدا أن أحيانا الزوجين يكونان طبيعيين للغاية، ومع ذلك لايمكنان من إنجاب الأطفال.

وهذه المحاولة الساذجة التسي تقومين بها غير محكمة بالشكل الكافي، لأننى سأذهب غدا لأشهر أطباء مصر.

وأوضح لك أنك لم تقدرى ذكائى تقديرا جيدا، فأنت تحاولين إلقاء اللوم على عاتقى، حتى تتمكنى من إذلالى وأنفذ كل طلباتك دون أى اعتراض، أليس كذلك؟

تفاجأت بالثورة بعد الهدوء ولكن قالت فى براءة شديدة...

- أنا لا أتعمد إذلالك، لقد ذهبت أنت بتفكيرك العجيب إلى أبعد الاستنتاجات وأعقدها، ثم إنك لم تتعود أن ترفض لى أى طلب منذ زواجنا، أليس كذلك؟

صرخ قائلا وكأنه على وشك الانفجار...

- لا، سوف أبدأ بالاعتراض والرفض من اليوم.. هل لديك أى مانع؟ ضحككت قائلة فى تحد...

- ولماذا أمانع؟

غادرت الغرفة وهى تكتم ضحكاتهما بصعوبة. حتى لا يشتعل الموقف أكثر وأكثر..

شيعها هو بنظرة يأس طويلة، فهو بينه وبين نفسه كان يدرك أنه يهذى ولاشك، ولا يعلم ما معنى الكلمات التى كان يرددها منذ قليل.

أو كيف كان يجب الرد على سخريتها؟

ولكنه كان يرتعش خوفا من فكرة الذهاب إلى الطبيب، ثم نتيجة التحاليل التى سيطلبها.. ألقى بنفسه على السرير ودفن وجهه بين كفيه وانخرط فى بكاء حار.

* * *

تكون المرأة بعد الطلاق فى حالة من عدم الاتزان، سواء فى أفعالها أو أقوالها، تشعر أحيانا كثيرة أنها غريبة عن العالم، وأن الجميع ينظر لها نظرة خاصة.

هكذا مر الأسبوعان الأخيران على صافى، حبيسة المنزل ترفض أن يدخل لها أحدا، أو تخرج كى ترى أحدا، أو تتحدث حتى مع والدتها. ولكن شيئا فشيئا بدأت تعناد ما حدث، وقدرته تقديرا جيدا، حيث توصلت من خلال العزلة إلى حلول جيدة، وهى أن الله عز وجل قد قدر ما فيه خير لها، كما أنه حباها بأناس كثيرين يخافون عليها، ويحبونها. وعلى الرغم من أنها قضت تلك الفترة تسترجع ما حدث خلال الفترة الأخيرة. تأكدت لها فجأة حقيقة أفزعتهما وهى أنها لا زالت تحب صلاح، على الرغم مما فعله بها.

أو متأثرة شيئا ما بالذكريات الجميلة النادرة التى مرت عليهما معا، وعندما قامت بفتح هاتفها الخاص وجدت العديد من الرسائل للطمئنان عليها ليس إلا.. ولكنها أيضا وجدت رسالة استغاثة من بيرى..

ولكن لفت انتباهها عدم وجود أى اتصال أو رسالة من أحمد، مما جعل شكها يصبح يقينا بأن أحمد ضالع بشكل كبير فى ما حدث لها سواء فى الوشاية أو فى الطلاق.

وعادت إلى رسالة الاستغاثة من بيرى، والتى طلبت فيها أنها بحاجة ماسة إلى التحدث إليها فى أمر هام، لذلك لم تجد بدا من أن تطلبها كى تعلم أهمية الأمر.

ولأنها هى الأخرى كانت بحاجة ماسة لمن تحكى معه، وتشكو إليه، كى تتخلص من شحنة العصبية التى اندلعت داخلها منذ الطلاق كحلم من النيران.

وكانت بيرى هى التى بدأت وفاجأت صافى بما يحدث فى المكتب،
ولكن أول ما نصحت به صافى هو ضرورة العودة إلى العمل، لأن هروبها
منه يؤكد تلك الشائعة.

كما أنها لم تعتاد عليها وهذه الروح الانهزامية، فلم يسبق لها أن
شاهدتها حزينة بهذا الشكل.

ورغم ما تمر به صافى من معاناة وآلام، إلا أنها من المستحيل أن
تتخلى أيضا عن بيرى بعد كل ما فعلته هى من أجلها وما تحملته من
صلاح.

ولكن بعد تغير الظروف وزوال الرقيب عليها، باتت أفكارها أكثر تفتحا
ونضوجا، كما أنها الآن بإمكانها أن تتحدث مع بيرى وباب المكتب مفتوح
على مصراعيه أو حتى فى مكان عام.

ولكن بينها وبين نفسها كانت تعترف بأنها لاتزال ضعيفة ولم
تتعاف بعد، كأنها طفلة ترتعش فى ليلة من ليالى الشتاء القارصة، لذلك
كانت لا تريد العودة إلى العمل هى الأخرى، فقد كانت تخشى النظرات
التى سوف تتبعها طول الوقت.

تشعر وكأنها لم تشف بعد من مرض عضال، كما أن جسدها بأكمله
منهك القوى وخائر العزيمة ولا تقوى على فعل شىء، وتملكها شعور
غريب بأنها ستسقط مع أول ريح تعصف بها دون مقاومة، وتعود كى
تنتكس لأن كل خلايا جسدها تقبل ذلك.

وهكذا مضت المكاملة.. صافى تشكو وبيرى تستمع إليها، وبيرى
تفعل نفس الشىء، كما ظلت المحاولات والاقتراحات قائمة، ولكن ثمة
شىء كان يقلل من تواصلهما لذلك قررت صافى أن تذهب إلى بيرى

بالمزحل حتى تتفقاً على ما سوف يحدث ويضعاً مع السيناريو الأمثل للعودة إلى العمل.

* * *

(لا يفوت الأوان أبداً على التصرف الصحيح) ذلك ما ظل مراد يردده طوال الطريق، وهو متجه إلى المستشفى الذي يرقد به حازم، وقد أدرك أنه اتخذ القرار الصحيح نحو الخلاص، وأن الطلاق أصبح وشيكاً بالنسبة له.

وقرر أن يعرض الأمر على صديق عمره، وشريكه في القرارات الهامة، ذلك القرار الذي طالما فكر كثيراً فيه قبل أن يقدم عليه، وعلى الرغم من أنه لم يعتد أن يشرك أحداً في قراراته، ولكن حازم كان لديه وضع خاص.

كما أنه فكر في أن ذلك سيجعل حازم ينسى ولو لبعض الوقت مشكلة سارا، وتواجهه بالمستشفى، وبالصدفة البحتة تقابل والطبيب المعالج الذي قال في ملل شديد...

- د/ مراد، لقد كنت منذ قليل في غرفة صديقك، وهو في وضعية ممتازة رغم حالة الإعياء التي يعاني منها، ولكنها بسبب غسيل المعدة الذي تعرض له.. ولكن يمكنه المغادرة إن أراد ذلك...

قال مراد في روية...

- إنه يعاني التهاباً حاداً في الأذن الوسطى منذ فترة، هل لذلك علاقة بما حدث؟

رد الطبيب متأففاً...

- ويمكنك أن تضيف إليها تليف بسيط في الكبد يرجح أن يكون نتيجة الإفراط في تناول الخمر.

كل هذه أعراض من التي سببت له الاختناق الشديد وجعلت الأرض
تميد من تحت قدميه.

ولكن عليك - باعتبارك صديقًا مقربًا منه - حثه على التعامل مع
الموقف بمزيد من الاحترام، لأن من الممكن أن يتدمر الكبد على المدى
البعيد.

تدارك مراد الموقف حين وجد نفسه أمام الغرفة، ورد قائلاً...
- لك أن تتأكد أني سأفعل كل ما يوسعني، وإن كان من الممكن
والسهل التعامل مع التليف خاصة في البداية، وسأستخدم كل تأثيري
كي أحول بينه وبين الخمر.

بل إنني من الممكن أن أنتقل إلى منزله إذا لزم الأمر، فأنت لا تعلم
مدى العلاقة التي تربط بيننا..

هز الطبيب رأسه علامة الامتنان وتركه، ليدخل الغرفة ويواجه حازم
بابتسامته العريضة، قائلاً...

- الطبيب يقول ألا داعي أن تبقى هنا، كما أن كل ما عليك هو
الامتناع عن تناول الخمر.

نظر له حازم مباشرة، ثم ضحك وقال في سخرية...
- لم تتقن الكذب يوماً، وطوال الفترة التي عرفتك فيها، وهي كل
حياتي تقريباً لم تستطع أن تكذب على يوماً، هل نسيت تليف الكبد؟
تجهم وجه مراد، ثم ما لبث أن لانت قسماته وابتسم مرة أخرى
قائلاً...

- التليف كما علمت من الطبيب في المراحل الأولى، ويمكن التغلب
عليه بأدوية بسيطة والإقلاع عن الخمر نهائياً..

أوما حازم برأسه ، وكاد أن يقول شيئا ولكن دولت تدخلت في الحوار بغتة وقالت...

– هل أنت واثق بالفعل من نتائج تلك التحاليل يا مراد؟ وهل تعلم أفضل الأماكن المخصصة لعلاج الكبد؟ رجاء يا مراد إنى لا أملك إلا هو وشقيقه.. وأنت تعلم ذلك جيدا!
ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفתי حازم ومراد، ولكن الأخير كان أول من تكلم ورد قائلًا...

– بالطبع أعلم مدى اهتمامك ورعايتك له ، وأعلم أيضا أفضل الأماكن التى يمكنها أن تهتم بتلك الحالات، ولكن الوضع لا يحتمل إطلاقا، فهو بالفعل شيء بسيط، كما أنك لست الوحيدة التى تحب هذا الرجل! فأنا أيضا أحبه وأهتم به... ولا أعرف لماذا؟
ولم يستطع مراد أن يخبر حازم بالقرار الذى اتخذه نظرا لوجود دولت هانم بالمكان، وفيما بينه وبين نفسه أجل القرار لعل فى ذلك إشارة بالتغيير..

* * *

أدركت بيرى من أول وهلة أنها أضعف من أن تحتمل تلك النظرات، وإذا استطاعت مواجهة صلاح واحتماله... فكيف ستحتمل نظرات الشركة أكملها؟

لذا فقد قررت بينها وبين نفسها المغادرة فى هدوء، فهى فى الأول والأخير بشر ولن يمكنها أن تصلح ما جبل عليه صلاح، ولن تقوم أحمد أو تختبر سلوكه وأخلاقه. ولن تستعوض بصافى لأنها تمر بأزمة نفسية قوية. ولن تستنجد بحازم لأنه يعجز حتى عن اتخاذ قرار فى الشركة التى يمتلكها، ولن تفيق مى لأنها تستحق ما يفعله أحمد بها...

وقد انقشعت كل الغيوم من أمام عينيها، كى ترى نفسها وحيدة فى هذا البلد الغريب الذى لا تعرف فيه أحداً يمكنها الاعتماد عليه أو اللجوء إليه.

لقد أصبحت بيرى تبحث عن من يستمع فى أى مكان تتواجد فيه ولو بالصدفة، وكأنها تستجدى أحداً يسمعها...

لذلك فقد قررت الرحيل عن مصر تدريجياً، أى بالانقطاع البطيء عن العمل ثم تقديم استقالة مفصلة ومسببة فى الوقت المناسب.

ونظراً للكراهية الشديدة التى يكنها لها صلاح فقد رجحت فكرة أنه لن يمانع فى قبول طلب الاستقالة، بل على العكس فإنها كانت متأكدة من أنه سيرحب بكل سرور.

وقطع تلك الأفكار جرس باب شقتها، وتساءلت عن القادم فى فضول، خاصة وأنها فى مزاج سيئ لا يسمح بالتحدث إلى أى شخص... ولكن لما وجدت صافي انفرجت أساريرها بشكل غير عادى، فقد كانت بحق بحاجة إلى صديق حقيقى تحكى له، و تشكو إليه، وتتناقش معه، وتتبادل معه الآراء والأفكار، وإلا ستفقد عقلها جراء التحدث مع النفس.

لذلك فقد ابتسمت واحتضنتها بقوة وهى تقول فى ضراعة...
- لقد أرسلك الله إلى فى الوقت المناسب، فأنا جد فى حاجة إلى صديقة مثلك!

اندهشت صافي من ردة الفعل، فهى أيضاً أتت ولجأت إليها بسبب نفس المشكلة.. وقالت فى حب حقيقى..

- أنا بجوارك دائماً، وسأظل معك حتى نهاية الطريق.. لا تقلقى ونحن معا.

ارتمت ببرى على مقعدها الهزاز وهي تقول فى ضعف...
- لا أحد يريدنى فى هذا البلد، فمنذ اليوم الذى وصلت فيه إليه
وأنا أعانى، خاصة فى العمل.

لا يوجد من يحتملنى، أحمد يلفق لى الشائعات رغم أنى لا أشركه
المكتب، كما أننى لست نفس تخصصه، بل لمجرد أنى رفضت أن أوافق
على الظهور معه فى مكان عام، ورغم أن هذا حقى إلا أنه احتقن منى
ودبر لى المكائد والدسائس.

فرزت صافى مما سمعت، وعلقت بدهشة...

- كل ذلك حدث أثناء غيابى لمدة أسبوعين، وأين حازم بالله عليك؟
عليك أن تخبريه فقط أن أحمد يسبب لك أى متاعب، كى تتعرفى
على مقدار الكراهية التى يكنها له، إنه لا يطيق وجوده منذ أتى إلى
الشركة.

ولا يعلم أحد لماذا؟ فهما يكتان لبعضهما الضغائن بشكل كبير، وإن
كان أحمد ذا خبرة فى عالم الدس والوقية.
اندهشت ببرى، وقالت باستسلام...

- ولكن حازم هذه الأيام لا يتواجد مطلقاً، وأنت أيضاً! المكان
لا يطاق أو يحتمل دونك، فأنا بحاجة إليك بدرجة كبيرة جداً.
صافى، أنا أفكر جدياً فى الرحيل والعودة إلى فرنسا مرة أخرى،
فالناس هناك لا يباليون إذا كنت تعملين أو لا؟ أو إذا كنت مسلمة
أو مسيحية؟ لا يباليون إذا كنت محجة أو سافرة؟

الناس هناك لا تترك بعضها أبداً، طول الوقت هناك مجموعات
تمشى مع بعضها بالشوارع والمقاهى والحدائق والأماكن العامة، ومن

الصعب أن تجدى شخصاً يمشى وحده أو يجلس بمفرده فتذرف عينه
الدمع لأنه لا يجد من يستمع إلى شكواه وكلامه..

صافى.. سأرحل عن هذا البلد، فأنا لست مرتاحة فيه! وعلى الرغم
من أنه وطنى الأم، إلا أننى أشعر فيه بالغربة وبشدة.
قامت صافى من مكانها، واحتضنتها بشدة..

لكن بيرى أعقبت كلامها بتنهيذة طويلة ودمعتان جاهدت كثيرا حتى
لا ينزرفا من عينيها، ولكنها فشلت فى ما حاولت... وقالت فى هدوء
- ماذا على أن أفعل؟ أنا فى حيرة من أمرى، لأول مرة فى حياتى
أعجز عن اتخاذ قرار، أحتاج إلى من يؤيد أحد تلك الأفكار التى تتزاحم
وتتصارع داخل رأسى.

مدت صافى يدها وأمسكت يدها بقوة، وقالت...
- لن ترحلى عن هذا البلد، ولن تتركى عملك، كما أننى لن أتركك.
ولن تظلى وحدك، وأقسم لك على ذلك..
وهذا وعد أمام الله عز وجل، أنسى لن أتركك ما دمت على قيد
الحياة، وسأدعمك بكل قوتى...

احتضنتها وقد تأثرت كثيرا برد فعلها، ومدت صافى يدها كى تمسح
الدموع التى انهمرت من عيني بيرى..

* * *

عندما تكون الثقة هى العنوان الرئيسى للعلاقة، فذلك يسهل بشدة
اتخاذ القرارات، خاصة إذا كانت مصيرية.

ولم يطل بقاء حازم بالمستشفى أكثر من ثلاثة أيام، وقد اقتنع تماما
بوجهة النظر التى طرحها مراد، وازداد اقتناعا عندما أخبره أنه لن
يتركه وسيكون برفقته أينما يكون..

ولم يتفاجأ حازم عندما أخبره مراد أنه بحاجة ماسة للتحدث معه،
ويريد أن يبحث معه عن حل لمشكلة جذرية تتعلق بحياته الشخصية..
لذلك لم يطل بقاء مراد بالعيادة، وخرج مسرعاً مع حازم بعد أن
انتهى من الجلسة الأخيرة، وجلسا في السيارة و لكن دون أن ينبس
أحدهما ببنت شفة، ودأبا ألا تلتقى نظراتهما.. وفجأة هتف حازم..
- أعلم إنك لن تخبرني ولكنى قلق عليك فأنا لم يسبق لى ورأيتك
هكذا..

ولكن مراد أمسك رأسه بكلتا يديه ورد فى هدوء...
- بالعكس أنا بالفعل بحاجة إليك، وعليك أن تسمعى دون تعليق،
فأنا أبدو من الخارج أقوى مما تتخيل ولكن ما لا تعلمه أنى أعيش
صراعاً مريراً مع نفسى منذ زواجى من بسمه..

تراجع حازم الذى كان يمسك بعجلة القيادة، وقال بدهشة...
- لما تقول هذا يا مراد؟ ولماذا ألمح الحزن والدموع بعينيك كلما
رأيتك؟ لقد كنت تريد أن تخبرنى شيئاً بالأمس بالمستشفى ولكنك
تراجعت، فما الذى تخبأه داخلك وترفض أن تبوح به لأى شخص؟
وتذكر أننى حازم صديق طفولتك ومصدر ثقتك الوحيد، كما أنك
يمكنك الاعتماد على، وأقسم لك أنى لن أخذلك..

- ولم يستطع مراد أن يغالب الطبيعة، وبكى فى صمت.. ولكن
عندما رأى حازم الدموع التى لم يرها من قبل، تمزق قلبه، وأدرك
حجم المعاناة التى يعيشها ويشعر بها صديقه، فالموضوع لم يكن إذن
مجرد خلاف بين زوجين، بل كان من الواضح أن الأمر حدث جلى
وإلا ما كانت هذه الدموع تنزل فى صمت تام!

أوقف السيارة.. والتفت لمواجهة مراد وهو يصرخ..
- لن أجلس هكذا وأراك وأنت مدمر كلياً أمامي، عليك الآن أن
تخبرني، ماذا بك؟ أنا بحياتي ما رأيك بهذه الحالة!
وضع مراد كفيه على وجهه كي يخفى الدموع التي ظلت تنهمر،
وكانها كانت حبيسة وما لبثت أن فتحت لها الأبواب، وقال في
استسلام تام...

- أنا لست سعيداً يا حازم، فمنذ زواجي منها وأنا لم أحقق أي
شيء، فهي تشغل تفكيري بشكل غير عادي، ليس من أجل الحب،
ولكن كحالة مرضية أتعامل معها...

فالوجه الملائكي، والعيون البريئة مجرد أشياء جامدة لا يوجد روح
فيها، فهي كائن خاو من الداخل بدرجة لا تصدق، إن كل ما تردده
يدور بين الحلال والحرام، وأقصى انفعالاتها تكون من أجل دخول
الحمام بالرجل اليمنى أم اليسرى؟

فطوال فترة زواجي منها لم ترد بسمه سوى ملابس الصلاة حتى
ونحن معا في غرفة النوم، ولم أرى شعرها إلا ساعات معدودة!
حتى لو تزوجت من قديسة أو راهبة فسوف يكون حالى أفضل من
ذلك بكثير، بسمه حولت حياتي جحيماً والغريب أنها لا تشعر بذلك،
بل على العكس فهي تشعر أنها تفعل معي ما لا طاقة لها به، مما يجعل
منها ضحية عندما أطلبها بالمزيد.

رفع حازم حاجبيه، وثم عقدها وقال في حزم...
- لم أكن أعلم أن ما يؤرقك مشكلة حساسة بهذا الشكل، لقد
حذرتك قبل الإقدام على هذه الزيجة ولكنك قد فتنت بالوجه والأخلاق،
ولم يعد التراجع وارداً..

علا صوت مراد على غير العادة، وصرخ...

- صلاح هو الذى أجبنا على تلك الزيجة بهذا الشكل، فقد كنت أكتشف هذا العيب لو مررنا بفترة خطوبة، لكنه أبى ذلك وأصدر فرماناته العسكرية!

ضحك حازم، ثم تكلم بجدية...

- ولكنك متزوج منذ مدة قصيرة، هل من الممكن لو استمرت الحياة بينكما وقتاً أطول تعتاد على ذلك؟!
هز مراد رأسه بىأس شديد، قائلاً...

- لا يا حازم! لقد اتخذت القرار وليكن ما يكون، سوف أطلق بسمه.. ولتعد لشقيقها المريض ليكونوا معاً عائلة من المرضى النفسيين، أما أنا إذا بقيت معها أكثر من ذلك سوف ألجأ للانتحار.
لقد جعلتني أشعر بالفشل، عندما عجزت عن ملاحظة سلوكها الطبيعي، وهى مقيمة معى فى نفس المكان يا حازم، هل تعرف معنى ذلك؟

أنا لست بارعا كما يشاع، أنا لا أستحق هذه الشهرة أو شهادات التقدير التى تملأ الجدران فى كل مكان.
حاول حازم أن يهون عنه، فقال برفق...

- أنت إنسان عادى يا مراد، وأى إنسان معرض للنجاح والفشل، وكما يقال (ليس سقوط كلمة.. تعنى بأنك نسيت النص بالكامل)، بالعكس الكمال نقطة ضدك وليست فى صالحك لأن بشرتك أساسها الخطأ، هل تعلم ذلك؟

ضحك مراد وهو يمسح دمعة هربت من بين جفنيه...

-
- لم أكن أعلم إنك مثقف، كما أنك تقرأ مؤلفات علم النفس والفلسفة من وراثي!

استمر حازم فى هدوئه...

- ولن تعرف ماذا يعتمل داخل نفسى الآن، ولست قادرا أن تعلم أى شىء عن كل شىء، سنظل نتعلم ونعرف حتى تنتهى هذه الحياة الفانية. رفع مراد حاجبيه، وقال فى هدوء مماثل..

- حازم.. لا أريد أن أدخل معك فى مناقشات عن حسابات القدر الآن، فأنا فى حالة مزاجية سيئة للغاية وأضف على ذلك إننى لا أريد الذهاب للمنزل ولا أريد حتى رؤيتها لقد قررت ترك مساحة لها للتفكير كى تقرر مصيرها هذا إن استطاعت؛ لذا سأعود للعيادة حتى الصباح.

مد حازم يده يشغل موتور السيارة وقال بنفس الهدوء...

- مراد، هل أنت واثق من كونك ستبقى وحدك أنا لا أريد تركك فى هذه الحالة؟ لماذا لا تأخذ مفتاح شقة المعادى وترتاح بها يوماً أو يومين.. ضحك مراد، وقال بسخرية...

- أنا بخير الآن صدقتى، أنا لم أكذب عليك من قبل ثم إننى أجيد التحكم فى أعصابى، أما شقة المعادى فمن الممكن أن يأتى عمر أو يوسف فى أى وقت، ومعهم شرطة الآداب مثلاً.. وتكون فضيحة أخلاقية لطبيب مشهور..

فلا داعى لذلك سوف أظل بالعيادة، وأعدك أننى سأفكر بروية مرة أخرى، ولكن عن جد الكلام معك كان مفيداً وممتعاً للغاية يا حازم.

عاد حازم مرة أخرى للعيادة، وتركه وهو فى غاية القلق فقد كان يحب صديقه بدرجة كبيرة وصدق حقيقى، ولكن عزاءه الوحيد مقدرته الغذة فى التحكم بالنفس والأعصاب والانفعالات.

وجد نفسه لا يريد العودة إلى المنزل هو الآخر، والساعة لم تتعد الواحدة بعد منتصف الليل، فقرر أن يتوجه نحو شقة المعادى بدلا من العودة إلى سارا ودولت.

* * *

جلست مى مع والدتها فى تراس شقتيها بمصر الجديدة يحتسيان قدحان من الشاي ويشاهدان مشهد الشمس وهي تزوى فى كبد السماء وقت الغروب.

وذكرت مى لوالدتها ما حدث مع حازم، وسقوطه المفاجئ والذهاب إلى المستشفى، وفى خضم كل تلك الأحداث نسي تماما أن يخبر يوسف عن رفضها له.

لذلك فقد طلب منها العودة والتفكير مجددا فى العرض الذى قدمه إليها، خاصة وأنه جاد تجاه موضوع الزواج، وبلغت السعادة مبلغها لدى الأم، خاصة فى ظل انطوائية ابنتها.

كما أنها أعربت لها عن رغبتها فى الاطمئنان عليها شأنها شأن أى أم فى الدنيا، ولكن مى استطاعت أن تغفلت منها بسلاسة، وأكدت لأُمها أنها لم تأخذ قرارا بعد.. ولكنها ستعيد التفكير ليس إلا..

وظل الحديث بينهما عاديا ووديا، حتى قالت مى فى براءة شديدة..
- إنها لم تفقد الأمل تماما فى أحمد، فقد كانت لاتزال تنتظر العرض الذى طالما تاقت إليه، والطلب الذى تتمنى أن يتقدم به..

وهبط كلامها على الأم وكأنه كارثة، خاصة وأنها لم تكن ترتاح إلى نوعية الأشخاص مثل أحمد، فقد سمعت من ابنتها الكثير عنه، وشيئا فشيئا بدأت تكون رأيها الخاص فيه.

وشعرت الأم بخطورة الموقف، وبأن الأمل من الممكن أن يضيع ويتسرب من بين أيديها، وأطبق الروع على صدرها، فابتلعت الكلمات فى حلقها ونظرت لابنتها نظرة زائغة لا تدرى كيف تشرح لها أن ما يمضى لا يعود...

وعندما شعرت مى بمدى المعاناة التى تمر بها والدتها، حاولت أن تخفف من وطأة الخبر عليها، لذلك قررت أن تعدد لها بعض عيوب يوسف التى لا يزال عليها، خاصة وأن جميعها أخلاقية، وأن هذه الصفات ليست بجديدة عليه أو على عائلته، وعلى النقيض فإن هناك مزايا أخرى بأحمد الذى يواظب على الصلاة حاضرا فى المسجد، ولكن كانت المفاجأة من نصيب مى التى رأت موقفا مغايرا لوالدتها تقول فيه...

- إن زير النساء دائما ما يختار زوجته من بيت ذى أصل ودين، ويكفى أنه سلك الطريق القويم وتقدم إلى طلب يدك مباشرة، ولم يماطلك ويمهلك حتى إن عامين مرا ونحن منتظرين أن ينال الاستقرار النفسى الذى تحدثين عنه طوال الوقت.

وأنا كأمر بتجربة زواج وشاهدت بالدنيا أكثر منك وخبرتى بالحياة تزيد عنك بكثير، وأعلم بنوايا البشر أكثر منك، أستطيع أنؤكد لك أن الرجل الذى يترك امرأة أمامه لمدة عامين دون أن يشعر بها، أو يتقدم لخطبتها وهو يعلم إنها تحبه بهذه الدرجة... إما أنه لا يريدتها أو أنه تركها حتى تمل من تلقاء نفسها.

يا ابنتى هذا الرجل لا يشعر بك إطلاقا، بل ولا يضعك فى حساباته من الأساس، بنيتى العزيرة استمعى لكلمات أمك هذه المرة ولن تصابى

بالندم طيلة حياتك، اقبلى بذلك الشاب، وألقى تاريخه الأسود وراء ظهرك، لأنه سيبدأ معك دنيا وحياة جديدة، وستكونين ملكة عمره وأيامه، فالرجال أمثال يوسف هذا عندما يعشقون ويقررون الزواج يكونون قد اكتفوا من حياة الملذات والسهرات.

كما أنه يريد أن يستقر مع امرأة من مستواه الاجتماعي ليس لها أى علاقات أخرى، امرأة تكون أما لأبنائه..

- تطلعت مى لوالدها باندهاش وكأنها تتساءل عن كيفية اكتسابها ذلك المبدأ الغريب وتلك الخبرة فى الحياة؟
وهنا قالت والدها فى هدوء..

- إن الزمن كفىل أن يعلم أى إنسان وإن الحياة هى المدرسة الحقيقية التى يمكن للإنسان أن يتعلم فيها.

هدأت مى بعض الشىء.. مرددة أنها قريبة من الله وإنه لن يضيعها أبداً، وستفعل ما تريده منها ولكن هناك بعض الخطوات الهامة قبل إتمام هذه العلاقة المصيرية، ومع انتهاء كلماتها انتهت أقداح الشاى...

* * *

فى ظل الأزمة النفسية التى مرت بها صافى قررت أن تلجأ إلى من وقفت بجانبها، وآزرتها فى محنتها، وبالفعل لم تخذلها ببرى أو تتخلى عنها ولو للحظة واحدة، حيث قضت يوماً طويلاً، وهى تستمع إليها بصبر وصمت دون أى تعليق يقطع استرسالها.. ولكنها فوجئت بكمية الهموم، الأحزان، الحكايات التى لم تصدقها أذنها.. حتى كادت ببرى أن تفقد صوابها وهى ترى الدموع تنهمر بشدة من عينى صافى.

ولم تملك سوى أن تحتضنها بشدة.. و لكنها وفي نفس الوقت لم تكن تملك الحل الذى سوف يخلصها من ذلك العذاب، وقررت أن تعرض المشكلة على شخص لديه الكثير من الخبرة.

لذلك فقد حسمت ببرى أمرها وقالت فى هدوء تام..
- صافى.. سوف أتركك بعض الوقت لأنى بحاجة للذهاب لرؤية شخص ضرورى، كنت قد واعدته وأخشى أن أتأخر عليه، وسوف أعود سريعا أعدك بذلك.

صمتت صافى برهة، ثم قالت فى استحياء...
- أنا أعلم أننى أبقيتك بالمنزل معى على الرغم من أنك لم تكونى مستعدة لذلك، هل ستذهبين لتحضرى شيئا ما؟ أو أن هذا اللقاء يخصنى فى شىء ما؟

ابتسمت ببرى فى صدق وهى تقول...
- إننى كنت سعيدة بالبقاء بجانبك، ولكن هذا اللقاء ليس له علاقة بك، لقد تذكرته فجأة وتذكرت أنه يجب أن يكون بعد العاشرة مساء.. ضحكت صافى بضعف قائلة...

- إذن عليك ألا تتأخرى حتى نتناول عشاءنا معا!
ابتسمت ببرى فى صمت.. وغادرت فى هدوء وهى تفكر فى اللقاء الذى أتى من غير موعد، فقد كانت حددت هدف زيارتها منذ أن استمعت بدقة لكل ما قالت صافى منذ البداية وحتى النهاية.

لم تزر ببرى عيادة مراد من قبل، بل لم تتقابل معه هو شخصيا أيضا من قبل!

فعندما أتت هى إلى الشركة، كان قد مر أسبوع واحد على زواجه هو من بسمه شقيقة صلاح، وقد فطنت أن الشخص الذى بإمكانه مصاهرة

صلاح يجب أن يتحلى أيضا بنفس أخلاقياته ، ولكنها أدركت بعد ذلك أن مراد هو الصديق الوحيد إلى حازم.

لذلك فقد سألت نفسها عدة مرات عن السبب الذى من الممكن أن يجبر شخصا مثل مراد على تلك العلاقة .. ولكنها دائما ما كانت تعود من دون جواب يقنعها..

ووجدت نفسها أمام العيادة، فقدمت نفسها إلى المساعد الخاص به ، والذى بدوره قدم الاسم إلى مراد، الذى كان يقوم بوضع بعض التعديلات على جدولته فى اليوم التالى...

لذلك فقد سمح لها بالدخول فورا، فهو يعرف الاسم من خلال ما حدث بين صافى وصلاح، وقد بادرها قائلاً..

- لست أدري سبب الزيارة، ولكنى سعيد بها للغاية، فأنا منذ وقت طويل أتوق إلى رؤية من يستشيط منها صلاح غضبا، بل ويسعدنى هذا اللقاء جدا، فأنا أعرف الاسم جيدا من خلال السمع ولكن هذه المرة الأولى التى يمكننى فيها التعرف إليك شخصيا.

ابتسمت ببرى لذلك الاستقبال، وشعرت بالإحراج بعض الشيء، وقالت وهى تجلس..

- تستطيع أن تقول إنها زيارة عمل! فأنا هنا لأنى بحاجة إلى التحدث معك كطرف أساسى فى المشكلة، لأننى أقنعت صافى بالعودة إلى العمل، وتجاوز أزمة صلاح تماما، وعليك يا د/ مراد أن تؤهل صلاح لتلك المواجهة.

هز مراد رأسه وهو يقول بهدوء...

- المشكلة ليست فى تأهيل صلاح، ولكن فى إقناع صلاح! والفرق

بين الكلمتين شاسع وعميق..

ابتسمت بيرى برقة قبل أن تسأل فى خجل...
- د/ مراد... هل يمكننى أن أتجاوز وأسألك سؤالاً خاصاً بعض
الشيء..

ابتسم مراد بدوره، وقال على نفس الوتيرة...
- لا تخشى شيئاً، أنت بعيادة طبيب مهنته تعتمد فى المقام الأول
على كتم الأسرار، فيمكنك أن تسألى ما تريد، حتى لو تعلق السؤال
بى أنا شخصياً.

عقدت بيرى حاجبيها، وقالت بروية...
- إنه كذلك بالفعل، أنا على علم من أنك متزوج من شقيقة صلاح
الوحيدة، وأريد أن أسألك إن كانت حياتك معها طبيعية أم يشوبها
الخلافات طول الوقت؟

تجهم مراد عندما سمع السؤال، واندهش من السبب الذى جعل
بيرى تسأله.. ورد وهو يستحثها على المواصله..
- هل علمت من صافى شيئاً جعلك تسألى هذا السؤال؟ أم أنه مجرد
استنتاج بحت؟

ردت بيرى بحيادية...

- أنا استمعت منها قبل الطلاق وبعد الطلاق، وكل ما سمعت
يدين صلاح ويجعل منه شخصاً غير سوى؛ فقد اعتاد ضربها وإهانتها
كلما أراد وأحب وتيسر له ذلك، كما أنه تفنن فى تحويل حياتها لكل
أنواع الجحيم، وبكل سبيل وطرق وألوان العذاب، ولم يترك لها فرصة
إلا وعاقبها من خلالها سواء عقاب جسدى أو نفسى وأنت كطبيب تعلم
جيداً ما أعنيه بذلك.

واليك معلومة أظن أنك لأول مرة تسمعها.. هل تعلم أن صافى كانت حاملاً عندما أجهضها صلاح؟

لقد ظل يفرط في الضرب والقسوة وسوء المعاملة، ما بين الركل والصفع حتى أجهضها، وكأنه مخلوق مجرد من الإحساس والأخلاق. اعتدل مراد من وقع المفاجأة التي سمعها للتو...

- ماذا؟ صافى كانت حاملاً؟!

إذن صلاح طلقها مجبراً، ولم يكن باختياره كما قال!

ابتسمت بيرى بسخرية، وقالت بعصبية...

- وما الذى أخبرك به صلاح؟

رفع مراد كتفيه، وقال بدهشة..

- ليس بالكثير.. فقد اكتفى بأن اقتحم العيادة وقال صارخاً.. لقد

طلقت صافى، لأنها لا تحتمل...

وضعت بيرى يدها على فمها، وقالت فى خفوت...

- أنا واثقة أن لديك نفس الوضع المماثل يا د/ مراد!

اكتفى مراد بهز رأسه فى صمت، وتنهيدة أفرغ من خلالها كل

غضبه...

* * *

لم يستقر بعد حازم إذا ما كان سيسافر للعلاج بالخارج أم لا؟ خاصة فى ظل الظروف التى يتعرض لها فى العمل وفى المنزل، وفى العمل جاءته الأخبار عن الحروب التى يشنها ويشعلها صلاح فى ظل غيابه. وبالمنزل فقد كانت هناك سارا، التى أصبحت تطوقه من كل جانب، ونظرات دولت التى ترشق جسده كالسهام.

لم يحاول المماثلة أو المجادلة مع أحد منهم لذا فقد آثر السلامة،
وابتعد عن الجميع فى شقة المعادى، وأخذ قراره بنفسه، وهو تأجيل
أى رحلات خارجية حتى يتم الفصل فيما يحدث بالعمل.
وفكر فى الاتصال بمراد ولكنه تذكر ما يمر به من مشاكل، ولم يتمكن
بعد من التخلص منها، وحاول الاتصال بيوسف ولكن هاتفه كان مغلقا..
وتذكر فجأة مى، وابتسم حازم بخبث شديد.. فقد تفتق ذهنه لمن يمكنه
أن يتحدث معه وهو فى هذه الحالة، مى إنها الوحيدة التى من الممكن أن
تكون متواجدة بمنزلها فى تلك اللحظة، ثم إنها طيبة القلب وقريبة منه
بعض الشيء، ولن تمنع حتى فى أن تستمع إليه وهو يهذى..
ولم يتردد وهو يطلب هاتفها.. وهى أيضا على الطرف الآخر كانت
قد أخذت قرارها، وحسمت أمرها بعد ما دار بينها وبين والدتها..
وضحكت مى وهى تتلقى تلك المكالمات، وبدأت بدهشة وهى تقول...
- أنا كنت من ثانية واحدة أفكر بالاتصال بك.. للاطمئنان عليك..
والسؤال عنك، لماذا لا تأتى إلى الشركة؟ لماذا لا أسمع عنك أى أخبار؟
وهاتفك دائما مغلق!

ضحك حازم فى خبث، وقال بعبث..

- أولا.. أنا أيضا أريد التحدث إليك من فترة ولكن حدثت بعض
الأشياء التى أوجلت هذا الاتصال.. هل تتذكرين مكالمتك الأخيرة؟
صمتت مى، وهى تهينى نفسها لما سوف تخبره به...
- إننى على وشك إخبارك بمفاجأة سوف تذهلك يا حازم! اعتدل
فى مجلسه، واكتسى صوته بالجدية وهو يقول...
- هل يخص العمل فى شىء؟ هل حدث أمر ما بالشركة؟ ضحكت
مى فى طفولة، وقالت بلؤم...

- هل تود أن تخبرني أن العمل هو كل ما يشغل تفكيرك واهتمامك؟
رد حازم بنفس الجدية...
- نعم، ويستحوذ على كل دوائر الاهتمام عندي، فأنا ليس لدى
ما أخشى عليه سوى هذه الشركة...
- ولما لمست من الجدية في كلامه ردت بتأني وهدوء...
- حازم.. ما أود أن أخبرك به بعيد كل البعد عن الشركة إنه
يخضني أنا ويوسف... ماذا كان رد فعله بعد ما أخبرتك به؟
قال حازم بهدوء هو الآخر...
- لقد نسيت أن أخبر يوسف أى شيء، وهو الآخر مشغول في بعض
المهاترات مع والديه، وزفاف شقيقته، وكذلك سفره الذي لا ينتهي...
وفي غمرة تلك الأحداث نسيت تماما أن أخبره رسالتك، أنا فعلا
اعتذر.. وأعدك أنى سوف أخبره في أقرب وقت.. هتفت من فجأة...
- لا.. إياك أن تفعل، فقد كانت تلك مشيئة القدر ليس إلا، أننى
أوافق على مقابلة يوسف والتعرف عليه، ويمكنك إخباره بذلك.
ذهل حازم مما سمع، وقال فى دهشة...
- هل أنت واثقة مما تقولين؟ هل هذا هو خيارك الأخير؟ أم أنك
سوف تعودين فترفضين؟
- إذا كنت لا تزالين فى مرحلة التفكير والتردد يمكننى أن أمله
بعض الوقت، ومن حقل الحصول على فرصة وفترة كافية للتفكير..
ضحكت منى وقالت فى رزانة شديدة...
- بل هى إجابتي الأخيرة يا حازم...
ضحك هو الآخر، وقال فى هدوء...

- وهو الخيار الصائب، أقسم لك على ذلك.. ويكفى أنه قرر أن يلجأ للهدوء والسكينة والبقاء معك، وطى كافة الصفحات الماضية من حياته. اتسم صوتها بالصرامة فجأة وهي تقول...
- لقد أقسمت لى منذ قليل، ولن أسامحك لو أصابنى بخيبة الأمل، وكسر قلبي الألم والعذاب..
صمت حازم لحظة، ثم كرر ما قاله مرة أخرى وأنهى المكالمة فى هدوء...

* * *

ظلت بيبرى متواجدة مع صافى بالمنزل لسدة يومين، حتى انتهت صافى من تأملاتها، وقررت العودة إلى العمل مع بيبرى بعد أن ظلت تفكر طويلا فى حديثها، خاصة عندما أخبرتها بيبرى بأهمية دعمها لها فى التصدى لما يشيعه أحمد فى أروقة الشركة.. وأنها يجب أن تساندها ولا تتخلى عنها فى ذلك الموقف.. وقالت فى هدوء
- لا يمكنك أن تخسرى زوجك وعملك... بينما يمكنك أن تستردى ذلك الزوج من خلال عملك..
لم تفهم صافى فى البداية ما كانت ترمى إليه بيبرى، ولكنها بعد تفكير طويل بدأت تعى أنها بالفعل ليست السبب وراء طلاقها، وإنما هو غباؤها واستسلامها..
ورجعت إلى حقيقة واحدة بعد هذا التفكير العميق، وهى أنها لازالت تحب صلاح، ولذلك هى تخشى المواجهة.. فقالت فى شبه انهيار..
- تخيلى يا بيبرى، بعد كل ما فعل وما اقترفت يداه، لا زلت أحبه! ساندها بيبرى، ودعمت وجهة نظرها فى أنها يمكنها أن تستعيد زواجها وحياتها..
زواجها وحياتها..

ولم تكن الأمور إبتعدت كثيرا عما تركتها صافى وبيرى، حيث الخلاف لا يزال على أشده بين نادر ومروة، وأحمد لا يزال يتوهم الأشياء ويصدقها، ومى تنتظر ذلك الفارس الذى لن يأتى أبدا، وحازم لا يظهر للعيان، وصلاح يهاجم الجميع بلا رحمة ويصب جام غضبه على العمل وعلى من يؤخره.

فى البداية أحست صافى بضعف شديد، ورهبة من المواجهة، خاصة وأن صلاح كان قد أصدر فرمانا بحضور بيرى لمقابلته فى مكتبه بمجرد ظهورها فى الشركة، كى يحاسبها على التأخير وعدم التواجد والانضباط، وكذلك تسليم العمل فى موعده المحدد دون تأخير.

ورغم ثقة بيرى فى نفسها، وكذلك فى قدرتها على إنجاز الأشياء، إلا أنها كانت دائما على يقين من أن صلاح سوف يكون له تعديلات وتغييرات فى ما قامت به دون إبداء أى أسباب، كما أنه سيكون حريصا على تصيد الأخطاء.

ولم تناقش أو تجادل، بل كانت تنصت بكل اهتمام لما يأمر به، على أن يكون القرار فى الأخير له هو.

وجزعت صافى مما أخبرتها به بيرى. خاصة عندما علمت أنه بصدد تنفيذه بالفعل ولم يلوح به كتهديد، كما أن صلاح كثيرا ما يذهب للمواقع بعد التسليم، وذلك للاطمئنان على خط سير وحركة العمل والتشطيب النهائى.

ولأن صافى كانت تعلم جيدا أن بيرى لا يمكنها تحمل ذلك الضغط، وبهذا الشكل المستمر، وما زاد من آلامها أنها تتحمله فقط من أجلها

هى.

ولأنها تعلم كيف يفكر صلاح، والعند الذى يميز شخصيته وعقله، فإنه سيلاحق كل مشروعاتها وإنتاجها، ويدقق فى جميع الألوان والديكورات.. لذلك فقد قالت صافى فى صوت أشبه بالضراعة...

— بالله عليك يا ببرى.. لا تمنحيه الفرصة الذهبية للتخلص منك.
ضحكت ببرى، وقالت باستهتار شديد..

— وماذا الذى يفعله الآن؟ إنه يلاحق أنفاسى على الورق، يمنحنى تصميم، ويطلب منى أن أكمله بالديكور بعد أقل من ٤٨ ساعة... ماذا عن هذا؟

إنه يضعنى بين المطرقة والسندان يا صافى! لذلك سوف أنفذ التصميم كما أراه أنا، ومن رؤيتى ومنظورى الشخصى. وكما تعودت أن أعمل، وليفعل ما يفعل...

هزت صافى رأسها، ونصحتها فى هدوء..

— ولكن عليك أن تتحلى بالشجاعة والصبر، وعدم الخوف أو التردد نهائياً أمام صلاح.. لأنه سيهاجم بشدة عند أول مواجهة، ولا يمكنك أن تكونى ضعيفة وقت الهجوم، وإن لم تكونى على أتم الاستعداد.. لن يعجبك أبداً ما سوف يحدث...

* * *

عاش نادر فى الفترة الأخيرة لحظات صعبة للغاية، حيث قررت مروة الابتعاد عنه بعض الوقت حتى تهدأ أعصابه، وتستقر حالته النفسية، التى توترت بشكل كبير فى الآونة الأخيرة.

وإزداد التوتر مع اقتراب موعد استلام نتائج التحاليل الطبية التى قام بإجرائها سرا، حتى أن دقائق قلبه أصبحت تتسارع بشكل مرضى كلما سمع صوت رنين التليفون.

ولكن كما يقال (فإن كثرة الشك تولد اليقين).

لذلك فقد حدث ما كان يخشاه نادر بشدة، وجاءت النتائج المنتظرة من المعمل كرصاصة الرحمة بالنسبة إليه، حيث صرح له الطبيب وأكد سلبية النتائج التي هو بصدد معرفتها. كان وقع الخبر عليه كالصاعقة التي هوت فوق رأسه، حيث كان لا يزال لديه بعض الأمل خاصة بعد أن كرر التحليل أكثر من مرة بناء على رغبة الأطباء.

لم يكن نادر يدرك مدى ضعفه سوى في تلك اللحظة التي مرت عليه، لا يدري ماذا يقول للطبيب على الهاتف، ثم خرج صوته بصعوبة من حنجرتة، وكأنها مليئة بالأشواك وهو يقول...

– هل أنت واثق من تلك النتائج؟ هل من الممكن أن أكرر هذا التحليل مرة أخرى؟ هل هذا هو آخر نتيجة أم هناك مرحلة أخرى لم تجرى بعد؟

وانتظر الطبيب على الهاتف حتى أفاق نادر من الصدمة، فهو معتاد على ذلك، كما مر عليه العديد من الحالات التي كانت ردة فعلهم أسوأ بكثير من نادر، وظل منتظرا ومنصتا لكل الترهات التي يرددها نادر دون وعى أو إدراك.

وعندما فرغ من تأملاته الكثيرة، همس قائلاً...

– أليس من الممكن أن أقوم بإجراء تلك التحاليل بالخارج؟ إننى على يقين من أن تلك المحاولة سيكتب لها النجاح خارج مصر..

صمت الطبيب ثم أطلق تنهيدة طويلة، وقال بصبر...

– أستاذ نادر.. يمكنك أن تسافر أينما و وقتما تشاء، ولكن النتائج لن تأتى بجديد بالنسبة للتحاليل. أما بالنسبة للعلاج فمن الممكن أن تكون لديك فرص كثيرة.

اطمئن نادر من تلك الإجابة بعض الشيء، ثم سألت الطبيب في هدوء نسبي...

- هل هناك دولة بعينها من الممكن الذهاب إليها مباشرة؟ تتمتع الطبيب ببعض الكلمات الإنجليزية، ثم قال..

- أنصحك بالسفر إلى الولايات المتحدة.. هناك أكثر من مركز متخصص في تلك الحالات، و.. وقبل أن يكمل الطبيب كان نادر قد أنهى المكالمة فجأة بقوة وخشونة...

* * *

شيئا فشيئا بدأت الثلوج تذوب ما بين أحمد وصافي، فقد كانت مؤكدة وعلى يقين تام من أنه ضالع بطلاقها من صلاح بنسبة كبيرة. فقد كان يتحاشى النظر إليها لا سيما عندما تتلاقى عيناها معا، وقد شعرت لوهلة من أنه بدأ يندم على ما اقترفته يدها، وأدرك جيدا عاقبة ما قام به من عظام الأمور.

وعندما علم أن بيرى قد ساهمت بشكل كبير في تجاوز صافي للأزمة، والتغيير الذي حدث إلى صافي منذ عودتها إلى العمل، أو تعاملها بشكل جيد مع أمر الطلاق. لذلك فقد اعتبره أحمد تحديًا شخصيًا له، وهدمًا لكل محاولاته الشخصية نحو السيطرة على صلاح، ولكن ها هو الفضول يسيطر عليه بشكل كبير عندما لمح صافي ومي يتبادلان التهنئة بشكل غريب.

بالبداية اعتقد أن ذلك يتعلق بعودة صافي إلى العمل، ولكنه ما لبث أن علم أن الأمر لا يتعلق بعودة صافي، فقد كانت تلك التهنئة تخص مي وليس صافي.

فقد كانت مى فى غاية السعادة، وعندما نظرت نحو مكتبه وجدته
ينظر إليها متسائلاً..

ولم يجاوبه من مى سوى تلك النظرة العابثة كالأطفال، وهى تهز
كتفيها فى براءة، وتنظر باتجاه صافى، نظرة لم تزده إلا فضولاً واشتعالاً.
ولأنه كان يملك مزيداً من العند، ولا يمكنه ترك نفسه يسير على غير
هدى، أو يأخذ عقله بلا تفكير وراء غرائزه، لذلك فقد غادر المكتب خلفها
قبل أن تبلغ مكتب الديكور حتى يتحاشى لقاء بيرى، واقترب منها فى
خفة النهود وهو يقول فى صوت أشبه بفحيح الأفاعى..

– ألن تخبرينى بما يحدث؟ هناك شىء يجرى دون علمى، وأريد
أن أعلمه..

إن مى تكتفى بالهدوء والصمت كأهم نشاط تقوم به خلال العمل،
أما اليوم فإن بها شيئاً مختلفاً، إنها تشع إشراقاً كالشمس، كما أنها
تمنح ابتساماتها للجميع بلا استثناء، هل لاحظت مدى سعادتها اليوم؟
كادت صافى أن تضحك من فرط الفضول الذى يكاد أن يقتله،
ولكنها سيطرت على أعصابها وقالت بهدوء...

– أنا بالفعل سعيدة من أجل مى، فإنها تستحق ما هو أفضل وأجمل
وأروع من ذلك، إنها تمتلك روح ملائكية، تجعلنا جميعاً نحمل لها
نفس المشاعر.

سمع أحمد تعليقها، وهو ينظر بوجه صافى وكأنه يراها لأول مرة،
ثم سألها...

– وما الداعى لتلك السعادة المفاجئة؟

قطبت صافى حاجبيها بخبث شديد وهى تقول...

– ماذا؟ ألم تعلم بعد؟ لقد أعلنت خطبتها..
زوى أحمد ما بين حاجبيه، وتمتم بينه وبين نفسه..
– إنها ضربة مزدوجة إذن، عودة صافى وخطبة مى.. ثم ضحك وهو
يقول فى سخرية شديدة..

– وهل ظهر هذا العريس فجأة دون مقدمات؟
هزت صافى رأسها، لتقول فى براءة مفتعلة...
– بالطبع لا.. مى تقول إنه من عائلة حازم وهو طيار، والموضوع يعد
له منذ ما يقرب من شهر تقريبا.

ضاقت عين أحمد عندما سمع اسم حازم، ثم قال فى سخرية قاتلة...
– إذن حازم غير مهنته إلى مهنة أخرى، ولكنها لا تختلف كثيرا
عن المهنة الأساسية.

كتمت صافى ضحكاتهما بقوة، قبل أن تقول...
– ولماذا أنت غاضب بهذا الشكل؟ بالله عليك لا تكن ظالما، كل
ما عليك هو أن تذهب وتهنئها، كما أن حازم لم يتدخل فى تلك الخطبة.
ثم إن مى انتظرت طويلا وقد يكون الله سبحانه وتعالى أراد أن
يعوضها خيرا نتيجة هذا الصبر الطويل، فهى تستحق تلك السعادة
وأكثر.. فإنها بالنسبة لى تمثل الرقة والإحساس فى هذا المكان الكئيب.
اكتفى أحمد بهز رأسه فى انفعال، وهو يهيم بالعودة إلى المكتب مرة
أخرى..

وحاول التظاهر بالانشغال بالرسم الذى بين يديه وقد انهمك فيه
بالفعل، ولكن شيئا ما حدث.. شيئا ما غير صفو يومه، شيئا ما كدره
وأزعجه، وتسلسل إليه شعور غريب لم يعرفه من قبل.

فقد أحس لأول مرة فى حياته بالعجز، العجز الذى لم يشعر به وهو
بائس فقير، ربما لكون كافة أقرانه فى ذلك الوقت كانوا أقل منه شأنًا...
فقد تملكه شعور قوى مليء بالكراهية، وأحس بقوة رهيبية تسرى
فى جسده، ويريد من خلالها تدمير حازم وتمزيقه إلى أشلاء صغيرة لا
يستطيع أحد أن يجمعها...

وتزاحمت فى عقله عشرات التساؤلات دون أن يجد لها أى إجابات..
- لماذا مى هى من سعى لزواجها؟ لماذا بيرى لاترى إلا هو؟ لماذا هو
صاحب تلك الشركة اللعينة التى يعمل بها؟ لماذا يسعى دائما وراء ما
هو ملك غيره؟ هل يعاندنى؟ هل يتقصدى؟ لماذا يجردنى من كل شىء؟
لماذا يستفزنى؟ لماذا يسعى ورائى؟ ووراء كل ما أحب! وما أملك!
ورغم ابتعادى عنه، إلا أنه لا يتركنى وشأنى...

إنه يتسلل إلى أحلامى ويبددها عن آخرها، يجعلها سرايا، أوهاما -
لا - بل إنه يجعلها كوابيس - نعم - كوابيس تتكرر كلما ذكر اسمه..
ورغما عنه خرجت منه الكلمات دون إرادته ولكن بصوت خفيض...
- إنه لن يحتمل فكرة أن أكرهه، أمقتسه، بل وأضعه داخل دائرة
تفكيرى، حتى إنه سوف يسعى إلى الموت، لا بل سوف أعذبه أولاً،
وأجعله يتمنى الموت ولا يناله.. هذا هو الشعور الذى أود أن يحصل
عليه هذا الإنسان الحقير.

- أفاق أحمد من تأملات الكبت والبغض على صوت صافى وهى
تضحك وتقول فى دهشة حقيقية...

- مضت فترة وأنا أقف أمامك، وأسألك إن كنت انتهيت من ذلك
التصميم وأنت تكتفى بالنظر نحو الفراغ.. هل الإجابة معقدة لتلك
الدرجة؟

رد أحمد سريعا دون أن يطرف جفنه...

- نعم معقدة لأقصى درجة..

قال هذه الكلمة وغادر المكتب متجها نحو الباب وهو يرمق مى بنظرة احتقار رهيبية جعلتها تتأكد من أنها استطاعت تدمير غروره واستثاظة غضبه بسبب خطبتها المفاجئة، أحست بارتياح ونظرت هى نحو الشمس القادمة من النافذة وابتسمت وتابعت عملها وهى فى أفضل حالاتها.

* * *

لا أحد منا يمكنه أن يعيش بلا قناع.. لا يوجد معصوم من ارتداء الأقنعة.. من منكم يمكنه التجرد من قناعه ولو للحظات؟

الصغير يرتدى قناع التملق مع الكبير من أجل البقاء... الفقير يرتدى قناع الدموع مع الآخرين من أجل استدرار عطفهم... الغنى يرتدى قناع الهدايا من أجل الاحتكار... الأبناء يرتدون الأقنعة مع الوالدين... الأزواج يرتدون الأقنعة مع بعضهم البعض...

حتى عندما تمر بنا الأيام نرتدى أقنعة المرض من أجل الاهتمام... حتى إن رجال الدين أصبحوا يرتدون أقنعة الدعوة من أجل المال والشهرة...

والطبيب يرتدى أقنعه من أجل الثروة، وليس من أجل الرسالة السامية..

وغيرها من الأقنعة من أجل مزيد من الأشياء...

الجميع يفشل فى المواجهة، الجميع فقد قدرة السيطرة على الأعصاب، أصابهم داء السعار وشهوة المال. أصاب البشر نوع من الاكتئاب والتصنع واللامبالاة والكذب والنفاق والرياء والمداهنة، وكأن

الشیطان يتحكم بهم ويوجههم ويسيرهم، فيسيرون فى خطوات دون أن ينظروا ليروا موطأ أقدامهم.

استمر مراد على هذه الحالة من الهذيان والذهول التى ظل عليها منذ أن غادرت ببرى العيادة، فقد كان يشعر بأنه يمكنه التعامل مع كل ملفات المرضى التى بين يديه..

ولكنه كان يقف عاجزاً أمام مشكلة زوجته التى باتت كابوساً يستفحل يوماً بعد يوم...

فقد ظل طوال الليلة الماضية يفكر ويفكر.. إلى أن اهتدى إلى المفتاح الذى يمكنه من خلاله حل العقدة.. ألا وهو صلاح.

لذا عقد العزم أن يكون أول ما يفعله صباحاً هو الذهاب إلى مقر الشركة، ولكنه تراجع عن هذه الفكرة خشية المواجهة مع بسمة.. هو لا يريدتها الآن..

ومرة أخرى ظل عقله يعمل حتى تفتق عن فكرة عبقرية، فقد تذكر أن صلاح يواظب على أداء صلاتى الظهر والعصر فى المسجد القريب من الشركة، لذلك فقد قرر أن يباغته هناك.. ولكن تبقت الحالة المزاجية له! وما إن كانت تسمح بالحوار الذى سيكون مراد بصدده أم لا؟ لأن ذلك من شأنه أن يمثل مشكلة ليس لها حلاً بالنسبة له.

وبينما لا يزال غارقاً بأفكاره، ويضع لها كل الاحتمالات الواردة، سمع أذان الفجر ووجد ضوء الشمس الأول يظهر ويتسلل من خلال النوافذ، وهو لم ينبم بعد..

ولكنه أبى أن ينام قبل أن يحل تلك الأحجية التى أرقته طوال الليل، وقرر أن يؤجل النوم لما بعد تلك المقابلة، وهكذا فقد نهض من

مكانه ووضع رأسه تحت الماء البارد، واستعد لأداء صلاة الفجر، ومنها إلى تلك المواجهة...

والغريب أنه وقبل موعد صلاة الظهر وجد كل من أحمد وصلاح بالمسجد، وقد أخذهم الحديث بعيداً عن كل المتواجدين.

وقد كانت تلك مفاجأة بحق، لأن أحمد لم يكن من المعجبين أبداً بشخصية مراد لمجرد أنه صديق حازم الوحيد، والغريب أن مراد كان يبادلُه نفس الشعور..

لذلك فقد قرر أن يتخلص منه بشكل مباشر، ولكن صلاح بدأ بالهجوم دون أن يمنح مراد أى فرصة..

- لم أكن أعلم أنك من مرتادى المساجد؟

ضحك أحمد بشدة بعد عبارة صلاح، ولكن نظرة مراد الصارمة أخرجته في الحال، فتوقف عن الضحك فجأة وقال في جفاء...

- لماذا تنظر إلى هكذا؟

ظهر الضيق جلياً وواضحاً على وجه مراد، وقال موجها حديثه نحو صلاح...

- ليس كل مرتادى المساجد مصلين يا صلاح! ثم إننى هنا بصدد

التحدث معك فى موضوع بالغ الأهمية، ويمكنك أن تصفه بالشخصى، لذلك أنا على يقين تام من أننى لا أستطيع التحدث فيه على الملأ...

قال جملة الأخيرة وهو ينظر باتجاه أحمد، الذى فهم المعنى وراء النظرة، وهم بالوقوف لولا تدخل صلاح الذى جذبته بشدة من يده وقال

فى عدائية رهيبة...

- إذا كان الدكتور يريد أن يتكلم فليتكلم الآن وعلى الملأ. أنا

لا أخفى شيئاً عن أحمد...

لوى مراد شفّتيه فى دهشة عجيبة ثم قال فى هدوء...
- إذا كنت تفضل ذلك، فأنا لا يوجد أى مانع لى، فهذه مهنتى
كما تعلم.

أنت جئت إلى عيادتى مرتين ليس إلا، وطلبت منى فى المرة الأولى
الامتثال إلى كافة قراراتك العنترية الرجعية التى نشأت عليها، ولم تجد
منى سوى الولاء والطاعة.

ثم جئت صارخا مرة أخرى بأنك طلقت زوجتك لأنك لم تعد
تحتمل، أليس صحيحا؟

نظر صلاح نحوه فى برود، ثم قال..

- ما هو السبب وراء كل تلك الذكريات؟ ثم هل نسيت أنك أتيت
بنفسك إلى منزلى وطلبت منى أن أزوجك شقيقتى؟ تحت أى ضغط و بكل
الشروط التى سوف أفرضا عليك، ودون أى اعتراض منك.. أما بالنسبة
لطلاقى من زوجتى فهذا ليس من شأنك، لقد جئت إليك كى تجد لى
حلا... ولكنك فشلت! هل يكفيك هذا التفسير؟

صدم مراد من ذلك الرد السريع غير المتوقع، وضغط على أسنانه وهو
يقول...

- أنت تبسط الأمور بشكل غريب يا صلاح، وترى الأشياء من وجهة
نظر مريضة، لقد خسرت زواجك بسبب فتنة من شخص مريض وهذا
يمكننى التغاضى عنه، ولكن ما لا يمكننى التغاضى عنه هو ما حدث
قبل الطلاق.

كيف يمكنك أن تستمر فى ضرب زوجتك حتى تجهضها، وتفقد
ما فى رحمها، هل تلاشت الرحمة من قلبك حتى تصل بك القسوة إلى

تلك الدرجة؟ ما الذى يمكن أن يدفعك كى تفعل ما فعلت؟ وعليك أن تخبرنى بسبب واحد يدفعك إلى ذلك التصرف الوحشى الهمجى.
صق صلاح مما يعلمه مراد، مما جعله يكشر عن أنيابه وهو يقول...
- كيف تندخل فى حياتى الشخصية بهذا الشكل؟ لقد بلغ السيل الزبى!

بالفعل لا يمكننى أن أحتمل أكثر من ذلك..
ولا أدرى ما الذى يدفع شقيقتى للاستمرار معك حتى الآن؟
وقف مراد وهم بالخروج من المسجد وهو يقول فى إشمزاز وازدراء...
- أن السبب الوحيد وراء مجيئى إليك اليوم، هو أننى بصدد الطلاق من شقيقتك، ولو تحدثت إليها سوف تعلم أننى لم أدخل المنزل منذ ثلاث أيام...

أما بالنسبة لك أنت، فعليك أن تكف عن الكذب والخداع، فأنا أدرك جيداً حجم المعاناة والعذاب اللذين سوف تتعرض لهما فى الفترة القادمة، خاصة مع التواجد المستمر لصافى فى العمل، وأظن أنك تدرك سبب ذلك جيداً..

ثم نظر باتجاه أحمد، وقال وهو ينصرف...
- أما أنت فعليك أن تجد وسيلة أخرى ترفه بها عن نفسك المريضة غير تدمير حياة الآخرين!

إنك الآن بعيد عن ما كنت ترمى إليه بعد السماء من الأرض، وبعد المشرق من المغرب..

* * *

فى حياة كل شخص منا شىء محورى غير مسار حياته، إما يحولها من الأسوأ نحو الأفضل، أو من الأفضل نحو الأسوأ.

وقد ظل مراد بالعيادة بعد أن انتهى من آخر الجلسات ، عندما فوجئى بالعامل لديه يخبره بأن هناك امرأة تلح بشدة ، وتريد أن تقابلك بصفة شخصية.. وتساءل مراد عن تلك الزائرة ولكنه ما لبث أن سمح لها بالدخول..

ارتسمت الدهشة على وجه الرجل الذى يعلم قوانين العيادة جيدا ، وقال فى هدوء..

– لكن يا دكتور مراد لقد انتهيت بالفعل من آخر الجلسات ، ألا تريد منى أن أتخلص منها بهدوء..

وابتسم مراد فى وجه العامل بشكل مستفز ، وهو يكرر..

– ألم تخبرك أنها هنا من أجل التحدث معى فى أمر خاص ، إذن عليك أن تدعها تدخل ، ثم يمكنك الانصراف لأن حازم لن يأتى الليلة . خرج الرجل من العيادة ، وهو يتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة ، وقال فى عصبية..

– بإمكانك الدخول ، الدكتور فى انتظارك..

وكان مراد بالفعل منشغلا على الكمبيوتر فى إعداد ملفات اليوم التالى ، حتى إنه لم يرفع نظره أو يلتفت كى يرى تلك المرأة التى تريد أن تقابله و بشدة.

ولكن عندما تنحنحت المرأة فى رقة ، رد هو فى بساطة وفى أدب جم..

– أعتذر إن كنت أيقينك طويلا ، سأكون معك بعد لحظات ، يمكنك الجلوس..

ولكنه عندما التفت ورأى تلك الزائرة ، سرت الرعشة فى أوصاله ، حتى إنه ارتبك وعدل من وضع نظارته فوق عينيه ، وقال فى صعوبة..

- سلمى! متى عدت من السفر؟ وما سبب تلك الزيارة؟

ابتسمت المرأة فى هدوء.. قائلة

- لقد تذكرتني رغم مرور أكثر من سبع سنوات، رغم أن جميع من رأنى اعترف بأننى تغيرت جملة وموضوعا..
ابتسم مراد فى خبث..

- تغيرت بالنسبة إلى من كانت تجمع بينكم علاقة سطحية، أما عين الخبير لا يمكنها أن تخطئ، ولم أتشرف بعد بمعرفة سبب تلك الزيارة؟

قالت سلمى فى برود..

- لا يوجد سبب، لقد جننت كى أراك ليس إلا، بعد أن عدت من الخارج، ووجدت العديد من الأصدقاء يذكر اسمك، وتساءلت فى فضول إذا كان صاحب الاسم هو مراد الذى أعرفه؟
ابتسم مراد وهو يقول فى خبث أشد..

- لم أكن أعلم أن جميع أصدقائك مرضى نفسيين!
ضحكت سلمى عندما فهمت ما يرمى إليه مراد، وقالت وهى تدير عينها على كافة أركان الحجرة، ثم استقرت على الصورة فوق مكتبه..
- أرى أنك تزوجت، وأصبحت طبيبا مشهورا..
أمن مراد على كلامها، وقال فى هدوء..

- الحياة لا تقف عند شخص معين! أنت تعلمين ذلك جيدا.
كانت كلماته بالنسبة لها كالرصاص.. قالت بصوت ناعم و هادئ..
- أعلم أنك كنت تتمنى طوال حياتك أن تكون جراحا كبيرا مثل والدك، فما الذى جعلك تحيد عن مسارك إلى الطب النفسى؟

صمت مراد لحظة، ثم قال فى تردد..

- استهوانى سبر أغوار النفس البشرية، وجدتها معقدة وغامضة
ولا نهاية لها..

قبل أن تتكلم سلمى، فتح حازم باب العيادة، وهو يقول مازحا...

- أعلم أنك لم تتوقع..

ولم يكمل ما بدأ لأنه وجد سلمى تنظر إليه فى شىء من الدهشة،
لذلك فقد تدخل مراد فى تعقل..

- يمكنك الانتظار فى الخارج قليلا يا حازم، حتى أنتهى من تلك
المقابلة الخاصة.

اعتذر حازم فى هدوء، وعادت سلمى تنظر نحو مراد الذى اعتذر
بدوره عن سلوك حازم..

• - أظن أنك تتذكرين حازم جيدا، فهو دائما ما يأتى إلى العيادة كى
نسهر معا..

ابتسمت سلمى، ثم قالت فى حرج..

- أعلم أن الزيارة مفاجئة، ولكنى كنت بالفعل أود رؤيتك بشدة.

قال مراد فى تسرؤ..

- هل هناك ما أقدمه لك؟

ضحكت سلمى، ثم نهضت وهى تقول..

- ليس عليك سوى أن تستمع إلى حين آتى إلى عيادتك أطلب منك
المساعدة، وذلك بعد أن أنهى إجراءات الطلاق.

لم يبد أى تعبير على وجه مراد، ولكن ذلك لا يمنع ما كان يعتمل
داخله من انفعالات، قائلا فى برود..

- كنت أظنك مستقرة فى حياتك الزوجية، فلا يوجد ما هو أجمل من الحياة الهادئة مع شخص يحبك..

ترددت سلمى بعض الشيء، وقالت باكية..

- أعلم أنني ما كان لى أن أسافر، أو أتزوج من أحد غيرك، ولكنى كنت مغيبة ومضلة..

أشار لها مراد بيده كى تتوقف، ثم قال بحسم..

- أنا مستقر فى حياتى الزوجية، وعليك أنت أن تعيدى حساباتك من جديد، ولك أن تأتى إلى هنا فى أى وقت ولكن من أجل المستقبل، وليس من أجل الماضى.

نهضت سلمى. قائلة..

- سوف أحاول السيطرة على الأمور، ولكن إن خرجت عن سيطرتى سوف ألقا إيلك بالتأكد.

ودعها مراد إلى الباب.. قائلاً..

- أهلا بعودتك إلى مصر، ومرة أخرى لك أن تأتى فى أى وقت..

عاد إلى حازم الذى انتابته نوبة من الضحك مع كمية المياه الغازية التى تناولها، وقال فى سخرية..

- لقد تذكرتها من أول لحظة، ولكن السؤال هو.. لماذا تذكرتك هى؟
أغلق مراد العيادة وهو يقول..

- تعتقدنى لازلت واقعا فى حبها، وجالسا فى انتظارها..

انفجر الاثنان فى الضحك، وهما يغلقان باب الشقة ويتجهان لقضاء ما تبقى من الليل.

* * *

توترت علاقة صلاح بجميع من فى المكتب بعد طلاقه من صافى ،
وزداد النفور بعدما علم الجميع ما سببه لها من ضرر .
وتجنب البعض الحديث معه ، ثم لم يلبثوا أن عادوا كما كانوا ،
واعتاد هو على ذلك .

ولأن أحمد كان من المقربين منه ففتح له قلبه وتحدث معه عن الأزمة
النفسية التى يمر بها بعد مرحلة الطلاق ، ورغم أن أحمد لم يعتد من
صلاح على تلك الصراحة الفجائية التى أصابته ، إلا أنها حفزته على
أن يفتح قلبه هو الآخر ويخرج كل ما يعتمل داخله وما يجيش به صدره
من إحساس غريب منذ معرفته بخير خطوبة مى .

وحاول أن يصف له الشعور ولكن صلاح أفتى له تحليله الشخصى
من ناحية الدين على أنه مجرد إحساس بالذنب ليس إلا .

وذلك لأنه كان يعلم بحبها له ، ولم يبادلها نفس الشعور ، ولم يكتف
بذلك بل حثه على الصبر والصلاة ، وترك المنكرات والبعد عن التفكير
فى تلك الأمور ، واعتبره عصماً للنفس البشرية من النساء ناقصات العقل
والدين .

ورغم معرفة أحمد بتطرف عقلية صلاح إلا أن ثمة شىء فى تفسيره سبب
له ارتياحا كبيرا ، لذلك فقد قرر أن يحكى له عن إحساسه تجاه بيرى .
وتلك كانت الطامة الكبرى التى فجع لها صلاح ، فقد صرخ
كالمجنون ، وعلا صوته فجأة وهو يردد المعوذتين وآية الكرسي ويستعيذ
بالله من الشيطان الرجيم .

تفاجأ أحمد من رد الفعل المبالغ فيه ، وحاول أن يدفع بتلك الفكرة
بعيدا عن عقل صلاح ، وعلل ذلك بكونها مجرد نزوة تهافتت إلى مخيلته
أو صورها له الشيطان .

صمت صلاح برهة حتى يستوعب ما قاله أحمد، ثم صاح قائلاً..
- عليك أن تكف عن التفكير في رأس الحية هذه، هل تفهم ما أقول؟
وامتثل أحمد بسرعة لما قرره صلاح، ولكنه ما لبث أن أسر إليه بما
يجول بخاطره، ومخاوفه في أن تكون بيرى وحازم يدبران شيئاً ما من
أجل الشركة، أو أنها تطمع في أن تسيطر عليه هو شخصياً.
فانفعل صلاح أكثر مما كان، واستشاط غضباً وقال والشرر يتطاير
من عينيه..

- إذا كانت هي رأس الحية، فإنه ثعبان أرقط وكل منهما يستحق
ويليق بالأخر، أما الشركة فلا يمكنها أن تتجاوز صلاحياتها فيها.
في هذه الأثناء وفي غمرة انفعاله رن هاتفه الخاص، ووجد أن المتصل هو
شقيقته بسمة، ولا يعلم لماذا تذكر ما دار بينه وبين مراد عندما رأى اسمها؟
استنكر صلاح اتصالها لأنها طلبت منه إجازة مفتوحة حتى تهدأ
أعصابها من الشد العصبي الذي أصابها، وتصلح من علاقتها مع مراد..
ولأنه لا يحبذ فكرة التحدث في الأمور العائلية بالعمل، فقد وافق
على تلك الراحة الإجبارية رغماً عنه، وكذلك فقد رد على اتصالها رغماً
عنه وهو يحاول أن يقتضب المكالمة قدر المستطاع.
خاصة عندما وجد المكالمة كلها من أجل الاطمئنان عليه، والتوصية
على الوالدين والأقربين...

وهنا لم يستطع صلاح منع نفسه من نهرها بكل الطرق الممكنة، ولم يلحظ
صوتها اليائس المدوم وهي توصيه بزواجها مراد خيراً، وأن يعامله معاملة
حسنة، فقال لها في قسوة وعنف متناسياً كل الروابط الأخوية بينهما...
- لقد رأيت زوجك بالأمس وقد قرر أن يطلقك ويتخلص من هذه
الزيجة كما قال..

وبلا رحمة استمر فى بث السموم عبر الأثير دون أن يضع دموع وآهات تلك البسمة موضع تقدير.

ولم يكتف بذلك بل أغلق الهاتف فى وجهها، وقد حذرنا من الاتصال به مرة أخرى فى أوقات العمل الرسمية، كما أنها يجب أن تتواجد بالعمل ابتداء من الغد، لأنه غير مستعد لأن يسمع أى تعليق يخص تغييبها عن العمل لمجرد أنها شقيقته...

* * *

لم تكن العلاقة التى تجمع بين مراد ونادر تسمح لهم بتبادل أرقام الهواتف، ولكن بطريقة ما حصل نادر على رقم هاتف مراد والذى ظل مغلقا طوال اليوم هربا من ملاحقة بسمة له.

كما أنه غير متواجد بالمنزل عندما سأل عنه أكثر من مرة، لذلك فقد لجأ نادر إلى الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يعرف مكان مراد.. حازم. ولم يتفاجأ مراد وهو يستقبل نادر فى الرابعة عصرا وقبل موعد أول جلسة بساعة كاملة، وذلك لأن حازم سبق وأخبر مراد بها.

ولكن الغريب هى الحالة التى كان عليها نادر، فقد بدا عليه الاضطراب بشكل كبير خاصة من الداخل، لذا فقد بادره مراد بسؤال ساخر كى يخرج من تلك الحالة..

- هل تعلم أن هذه هى أول مرة تدخل تلك العيادة؟

ابتسم نادر فى ضعف وهو يقول...

- لم أكن أتخيل أننى من الممكن أن أدخل يوما عيادة أمراض نفسية

وعصبية، لذلك أعذر لى توترى..

ضحك مراد وهو يمازحه...

- وهل الدخول إلى العيادة تهمة تستحق الإنكار، أننى اعتبره أهم فرع من فروع الطب، لذلك فأنا أستنكر أن أراك بهذا الشكل..
وهنا لم يحتمل نادر وانهار على أقرب مقعد أمامه وهو يقول فى استرسال واضح...

- من الممكن أن تكون لا تعلم عنى الكثير، ولكنك بالطبع لك رأيك الخاص من خلال معرفتك بنا، هل استطعت أن تكون أى فكرة عنى أو عن شخصيتى؟ كما أننى من المستحيل أن ألبأ إليك إلا فى وقت الشدائد.
نظر له مراد طويلا ثم قال فى لهجة أقرب للعتاب...
- كل ما أرجوه منك أن لا تتحدث معى وكأننى شخص يمتعض منه الآخرون، أو يكره البعض رؤيته..

ثم إننى سوف أحكم على ما تقول بشكل موضوعى وبمنتهى الشفافية، ولك أن تعلم أن كل ما تمر به أنت صنعته بنفسك، أو لست هنا الآن من أجل الخلاف بينك وبين زوجتك على مشروع عملها الخاص..
وأنا أرى أنك تضخم الموضوع وتجعل منه حائلا جديدا فى حياتك وتعطى المشكلة أكبر من حجمها الطبيعى وأبعادا تجعلها كابوس، ولا تنس يا نادر أن مروة مهندسة، وليست موظفة!
وقد بدأتما العمل فى نفس المكان، ولكن فى النهاية لها مطلق الحرية فى أن تعمل فى المكان الذى تحب.

ومن خلال وجهة نظرى المتواضعة، أرى أنك كزوج تمثل السلطة الشرعية الأولى، ولك مطلق الحرية فى استخدامها، لكن عليك أن تتذكر.. أنك تزوجتها وهى تعمل!

ولاتنس أنها هى التى أتت بك إلى الشركة، وتحدثت الجميع من أجل هذا الزواج نزولا على رغبتها ليس إلا، وليس لك الحق فى التحكم

فيها وفي رغباتها طوال الوقت، إلا إذا كنت تود عن عمد أن تضعها دائماً تحت المجهر، وفي تلك الحالة لا أظن أن مروة ستسمح لك بذلك. وإذا أردت كلمتي الأخيرة في هذا الشأن فسأعطيها لك من رجل لرجل... وليس من طبيب لمريض...

(إن المرأة أيا كانت سواء عملت أم لم تعمل، إذا أرادت أن تفعل شيئاً فعلته ولا توجد قوة على الأرض تقف أمامها أو تمنعها من ذلك)... إذن ليس أمامنا كرجال سوى أن نثق في اختياراتنا، و شيئاً فشيئاً نكتسب مع مرور الزمن الخبرة من خلال الأزمات والتجارب والمواقف... ظل نادر يستمع لكل ما قاله مراد في هدوء وخشوع لا مثيل لهما... ثم قال في صوت أشبه بالبكاء...

- إنني أعتز وأقر بكل ما تقول، وقد تعاملت داخلياً بشكل جيد واستطعت أن أتقبل الأمر، ومستعد للقيام بأكثر من ذلك للحفاظ على هذا البيت وتلك الحياة، فأنا لازلت أحبها..

هز مراد رأسه بإيجاب، وقال في سرور..

- ممتاز، لماذا إذن هذه النظرة البائسة والصوت المنكسر؟

رفع نادر عينيه ببطء وهو يقول...

- إنها تزعم أنني لا أنجب، وقد قمت بعمل أكثر من تحليل أثبتت

عدم قدرتي على الإنجاب.

رفع مراد حاجبيه في دهشة قاتلا...

- إذا أثبت أكثر من تحليل عدم قدرتك على الإنجاب، فهي إذن

لا تزعم، إنها في هذه الحالة تكون واثقة، ولكن هل قامت هي الأخرى

بعمل التحاليل اللازمة؟

نكس نادر رأسه وهو يدمع قاتلا...

- تؤكد أنها قامت بها، وكانت نتائجها إيجابية، ولكن السبب في زيارتي ليس مشكلة شركتها الخاصة، أو حتى التحاليل الطبية، لكن لأننى أريد أن أعيد تلك التحاليل مرة أخرى خارج مصر، الطبيب المعالج أخبرنى بإمكانية نجاح هذه العمليات بالخارج..

صمت مراد برهة ثم قال فى هدوء...

- نادر، هل تريد إعادة للتحاليل؟ أم إجراء عملية؟ عليك أن تحدد

بوضوح..

وللعلم فقط لا أكثر فإنك من الممكن أن تكون طبيعياً مائة بالمائة وسليماً من الناحية البيولوجية، ولكن يلزمك المناخ المناسب للإنجاب.

رفع نادر رأسه وكأنه غريق تعلق بقشة، وقال بعصبية...

- هل من الممكن ذلك يا مراد؟ هل للإنجاب مناخ معين؟

ثبت مراد نظارته الطبية فوق عينيه وهو يقول بطريقة علمية بحتة...

- بالطبع يا نادر كل شىء خلقه الله عز وجل له مناخ معين يجب

أن يتواجد فيه، ألم تسمع من قبل عن زوجين قضيا معا عمرا طويلا

دون إنجاب، وعندما انفصلا وتزوج كل واحد منهما شخصا آخر أنجبا

بشكل طبيعى..

ظل نادر منكشفا فى الكرسى لا يعرف ماذا يقول، ثم سأل فى عفوية

شديدة...

- مراد، هل تنصحنى بأن أنفصل عن مروة؟

تفاجأ مراد من الطريقة التى فهم بها نادر كلامه، ولكنه ابتسم وهو يقول..

- أنا لا أنصح سوى بزيارة الطبيب المناسب، وعمل التحاليل

اللازمة، وإذا كنت تريدنى أن أعرض نتائج التحاليل على مراكز وأطباء

بالخارج، فأنا على استعداد لذلك..

وبعدها نقرر معا ماذا سنفعل؟

أما بالنسبة من خوفك المرضى فى خسارة مروءة، فعليك أن تتعلم التحكم فى ردود أفعالك بشكل جيد، كما عليك أن تجعل تلك الفكرة هى آخر الخيارات.. وإن كانت واردة!

كما أن خسارة مروءة ليست خسارة العالم أجمع. أضف إلى ذلك أن عدم الإنجاب ليس من مسببات الطلاق.

خبأ نادر رأسه بين يديه وهو يقول..

- ما الذى تقول يا مراد؟ هل يمكنك أن تقبل فكرة الطلاق من

زوجتك؟

اقتضب مراد عند سماعه تلك الجملة...

- أنا على استعداد تقبل أى فكرة تجعل منى إنساناً طبيعياً، كما

أنى سوف أستقبل أول حالة بعد خمس دقائق.

نهض نادر منصرفاً فى الحال، لكن مراد استوقفه بكلمة أخيرة..

- إذا كانت تكن لك القدر الكافى من الحب، أو على الأقل نفس

المقدار الذى تكنه أنت لها، سوف تتقبل أى نتائج يا نادر.

* * *

فى الوقت الذى كان فيه نادر يبكى أمام مراد، ويشكو إليه وضعه

وكيفية التعامل معه، كانت مروءة وشادى يقفان جنباً إلى جنب وهى

تشهد حلم حياتها يتحقق.

وقد ألزمه والدها بذلك، حرصاً منه على نجاح سير العمل، حتى إنه

جعله يترك العمل معه فى معرض السيارات، ويظل جوارها طوال اليوم.

لكنه لم يكن يعلم حجم السعادة التى كان عليها شادى نتيجة قيامه

بهذه المهمة، فمن وجهة نظر الوالد هو يجنب ابنته خشونة التعامل مع

العمال فى الفللا؁ ومن وجة نظر شادى فقد من عليه بوقت من الراحة فى قلب النعم.

ولكن الوقت يمر دون أن يحرز شادى أى تقدم يذكر؁ على الرغم من تدهور العلاقة بين نادر ومروة؁ لذلك فقد قرر أن يلقي بأخر ورقة لديه ويخبرها بأنه بصد الهجرة خارج مصر واللحاق بشقيقها كريم.

كان فيما بينه وبين نفسه يود من صميم قلبه أن تبقى عليه؁ أو تخبره بأنه عليه البقاء من أجلها هى؁ أو أنها لا يمكنها الاستمرار دونه؁ وإلا فمن سيواسيها بعد أن تحتم خلافاتها مع نادر وتصل للمرحلة الحاسمة.

لكنها استقبلت الأمر بمنتهى البساطة؁ ولم تعلق بشىء سوى..
- إن كريم سوف يعتنى بك هناك؁ ولكن عليك أن تخبره بقرار الهجرة؁ حتى يتدبر لك الأمر قبل الوصول.

صمت شادى قليلا؁ ثم سألها فى هدوء وكأنه يخشى الإجابة...
- أن تتألى لفراقى؟

وجاءته الإجابة بعد تفكير ليس بالكثير؁ وقالت مروة فى هدوء شديد وكأنها تحسم أمرا ما..

- شادى؁ أنت تعلم قيمتك عندى جيدا؁ فأنت لك مكانة خاصة عندى منذ كنا أطفالا؁ ولم تكن قط فى نظرى سوى توءما للروح لا أخجل أو أخشى أن أروى له أدق تفاصيل حياتى.

لطالما كنت منذ الصغر مفضلا لى؁ وأنا أيضا أكن لك من الحب ما يفوق به حبى لشقيقى كريم.

ولولا تلك الوسائل الحديثة التى جعلت العالم كله يبدو كبلد واحد؁ ما سمحت لك بالسفر مطلقا؁ أنت تعرف أنى لا أقوى على فراق من يكملنى دائما..

وأمام تلك الكلمات التى انسابت من بين شفثيها الرقيقتين لم يتمالك شادى نفسه ، ووجد الدموع تتلألأ بين جفنيه وهى تأبى أن تتساقط حتى لا يستفحل الأمر وتتأكد من تلك الظنون التى تخامرها منذ أن كانوا صغارا ، فكتم الدموع ، ورغما عنه خرج الصوت مختنقا قائلا... .

- سوف يكون السفر خلال شهرين من الآن ، وكريم بالفعل على علم بالموضوع ، وبعد هذه الكلمات الرقيقة عن رأيك فيما يربط بيننا ، أظن سيكون قرار الهجرة مناسباً للغاية.. .

لاحظت مروة مدى التأثير الذى عليه شادى ، فقالت فى اقتضاب.. .
- سأكون دائما بقربك وجانبك ، كما أن مكانتك عندي لن تتغير وستظل فى قلبى للأبد.

نظر لها نظرة بائسة وهو يهم بالرحيل.. .

- هذا إذا كان سيكتب الله لنا لقاء جديدا.. .

انصرف فى صمت قاتل ، ولم يكن شعورها يختلف كثيرا عن شعوره ، حيث شعرت بقبضة من حديد تنتزع أحشائها ، وبالدمع يتسابق إلى عينيها.. .

* * *

عاد يوسف إلى أرض الوطن فى ساعة متأخرة من الليل قادما من كندا ، وعلى الرغم من أنه يملك مفتاح المنزل الخاص بحازم ، إلا انه قرر الذهاب إلى منزل والديه للاطمئنان عليهما أولا.

وفوجئى بالديه مستيقظين وفى قمة نشاطهما ، وكذلك شقيقته الصغرى ريم ، والتي كان اقتراب موعد زفافها هو السبب فى تلك السهرة.

لذلك فقد أراد يوسف أن يستغل الموقف لصالحه ، فأخبرهما عن مي وعن أسرتها ، وعن اقتناعه بها كزوجة يمكن أن يقضى معها ما تبقى له من العمر .

هبطت المفاجأة عليهم كالصاعقة من السماء ، حيث أخبراه برفضهما المباشر لتلك الزيجة ، حيث كانا يخططان له الزواج من ابنة أحد كبار رجال الدولة حتى يتسنى له ضمان كل مصادر القوة متمثلة في المال ، والسلطة كي يظل يحيا نفس الحياة التي يتمتع بها الآن .

ولم يكن يوسف يدرك المعنى من وراء تلك الكلمات ، إلا بعد أن أخبرته والدته أن والده أنهى مدة عمله كسفير في الخارج وسوف يعود كي يظل بمصر .

ولكن يوسف ظل مستمعا دون فهم لنوايا والدته ، وقال في حيرة بالغة ...

- لازلت عاجزا تماما عن الفهم ، فوالدى ظل سفيرا خارج البلاد طوال أكثر من عشرين عام ، وفي أكثر من دولة عربية وأجنبية ، ولدينا من المال ما يكفي لتأسيس أكثر من شركة ، والعديد من الاستثمارات دون الحاجة حتى لشركاء .

كما أن ريم سوف تتزوج وتنفصل في حياة خاصة بها ، وزوجها وكيل للنائب العام ، ووالده أحد أشهر قضاة الدولة ، وكذلك أسرته أحد أعرق الأسر في مصر... كما أن لديهم عامل الجذب الأكثر أهمية لديهم وهو (المال) أليس هو المعيار الذى بواسطته تقيمون علاقتكم مع البشر؟

- أليست شقيقتك دولت هانم هي التى أوحى لك بتلك الفكرة؟ أليست هي التى أرغمت ابنها على الزواج من تلك الأمريكية؟ فقط من أجل عملية دمج ومال ، كي تحصل على حفنة من الملايين..

- هل سأله أحد منكم إن كان سعيدا معها أم لا؟ هل سألتموه لماذا لم ينجب منها للآن؟

وهيهات حاول عبثا أن يقنعهم بوجهة نظره، فى أنهم ليسوا بحاجة للمال، ولكن على العكس فإنهم ينقصهم أشياء أخرى أهم قيمة بكثير من المال! ولكن كما توقع لم يستمع أحد إليه، فقد ظل حتى الصباح يحاول معهم حتى أصابه الملل، حتى يأس تماما (كمن يحرث فى البحر).

غادر يوسف المنزل ولم يكن أمامه خيار سوى الذهاب إلى حازم، فهو فى تلك اللحظة كان بحاجة إلى من يدعم القرار الذى اتخذه دون تردد. وعندما وصل إلى منزل خالته دولت فى السادسة صباحا، استقبلته دولت بدهشة حقيقية وبرودة غير متوقعة ثم أشارت بلا مبالاة بأن حازم لا يزال نائما بغرفته، وأنه إذا أراد أن يصعد له.. فليصعد.

ودون إلقاء مزيد من الأسئلة، دخل الغرفة وقال بلا تردد..

- ستكون خطبتى من مى اليوم هى الرد الوحيد على تلك العائلة المهووسة بالمال.

وأمام هذا الإصرار لم يجد حازم أمامه إلا أن يوافق على تلك الفكرة المجنونة، ولكنه فى البداية يجب أن يتم إخبار مى وعائلتها بذلك الخبر، حتى يتسنى لهم إجراء الترتيبات اللازمة - هذا - إن وافقوا أساسا!

ثم نظر حازم فى الساعة، ليجدها السادسة والرابع، فتمتم قائلا وهو يضحك...

- سوف تتهمنا والدتها بالجنون فى كافة الأحوال، فأنا لم أر بحياتى شخصا يريد أن يتقدم للزواج، ويتمم الخطبة فى يوم واحد، وفى السادسة صباحا!

انهار حازم ويوسف من الضحك، خاصة عندما أتى صوت والدة مى عبر الأثير مندهشا، ووجدت حازم يقول فى توجس شديد...

- أنا حازم، صديق مى من الشركة التى تعمل بها، وأريد أن أحدثها عن موضوع خاص وهام جدا، ولا أدري إن كانت أخبرتك به أم لا؟
اندهشت الأم من سبب المكالمة، واندهشت أكثر من وقتها، وردت قائلة..

- نعم، بالفعل لقد أخبرتنى، ولكنى أتساءل عن سبب ووقت المكالمة؟
ضحك حازم كى يزيل بعضا من التوتر الذى بدا واضحا على صوت والدة مى...

- لقد وصل يوسف من كندا الآن فقط، وهو يريد أن يتم الخطبة اليوم بسبب ظروف سفره ليلا فى نفس اليوم.
صمتت الأم برهة ثم قالت فى سكون...

- هذا الأمر لا يمكننى وحدى أن أبث فيه، كما أننى لا أحبذ السرعة فى تنفيذ تلك الأمور، ولكن القرار الأخير هو قرار مى، وليكن ما يكون.. ومن دواعى سرورنا أن تشرفنا اليوم أنت ويوسف...

أنهت الأم المكالمة، والتفت حازم كى يخبر يوسف بما تم، ولم يكذب
يسمع رد الأم حتى انفجرت أساريره، وتلونت الدنيا أمام عينيه.

ترك حازم يوسف يعد للخطوبة التى ستحدث ليلا، ثم اتجه لعيادة مراد فى العاشرة صباحا، وهو أمر اعتاد عليه فى الفترة الأخيرة، منذ أن غادر الأخير المنزل قرابة العشرة أيام..

ولأول مرة يجد مراد مستيقظا، ومعه أيضا شخص ما بالعيادة، وعندما سأل العامل بالعيادة، أجابه العامل بلا مبالاة بأنها نفس السيدة

التي حضرت منذ يومين، وقد استقبلها د/ مراد بنفسه واصطحبها داخل العيادة..

وهنا سأله حازم بفضول..

- هل أنت متأكد أنها ليست بسمة زوجته؟

ولكن الرجل أجاب بالنفي المطلق، وعلق ساخرا..

- ليست زوجته، لأننى بالطبع أعرفها تمام المعرفة، إنها نفس

السيدة التي حضرت ليلا..

كان حازم يعلم جيدا قصة الحب الطويلة التي ربطت بين مراد وسلمى، بل وكان شاهدا عليها أيضا، واستفزه الفضول وراء ظهورها في حياته مرة أخرى.

وكان الغضب بلغ منه مبلغه عندما أخبره مراد وقتها بأن تلك الأزمة العاطفية هي التي عصفت بأحلامه، وكادت أن تنهى حياته قبل أن تبدأ، لولا قوة إرادته.

طلب حازم قهوته، وظل منتظرا في فضول، حتى الساعة الثانية عشر ظهرا، وقد استبد به الملل عندما رأى مراد يودع سلمى فى هدوء... حاول جاهدا أن يسيطر على أعصابه، حتى غادرت العيادة، ثم قفز غاضبا وهو يقول فى سخرية...

- لقد تناولت خمس فناجين من القهوة، حتى أستطيع أن أتغلب على ذلك الفضول الذى انتابنى منذ أن علمت بوجودها مرة أخرى، هل تريد أن تجدد المشاعر التى هربت منها من قبل؟ جلس مراد خلف مكتبه، وهو يضحك بشدة من الحالة التى رأى حازم عليها، وقال فى هدوء..

- سيقنتك الفضول يوما ما، ولكن نعم، استنتاجك في محله هذه المرة، أنها ستحصل على الطلاق، وتريد أن تعود للبقاء في مصر، وبالطبع مع حب حياتها!

اندهش حازم ورفع حاجبيه، وقال بدهشة..

- ماذا؟ وما هو ردك عندما أتت وتقدمت بطلب يدك للزواج؟

ضحك مراد مما قال حازم، ثم قال بألم وحسرة...

- على الرغم من أن الجرح لم يندمل بعد بالشكل الكافي، إلا أنني لازلت في معترك التخلص من الغلطة الأولى، فكيف لي أن أرتكب نفس الغلطة مرتين؟

صمت حازم ثم قال بخبت شديد...

- نيرة الحزن في صوتك، تدل على أنك لا زلت تفكر فيها وتحبها؟
أحذرك من التراجع عن قرارك..

أطرق مراد قليلا، ثم رد في هدوء شديد...

- سوف أخبرك سرا لم أخبر به أحدا من قبل، لقد كنت ولازلت تتساءل عن السر وراء تغيير رغبتى التى طالما حلمت أن أكونها منذ الصغر، كجراح كبير..

ولكن طبيعة البشر والنفس البشرية وانكسار القلب أقوى من تلك الرغبة، وكانت دراستى للطب النفسى هى الملاذ الوحيد.

هز حازم رأسه ذهابا وإيابا، وهو فى ذهول تام، قائلا فى شرود...

- هل تعلن الآن عن السر الذى طالما رفضت أن تخبرنى عنه؟ وأن السبب الذى جعلك تتخلى عن أميبتك الغالية فى أن تصبح جراحا، هو سلمى، وقصة الحب الفاشلة التى مرتت بها!

نظر له مراد بدهشة وهو يقول..

- ولماذا كل هذا الكم من الدهشة؟ ألم تكن شاهدا على الحالة التي كنت أعانيها ذلك الوقت؟

خرجت الكلمات تلقائية من حازم وهو يقول...

- بلى، ولكن لم أكن أتوقع على الإطلاق أن تكون تلك الدمية هي من ألهمتك تلك الفكرة العبقريّة، وجعلت منك طبيبا نفسيا ماهرا ومشهورا..
ابتسم مراد وهو يقول...

- لقد فعلت تلك الدمية ذلك، ولكن دون عمد منها بالطبع..

وهنا ارتفعت طرقات على الباب ليأتي صوت العامل بالعيادة يبلغ عن سيدة أخرى تريد رؤية د/ مراد، ضحك الاثنان معا، وسأل مراد في وقار غريب...

- هل رأيتها من قبل؟

أجاب الرجل في سرعة...

- لا، إنني لأول مرة أراها، ولكنها بغاية الجمال!
قال مراد في سكون..

- دعها تدخل.. وأحضر لي فنجانا من القهوة.

خرج الرجل، ثم فتح الباب كي تظهر ببرى وهي تنظر ببراءة وينفجر الجميع في ضحك شديد...

* * *

لم يكن مكتب الشركة الهندسية للعقارات يعج بهذا الكم من المشاحنات والضغوط النفسية من قبل، حيث ازدحمت قلوب الجميع بمزيج من الكراهية والحقد والضغينة.

صلاح يمر بأزمة نفسية توشك أن تودى به بعد طلاقه من صافى ،
نادر زواجه يحتضر نتيجة خلافه مع مروة لافتتاح شركتها الجديدة رغم
أنه لم يصارحها بعد بنتائج التحاليل الخاصة به .

أحمد لا يزال يحاول الوصول إلى بييرى بشتى الطرق غير آبه لما ينتشر
من شائعات لاقترب خطبة مى ، ولم ينس موقفه من حازم فهو لسبب
ما يريد أن يسلبه مى ، كما أنه يحظى بإعجاب بييرى بشكل أو بآخر ، ثم
الطامة الكبرى .. فهو رئيس مجلس إدارة الشركة وصاحب رأس المال ،
فهو لسبب ما يستهدف كبرياءه ، كما أنه لم يتخلص بعد من نظرات
اللوم والتأنيب من صافى نتيجة طلاقها من صلاح .

أما بييرى فلم يكن لها أية علاقات مع أشخاص بالعمل سوى من
استطاعوا أن يتجاوزوا الأفكار البدائية التقليدية ويتعاملوا معها على أنها
إنسانية عادية بمقدورها أن تختلط بالجماعة كما هي .

وأخيرا بسمه التى انقطعت عن العمل وعن العالم بأسره منذ أن
هجر زوجها مراد المنزل واختفى عن ناظرها تماما ، فقد سيطر تماما
على الموقف بحيث يجبرها على اتخاذ القرارات وحدها دون الرجوع
إلى أحد .

وهكذا أصبح للشركة شكل جديد فالكل يكرهون ويحقدون ويتنازرون
بعضهم البعض ، وإن كانوا لا يبدونها لبعضهم بطريقة مباشرة .

وتلك كما يردد البعض هي أكثر أنواع البشر حقارة ، لأن الإنسان لا بد
أن يكون محترما ونزيها ، حتى فى عداوته وكراهيته .

وفى عيد ميلاد صافى كانت فرصة لينبذ الجميع مشاعرهم السيئة ،
يشاركوا فى الحفل ، ويتجمعوا حول التورتة الضخمة التى أحضرتها
بييرى لهذه المناسبة الخاصة .

فقد كادت صافى أن تنسى هذه الذكرى الخاصة فى ظل الظروف الصعبة التى تمر بها وطلاقها من صلاح.

ولاحظ صلاح وجود مراد بجوار حازم، وكان الغريب هو أن هذه كانت المرة الأولى التى يدخل فيها حازم الشركة منذ شهرين على الأقل، كما أن مراد لم يكن يتواجد بمنزله.. لماذا إذن يتواجد فى حفل عيد ميلاد صافى؟

ولم يشعر صلاح فى حياته بمثل هذا الكم من الحرج، لذلك لم ينتظر حتى تأتى إليه ببرى وتوجه له الدعوة، بل ذهب هو إليها واعتذر منها متعللا بصلاة العصر، رغم أن وقتها لم يكن قد حان بعد.

ولكنه كان يشعر برغبة ملحة فى التحدث مع مراد حول خلافه مع بسمية، لذلك فقد رمقه بنظرة طويلة تحمل المعنى الذى يريد، وبالفعل وصلت الرسالة إلى مراد وبأدله بإيماءة من رأسه تعنى أنه فهم ما يرمى إليه.

وشيعه الجميع بنظرات تجمع ما بين العطف والترجى، لأن هذا الحفل كان بمثابة كسر للحاجز الذى يقف حائلا فى طريق الرجوع بينه وبين صافى.

فقد كان مراد يعلم أن صلاح شخص هجومى بطبعه فى كافة الأحوال، عنيد يرفض الإصغاء إلى الغير، كما أن الشنق عنده أهون من الانصياع تحت إمرة أحد ما.

ولكنه على الرغم من ذلك يتميز بقلب رقيق وعواطف جياشة، وكان مراد متأكدًا من أن صلاح لم يستطع البقاء ليس لأنه حاقد على صافى أو غاضب منها، بل على العكس تماما..

كان يعلم أنه لم يتمكن من البقاء لأنه لن يتمالك أعصابه ومشاعره وعواطفه، ولن يستطيع أن يكبح دموعه التي سوف تتساقط رغماً عنه، وهى تحتفل بهذه المناسبة بعيداً عن أحضانه، بعد أن تعود على ذلك.. وانقبض ما داخله شيء ما فى قلبه وأحس بتلك الرعدة التى يشعر بها من يتذوق طعم الحب لأول مرة، فأدرك أنه من المستحيل أن يبقى كى يصبح محلاً لسخرية من الجميع إذا استمر بقاؤه وهو على تلك الحالة.

وعلى الرغم من ذلك فقد تعالت بعض الهمسات والضحكات، ولكن فقط مراد وبيرى أحسا بما أحس به صلاح وأضرماه فى نفسيهما، وحاولا أن يتفاعلا مع المتواجدين حتى لا يفسدوا حرارة الاحتفال.

ولكن بعد انتهاء الحفل لاحظ مراد ابتعاد صافى عن جو الحفلة والأصدقاء ورغبتها فى العزلة، وعلى الرغم من ذلك فقد اقترب منها وقرر أن يضع حدا لتلك المأساة التى تعيشها هى والآخر.. فقال بهدوء، ودون لفت الأنظار إليه..

- صافى، أفهم من تلك الدموع أنك تودين العودة مرة أخرى إلى صلاح؟

لم تتفاجأ صافى بما يمكن أن يلاحظه مراد بعينيه، حيث كانت تعلم مدى معرفته بنقاط الضعف لديها، لذلك قالت فى بطن شديد...

- أنت الوحيد القادر على فهم ما حدث وما يمكن أن يحدث..

ثم مراد شفتيه وهو يقول بمزيد من الحيرة...

- إذن لماذا أصر والدك على الطلاق؟ إذا كنت أنت بهذا الضعف

وقلة الحيلة..

هزت صافى رأسها علامة النفى، وهى تقول...
- إننى لست نادمة على الطلاق، ولكن الوضع الجديد يربكنى،
خاصة وأنت تعلم أنه يعاند رغما عنه ليس إلا، وهو يدرك ذلك جيدا..
تراجع مراد فى مقعده وهو يقول...
- صافى، بعد كل ما مررت به من قمع وذل، لن يمكنك السيطرة
على الوحش الكامن داخل صلاح إذا علم أنك قد غفرت له!
اعتدلت فى مجلسها وهى تقول بصوت خافت...
- اننى لم أغفر له بعد، فقد عانيت معه كثيرا...
ابتسم مراد بسخرية قائلا...
- لقد فعلت للتو، عندما وضعت حزنه وألمه فى اعتبارك،
هل تدرين شيئا؟ من الأفضل أن تعودا لبعض..،
فهو الآخر يمر بتلك المشاعر وذلك الألم، لذا عليكما بالعودة بدلا من
العذاب النفسى والجسدى.. ولكن بشروط..،
علينا أن نفرضها عليه وعليك، وعليكما الامتثال لها.
ولكن ليس الآن، دعينى فى البداية أتأكد من بعض الأشياء التى
تؤرقنى فى الوقت الحالى، ومن ثم نتواجه جميعا...
ظلت صافى متيبسة فى مكانها عاجزة تماما عن الحركة وهى تفكر
فيما ستأتى به الأيام، ولم تتزحزح صورة صلاح وهو يغادر المكتب
مخيلتها إطلاقا، خاصة مع ذلك الوميض الشاحب للدموع العريضة التى
كانت تتزاحم بين جفنيه..
ولا تعرف لماذا تذكرت بيبرى؟ ورأيها فى احتمالية العودة إلى صلاح
مرة أخرى، إذا حدثت معجزة، وتم على أثرها أى تغيير جذرى فى
مزاجه المتقلب وطباعه الحادة القاتلة كما تصفها.

وهنا انهارت صافى بعيدا عن أعين زملائها فقط، وتنهمر دموعها
كالأمطار لتؤكد لها شيئا واحدا، وهو أنها اشتاقت لزوجها، وللحديث
معه حتى وإن كان لا يسفر عن شيء، والجلوس بقرية، اشتاقت لصوته
حتى وإن كان الكلام لاذعا وغير مثمر، أو غير ذى قيمة ولكن كل ما
كانت على يقين منه هو أنها اشتاقت إلى ذلك وبقوة، ومن داخلها تمننت
أن تثمر محاولة مراد عن شيء جديد، ولكن دون أى جرح لكرامتها
أو كبرياتها خاصة وأن صلاح سبب لها الكثير من الأذى والتعب فى
السابق ولا يجب أن يشعر أن ما فعله شيء عادى يمكن التغاضى عنه
ببساطة وسهولة..

ومن النافذة لمحت ضوءا جديدا من الأمل يدخل مع ضوء وبريق
الشمس الصافية..

* * *

تفاجأت مى بجرأة يوسف غير العادية عندما قرر أن يأتى ويتقدم
بطلب يدها ويقدم لها الشبكة فى يوم واحد، دون الرجوع إليها أو
مناقشتها فى الأمر، ولم تنكر مى إعلانها موافقتها على الخطوبة فى
الشركة ولكنه كان يجب أن يترك لها حرية اختيار الهدية التى سوف
يقدمها لها.

وقد وصفت والدتها ما يحدث بالجنون المطبق أو الحب الذى لا حد
له، ولم تحاول مى أن تنكر شعور النشوة والسعادة الذى غمرها وهى
تستمع إلى والدتها، لأنها ومنذ أن كانت مراهقة صغيرة لم تتمن سوى
أن تعيش فى ذلك الحلم من الرومانسية المفرطة.

ومع حلول الموعد المنتظر، فوجئ الجميع بصراحة يوسف المثيرة
للجدل، حيث قال بهدوء مستفز..

- أعتذر عن عدم حضور باقى أفراد أسرتى، لأنهم يعارضون تلك الخطبة لأسباب خاصة بى أنا..

تبادلت مى مع والدتها وجدتها نظرات حائرة، تنم عن القلق ثم قالت الوالدة بشيء من الجراءة..

- هل يمكن أن أعلم تلك الأسباب؟ أم أنها أسباب عائلية أو سرية؟ وهنا تدخل حازم فى حذر...

- إنها بالفعل عائلية و..

قبل أن يسترسل أكثر من ذلك، قاطعه يوسف فى عقلانية شديدة، وقال حاسما الأمر...

- إن أساس أى علاقة ناجحة هو الصراحة والصدق، لذا فمن الضروري قبل أن نبدأ فى فعل أى شىء، أن تتأكدى سيدتى من أننى متمسك بزواجى من مى بشكل غير عادى، كما أننى لدى عملى ومنزلى الخاص الذى سوف نعيش به معا.

ولكن جميع أفراد العائلة ضد هذه الزيجة، ومعترضين عليها عدا حازم الذى أيدنى ودعمنى منذ البداية.

تجهمت والدة مى وجدتها بشكل غريب، حيث عجزا تماما عن فهم الكلام، وأعربت الأم عن قلقها وهى تقول..

- كلامك هذا يزيد من قلقى ولا يطمئننى إطلاقا، فعدم موافقة عائلتك

على الزيجة ليس له إلا معنى واحد، وهو أنهم معترضون على العروس! هز يوسف رأسه علامة الموافقة على كلامها، وقال فى روية..

- لا يمكننى تقديم أى ضمانات سوى حبى ورغبتى فى الارتباط

بابنتك، أما بالنسبة لعائلتى فإنهم يفضلون سياسة الأمر الواقع، كما أنهم دائما ما يحبون أن يكونوا تحت الضغط.

صمتت والدة مى وهى تترقب وجه يوسف وحازم، ثم مالت للأمام وهى تقول...

- وماذا سيكون الوضع لو لم يقتنعوا بالأمر الواقع؟ ألا يحق لى أن أقلق على مستقبل وحياة ابنتى الوحيدة؟
طأطأ يوسف رأسه أرضاً وهو يقول...

- لا يمكننى أن أمنعك من القلق حيال ابنتك الوحيدة، ولكن ها هى فترة الخطبة أو فترة الاختبار، ويمكننا خلالها أن نتعرف على بعضنا البعض بشكل أكبر.

وتدخلت مى تؤيد هذا الرأى، وكذلك حازم بينما عارضت الجدة، ومع إلحاح الجميع لم تجد الأم بدا من الموافقة وقراءة الفاتحة، فقط بعدها أحست مى براحة كبيرة، خاصة بعدما وضعت خاتم الخطبة، وقبل يوسف يدها واحتواها بين راحتيه...

ولم تدر مى ما معنى هذه الخواطر التى تعاقبت على رأسها، وهى تأوى للفراش، وتتذكر أحمد..

أهو الإحساس بالشفى؟ هل هو الشعور بالحقد والغل الذى اندلع كحجم من النار بداخلها؟ أم أنها فقط وافقت على هذه الخطبة الغريبة من أجل أن تبلغه رسالة بأنها لاتزال مرغوبة وقادرة على الحب والغرام. وفجأة ودون سابق إنذار قفز إلى ذهنها ذكرياتها مع أحمد، ذلك الحب الأول فى حياتها وكيف أنها وقعت فى حبه منذ أن رأته لأول مرة وهى تخطو داخل المكتب وتلك النظرة التى تألقت فى عينيه، والتى غيرت كل ما حولها، وسرت فى جسدها تلك الرعشة، والتى تشبه إلى حد كبير التيار الكهربى - نعم - لقد كانت من قبل هذه النظرة لا تعلم

شيئا عن الحب ، اللهم ما تم سرده فى روايات إحسان عبد القدوس ويوسف السباعى وما ترويه لها أمها وجدتها ، وما فى قصصهم من شعور متبادل وعاطفة جياشة وتضحيات ، غالبا ما تؤدى كلها للزواج ، هذا إن لم تتزوج كما تزوجت أمها وجدتها فى السابق عن طريق الصالونات . كل هذه الخواطر طافت بعقلها وهى تريح رأسها على وسادتها ، وتذكرت رأى مروة آنذاك عندما أخبرتها أنه ليس بوسامة حازم ، ولكن من الممكن أن يكون أكثر منه حكمة . إلا أنها أشاحت بوجهها بعيدا ، فقد كانت ترى فى وجهه شيئا جذبها إليه كالمغناطيس ، ولم تستطع مقاومته ولم تريد ، كل ما تمنته لحظتها أن تتزوج هذا الرجل و(ليت كل ما يتمناه المرء يدركه) .

واستمر سيل الذكريات ينهمر كسيل العرم أمام ناظريها... وتذكرت كيف استطاع بكل براعة أن يعلقها فيه ويجعلها لا تستطيع أن ترى سواه ، لم يترك طريقة إلا ولجأ إليها ، من الكلام المعسول والمكالمات الهاتفية إلى الوعد بالزواج...

وتذكرت أيضا كيف كانت حالتها بعد هذه المكالمات .. وكيف كانت تصبح أكثر حيوية وإشراقا وأكثر إنجازا للعمل ، كانت تتحرك فى المكان بخفة ورشاقة كالفراشة فى الهواء كى تنشر عطر الصباح فى كافة أرجاء الدنيا . وضحكت فى سخرية عندما تذكرت كيف وبسرعة فائقة نالت استحسان وثقة الجميع وقد أبدى كافة العملاء إعجابهم بعملها حتى صارت جزءا لا يتجزء من المكتب الهندسى بل ومن الشركة كلها .

ولأن الحب بالفعل أعمى ، وبسذاجتها البريئة وجدت نفسها تُرجع الفضل فى كل ذلك إلى أحمد ، وكيف يزيكها عند صلاح؟ كما أنه يترك داخلها أثرا من الممكن أن تنحت به الجبال ، أو تصنع به المعجزات .

كل ذلك تذكرته وهي جالسة على سريرها واضعة يديها خلف رأسها في لحظة حساب للنفس ومراجعة للضمير، وكيف تخلى عنها بمجرد ما أخبرته بضرورة الإعلان عن خطبتهما؟ وما أن سمعها حتى استشاط غضبا وبدأ يتصرف كما لو كانت شخص غريب عنه، أو أنها ألصقت به تهمة ما! وهزت رأسها في أسى وحزن، ليس لأنه يؤسف عليه، ولكن لما كانت عليه من غباء قاتل أوحى لها بالتماس الأعذار له...

لأنه على الرغم مما فعل إلا أن الرسالة لم تكن تصل إليها كاملة كما أراد هو أن يبلغها أبداً، وأكثر ما كان يوجعها أنها استيقظت فجأة على أصوات الجميع، وهي تتناقل أخبارها وقد حكى لهم على أدق التفاصيل بينهما.

فقد جعل منها أضحوكة أمام الجميع وأمام نفسها أيضاً، جعل كل من حولها ينظرون إليها بعين الشفقة والعطف كما لو كانت تعاني من أمر ما...

وأحسنت هي ذلك الإحساس بينها وبين نفسها، أحسنت بأنه تركها وحيدة في منتصف الطريق في ليلة من ليالي الشتاء القارس، والبرد والأمطار والرياح تعصف بها هنا وهناك كالدمية...

كم سخطت على قلبها لأنه أحبه! كم لعنت غبائها! كم كرهت رومانيتها التي جعلت منها مثارا لسخرية الناس، ولكنها أقسمت بأن تجعله يدفع ثمن سخرية الناس منها غالياً.

ومن ثم بدأت العلاقة بينهما تتدهور وتقطع نهائياً، اللهم إلا من خلال العمل الذي من الممكن أن يربط بينهم ليس إلا، لكنها ما لبثت أن انهارت عند أول مواجهة بينهما، فتقدمت بطلب استقالة رفضه صلاح وحازم معا.

وكيف توالى من ثم المواجهات بينهما فى العمل ، ورغم أنها كانت تتعمد أن تكون على أتم استعداد له ، إلا أنها دائماً ما كانت تعوزها الجرأة والشجاعة فتضعف أمامه ، وهذا ما كان يبكيها بعيداً عن الجموع . ولكن العرض المذهل الذى قدمه لها حازم كان بمثابة القشة التى تعلق بها ، وأخرجتها من بحر الظلمات - نعم - لقد كان يوسف هو انتقامها الحقيقى من أحمد حتى ولو كان على حساب قلبها وحياتها وعمرها .

وصلت إلى هذه النقطة من الذكريات وانتفضت من مكانها ، ليس مجازاً ولكن بالفعل .

ماذا لو كان يوسف اختياراً سيئاً على حساب عمرها كله؟ أحست بالعجز عن التفكير والعجز عن النوم فجذبت طرف الغطاء على وجهها وعينيها من تحته مفتوحة ومحلقة ومنتظرة .

* * *

انتظرت مررة نادر طول الليل حتى تتحدث معه بخصوص مستقبلها المهنى ، خاصة أنها بصدد الانتقال إلى مقر شركتها الجديدة ولا يفصلها عن الافتتاح سوى أيام .

ولكنها كانت تطمح فى أن يكون معها فى كل خطوة تخطوها ، كما عليه أن يوافق على انتقالها بدون قلق أو توتر أو خلافات .

وعندما دقت الساعة معلنة التاسعة دخل نادر الشقة وهو فى غاية الإرهاق والضجر ، وقبل أن يلقي تحية المساء ألقى بنفسه على أول مقعد قابله وهو يردد باستسلام ...

- لا تحاولى البدء فى التحدث بشأن أى شىء ، لأنى اليوم لن أتحدث مع أى كائن كان ، ولا أريد أن أتناول طعام ، وسوف أخلد

للنوم، ولا توقظيني تحت أى ظرف من الظروف حتى أستيقظ وحدى فى الساعة التى أستيقظ فيها.

حملت مروة فى وجه زوجها وهمت بقول شىء ما، ولكن الهيئة التى كان عليها جعلتها تفكر قبل أن تتحدث إليه، كما أنها نسيت الفكرة وأمنت برأسها علامة الفهم.. ثم التفتت كى تنظر فى ناحية أخرى، بينما توجه هو نحو غرفة النوم وألقى بنفسه على السرير، ومجموعة من الأحاسيس تجيش بصدرة وليس إحساسًا واحدًا.

فقد تعانق اليأس، الغضب، التوتر، الضعف، الحب، الحسرة، الهزيمة، الانكسار والضياع بعضًا إلى بعض، وكونوا عائقًا وكابوسًا لا يمكن أن يخترقه أقوى المنومات.

فقد كان الاحتفاظ بمروة وحبها لها أهم شىء عنده، حتى لو قدم تنازلات من أجل أشياء سبق ورفضها من قبل.

ولكن السؤال الآن هو، هل من الممكن أن تقبل هى بهذه التنازلات الآن بعد أن أصبح موقفه من أضعف ما يكون؟

كبت تلك المشاعر داخله واختزلها فى دمة واحدة، سقطت من عينيه وهى تحرق وجنتيه وتعبر عن كل ما يعتمل بقلبه وصدرة من نار ودخان. وضع الوسادة على وجهه، حتى يتجنب أى تعليق منها، ولكنها كانت قلقة عليه بالفعل.. لذلك لم تنتظر حتى الصباح وقررت أن تواجهه رغم أنها تدرك جيدا مدى حساسية الموقف، واضحة فى الاعتبار مزاجه العكس...

جذبت الوسادة من فوق وجهه، ورمقته مروة بنظرات فاحصة وهى تحاول سير أغواره، وقالت فى صوت خفيض...

- نادر أريد الاحتفاظ بكليكما، حب عمرى وحلم حياتى..
صمت نادر وهو يحاول أن يتكلم، ولكن الكلمات خرجت جافة
ومتعثرة، فأشار برأسه علامة الاستيعاب وخرج صوته من حنجرتة
متحشرجًا وكأنه مصطدم بغابات من الأشواك...

- فلتفعلى ما يحلو لك، أنا شخصيا أتمنى لك النجاح أينما تكونى،
أما أنا فإننى باق فى الشركة، ولكنى تحت تصرفك فى أية استشارة
لم ولن أبخل عليك بأى شىء.

نظرت مروة بإمعان فى عينيه، وحاولت أن تعرف سبب هذا التغيير
المفاجئ فى أفكاره وتصرفاته، ولكن كل محاولاتها باءت بالفشل، فقد
ظل نادر على جموده كما هو..

ابتسم حين أيقن حجم وقدر الجهد الذى تبذله بنظراتها وهى تحاول
مجاراته فى الحديث المقتضب الذى بدأه معها منذ لحظات، فقال
بهدوء..

- مروة تأكدى أن قرارى هذا اتخذته بنفسى وبملاء إرادتى، ولا دخل
لأحد فيه، ثم إنى أذكرك للمرة المليون، أنا رجل حر ولا يوجد على
وجه الأرض من يتحكم فى قراراتى أو إرادتى تحت أى مسمى أو ضغط،
هل يعنى كلامى هذا أى شىء لك يا مروة؟

أحسست مروة بتطرف الموقف، ولم ترد أن تخسر هذا التقدم الملحوظ
فى العلاقة بينهما، خاصة مع تيقنها من أنه يكن لها حبا عظيما بالفعل،
لذلك فقد ابتسمت بنعومة واحتضنته مكررة..

- أنا أعلم جيدا يا حبيبى مدى رجاحة عقلك وقوة شخصيتك،
ولكن علينا أن نذهب حتى نتناول العشاء غدا فى منزل والدى، فقد

كان يريد أن يتحدث معك فى شىء آخر، فهو يثق برأيك ويعتبرك مثل كريم وشادى، ويريد أن يعرف رأيك فى شخص سوف يتقدم للزواج من داليا..

أنت تعلم أنه يحبها بشدة، ومرتبط بها حتى أكثر منى، ومنذ وفاة والديها فى صغرها وهى تشاركنى كل شىء فى حياتى، ودائما ما كان يردد لقد من الله على بطفلتين، وليست طفلة واحدة؛ الأولى من صلبى والثانية من قلبى، فما رأيك؟

لأنت ملامحه بعض الشىء، وقد استطاعت بذكائها أن تغير الموضوع، فقال وقد أرضت غروره...

- سأمر عليه فى المعرض غدا قبل الذهاب إلى العمل، لأننى أكن لوالدك احتراما كبيرا، ولوالدتك وأيضا لداليا فهى بمثابة أخت لك - كما ترددين - ...

ابتسمت مروة لأنها نجحت بالفعل فيما خططت، وقد احتوت الموقف بسلاسة واقتدار، لذلك ذهبت لإعداد طعام العشاء، وهى فى قمة السعادة.. ولأن المصائب لا تأتى فرادى مثل ما هو شائع، فقد استقبل نادر مكالمة هاتفية أثناء إعداد مروة لطعام العشاء من مراد، يخبره فيها أنه عرض نتائج التحاليل على خبير عالمى، وأفاد بسلبية نتائج التحاليل الخاصة به، وأنه لن يستطيع فعل المزيد من أجله.

تحول وجه نادر إلى اللون الأزرق، وكاد أن يحاكى وجوه الموتى نتيجة هذه المكالمة القصيرة وقوية المفعول، فقد كاد أن يفقد النطق تماما. وظل ممسكا بالهاتف وهو ينظر إليها نظرة جوفاء فارغة، دون إبداء أى حركة، مما جعله ينتفض من شدة الفزع عندما وضعت مروة يدها على كتفه وهى تتساءل...

- من الذى يتصل فى مثل هذا الوقت؟
التفت إليها نادر فلاحظت مدى شحوبه ، ونظرت إليه متسائلة
بعينيها عن صمته ولون وجهه وشروده..
ولأنه لم يجد ما يرد به على أسئلتها، فقد كانت بالفعل هذه مفاجأة لم
يكن يتوقع حدوثها، حاول أن يستعيد توازنه بأى كذبة تأتي على عقله...
- إنه أحمد يبلغنى أنه غير قادر على الذهاب للعمل غدا، ويريدنى
أن أكمل تصميم من أجله، حتى لا يتعرض للتوبيخ من صلاح.
زوت ما بين حاجبيها، وهى تقول فى سخرية...
- ومنذ متى وأحمد يخشى بطش صلاح؟ أليس طفله المدلل؟ فقد كانا
على وشك هدم بيتنا السعيد، وانحنيت لتطبع على وجهة قبلة خاطفة.
نظر لها بشرود، وتمنى فى أعماق قلبه استمرار هذه السعادة، ولكنه
كان متأكدا وعلى يقين تام، من أنها مؤقتة ريثما تعلم مروة بالحقيقة،
وهنا ستتغير هذه القبلات وتلك المشاعر وتتبدل بأشياء أخرى.
ولم يشأ أن يكذب مرة أخرى، فاكتفى بأن طوق خصرها بذراعيه،
وارتسمت على وجهه ابتسامة لا معنى لها ويردد، إننى مرهق ليس إلا!
جذبتة من يده حتى يتناولوا معا عشاءهما، ولكنه كان معها جسدا
بلا روح، حيث لم يسمع من كلامها شيئا، أو حتى كان يشعر بنكهة
الطعام فى فمه، ولم يعد يرى أمامه سوى تلك المشكلة وكيفية التعامل
معها دون خسارة زوجته.

* * *

لم تستطع بيبرى أن تقاوم فضولها هذه المرة، وهى ترى صافى تتعرض
لكل ذلك التوتر والضغط العصبى، فهى منذ حفل عيد الميلاد تعانى من
ازدحام واختلاط للمشاعر بداخلها.

وعجزت تماما عن البدء فى أى تصميم أو ابتكار، وسبب لها ذلك ضغطا عصبيا كبيرا جعلها منفعة طول الوقت.

وقد اختلفت بييرى مع مراد فى وجهات النظر، خلال الزيارة الأخيرة التى قامت بها فى العيادة، عندما حاولت بييرى أن تشرح له أن صافى من داخلها تريد العودة مرة أخرى لصلاح، ولكن بشروط. عندما قالت: - أولها المعاملة الآدمية، والتحكم فى رد الفعل، والأعصاب. ولكن، كانت المفاجأة من نصيب بييرى عندما انفعل مراد عليها بشكل كبير، قائلا فى غضب..

- أرجوك يا بييرى، إن الموضوع شخصى وحساس وغير قابل للنقاش على الملأ.

ولم تستطع بييرى كبح غضبها منذ ذلك اليوم، لذلك لم تحاول أن تغير تعبير الغضب الذى ارتسم على وجهها، عندما رأت مراد أمامها فى مكتب الديكور، وقالت دون أن ترفع رأسها عن طاولة الرسم... - صافى لم تأت اليوم..

اقترب مراد أكثر من المكتب وهو يقول فى صوت وقور.. - إننى هنا من أجلك، وليس من أجل صافى، أرجو أن تتقبلى اعتذارى عما بدر منى فى العيادة، إننى لم أعتذر يوم الحفلة حتى أمنحك الوقت الكافى لهدوء الأعصاب.

أطرقت بييرى برأسها، ثم ضحكت بعبث وقالت فى ثقة... - إن أعصابى حاليا على ما يرام..

وهنا سألتها مراد فى شىء من الحذر...

- هل يمكننا أن نستكمل الحوار الذى بدأناه هناك؟

هزت بييرى رأسها فى قلق وهى تقول...
- ولكن صلاح متواجد اليوم بالعمل!
ضحك مراد فى خبث شديد وهو يقول...
- وهل تخشين صلاح؟ لأننى فى البداية أود أن أعلم.. هل علاقتك
بصافى قوية منذ فترة طويلة؟

وضعت بييرى شفتها السفلى أسفل أسنانها وهى تقول بحذر..
- وما الذى جعلك تسأل ذلك السؤال؟ هل تعنى أننى الدافع وراء
طلاقهما أو السبب فيما حدث بينهما من مشكلات؟
صمت مراد.. لذلك فقد أكملت بييرى بهدوء..

- لقد شاءت الظروف أن أتواجد معها بنفس المكان ليس إلا، وقد
كانت بعيدة عنى كل البعد، ثم شيئاً فشيئاً بدأت تثق بى، وفى رأىى
وقراراتى وعملى، ومن هنا بدأت تشركنى معها فى الجحيم الذى ألفت
بنفسها فيه بملء إرادتها.
ولم يصيبنى الذهول حينما علمت أن صلاح منعها من التحدث
إلى بأى كلمة حتى ولو فى إطار العمل، لأنه من وجهة نظرى مريض
ويستحق العطف والرعاية.

تفاجأ مراد بصراحتها فى الحوار، فقال فى هدوء..
- بييرى.. أنا أحترم ذكائك، ولا بد من أن تبادلينى نفس الشعور..
لقد تناقشنا آخر مرة فى موضوع شائك وحساس لا يمكن أن يخرج من
بين جدران المنزل، ولكن طالما أن صافى هى من حدثتكَ عنه، فمن المؤكد
أن هناك علاقة وثيقة تربطكما معا.
تناولت فنجان القهوة من أمامها، وهى تقول فى عصبية...

- مراد، أنا لا أكذب، علاقتي بصافي بدأت قبل طلاقها بفترة قصيرة، وهى التى بدأت تسرد لى كل تفاصيل حياتها، ولم أسع وللحظة كى أحصل على أى معلومة، أقسم لك..
لقد كانت بالفعل بحاجة ماسة إلى شخص ما تحكى له ما تعانیه دون حرج أو خجل، فقد ضيق صلاح الخناق عليها حتى هربت منه، تحت شعار المنوع مرغوب.

وجاءتنى وهى معتقدة أنني أملك إجابات وحلول كل مشكلات الدنيا، كما أنني ليس لدى أى خطوط حمراء، وكانبت المفاجأة أنها باحت لى واثمنتتنى على أدق وأخطر أسرار حياتها الزوجية، وهذا ما لم أستطيع أن أحمله وحدى، لذلك جنث إليك كى تخبرنى ماذا أفعل فى هذا الموقف الغريب، فقد صدمت فى صلاح بشكل قوى، لأنه من المفروض أنه شخص صاحب مبادئ، متدين، وقور، ناجح، متزن، فكيف يفعل هكذا فى زوجته؟

تراجع مراد فى مقعده، وقال هو يضع ساقا فوق ساق...
- صلاح كما قلت منذ قليل يا ببرى شخص مريض، ليس إلا.. كما أن شقيقته بسمة أيضا تعانى من نفس الحالة.

وهذه الحالة مصنفة فى الطب النفسى ضمن حالات العقد النفسية نتيجة الشعور بالذنب لاقتراف غلطة ما.. حتى وإن لم تكن هناك غلطة أو ذنب من الأساس! وهم دائما ما يحاولون أن يجدوا أسبابا كى يبرروا ما فعلوه إما بالشرع أو بالدين..

وضعت ببرى عينيها نحو أرض المكتب وهى تقول بيأس...
- والحل يا مراد؟ هل صافي من الممكن أن تعود لصلاح إذا استطعت علاجه من هذه الحالة؟

هز مراد رأسه علامة النفي... قائلا:

- العلاج ممكن، ولكنهم ليسوا مرضى نفسيين بالشكل المعروف،
فما من أعراض ملموسة، كما أنهم طبيعيون.. لذلك فإننا سنواجه بعض
الصعاب في حل المشكلة، خاصة مع صلاح، ماذا سيكون رد فعله عندما
أصارحه بحقيقة الوضع؟

ابتسمت بيرى بخبث وهي تقول...

- ولماذا تفترض تقبل الأمر عند بسمة؟

علم مراد الهدف وراء السؤال ورد يهدوء شديد...

- بسمة زوجتي، وأنا أعرفها جيدا، والموضوع لن يتخطى لديها

حاجز الطاعة العمياء، مهما كانت متطلباتي!

ضحكت بيرى بسخرية شديدة وهي تقول...

- وزوجتك هذه لم تكن تعلم عقدها إلا عندما أخبرتك أنا بها؟

صمت مراد قليلا، ثم قال في صوت بطيء..

- لقد لاحظتها بالطبع، ودائما ما كنت أجد لها مبررات ما بين

الخجل والحياء، وتلك الموروثات التربوية التي نشأوا عليها.. ولكني

فوجئت بعد ذلك بالانطواء، وسلب الإرادة والشخصية، وضميري

يمنعني من أن أترك بسمة في مثل هذا الوقت الحرج، فهي بالفعل

كائن جميل، ولكن تم تشويبه عن عمد عن طريق محورأيها وشخصيتها

وكيانها، لذلك لا بد من علاجها..

استمرت بيرى في الضحك وهي تقول...

- ولكن حذار من أن تنكر تفوقى عليك هذه المرة..

تراجع مراد في مقعده، وضحك من قلبه وهو يقول...

- كيف أنكر بعد أن منحتك صافى فرصة للتقدم على بخطوات
وليس خطوة واحدة؟ فقد جعلت منك بئراً لأسرارها!
لذلك فقط أنت متفوقة على، وصافى هي من جعلتني في ذلك
الموقف..

شبكت بيرى أصابعها و هي تقول...
- ومتى ستبدأ فى مرحلة العلاج؟
رفع مراد حاجبيه قائلاً فى صرامة..
- تتحدثين كما لو أن صلاح وبسمة وافقا بالفعل على تنفيذ هذه
الخطة!

اندهشت بيرى، وقالت فى بطنه شديد...
- وهل هناك ما يمنع موافقتكما الآن؟ أم تفضل الانتظار حتى يتفاهم
الوضع؟ أنا مستعدة للتدخل إن شئت...
صرخ مراد وهو يكاد يقفز عن مقعده...
- لا.. أرجوك لا تجعلى الأمر مستحيلاً..
نحن نتحدث هنا عن علاقة مصيرية، وليس عن اختيار مطعم كى
نتناول به العشاء، ليت الأمر بالسهولة التى تتحدثين عنها!
فلا يوجد ما هو أبسط من الذهاب إلى رجل ناضج مثل صلاح،
وإطلاعك بحقيقة العقدة التى يعانى منها فى حياته الخاصة، وإمكانية
إتاحة الفرصة لى كى أتمكن من حلها..

ولكن لأنى أعلم هذا الشخص جيداً، فأستطيع أن أجزم لك بكل
تأكيد على أنه لن يتقبل تلك الفكرة بسهولة ومن الممكن والمؤكد أننا
سنخسر أحاً وصديقاً...

نظرت له ببرى بشيء من الحدة، وقالت فى صرامة...
- عندما قدمت عرضى كى أتدخل لم أكن بذلك القدر من التفاهة،
ولكن بالأول والأخير الأمر عائد لك..
ولماذا تهتم لأمر صلاح بهذا الشكل؟ وتنسى بسمه..
أليست زوجتك؟

لاحظ مراد نبرة السخرية التى تحدثت بها فأدرك توتر الموقف،
فابتسم قائلاً...

- ببرى، أنك لا تقيمين الوضع وتريه كما أراه أنا، فى هذه
الحالات نعالج الشخصية الأقوى، فيتبعه الأضعف دون نقاش، تماما
كما هو الحال فى القضاء على فيروس ما، نقطع رأس الأفعى.. فتموت
باقى أجزائها...

قطبت ببرى ما بين حاجبيها، وقالت...
- لا تقل لى إنك ستقف مكتوف الأيدى، قليل الحيلة وتكتفى
بالمشاهدة.

ابتسم مراد وهو يقول بهدوء محاولاً إنهاء النقاش...
- لا لن أفعل ذلك، ولكن دعينى أعالج الأمر بعين المتخصص..
ابتسمت ببرى بخبث وهى تقول...
- وحتى تنتهى أيها المتخصص، بماذا أخبر صافى؟ هل يوجد أمل
فى تلك الخطة المجهولة برأسك؟
تراجع مراد قائلاً بجزع...
- لا فأنا غير واثق بصلاح أو بشقيقته...
ازدادت سخرية ببرى وهى تقول...

- من الواضح بالفعل أنك متخصص بدرجة ممتازة يا مراد، حتى إنك غير واثق حتى في قدراتك كطبيب.

بدأت أعصاب مراد تتوتر وهو يقول...

- لا أنا واثق من نفسي وقدراتي كطبيب بنسبة كبيرة، ولكن عندما يتعلق الأمر بصلاح فمن الصعب التكهن بالنتائج!

ثم إن الطبيب الفاشل فقط هو من يعطيك الأمل في شفاء شخص ما بنسبة ١٠٠٪ وهو لا يعلم أن كان سيستطيع التعامل معه أم لا؟
أوما إذا كان جسده سيتقبل ذلك العلاج أم لا؟

استشعرت بيرى ذلك التوتر من صوته، وحاولت امتصاص غضبه بابتسامة متوترة...

- أنا آسفة يا مراد، لم أتعهد إحراجك فأنت تعلم رأيي فيك جيداً، ولكن قلقي على صافي هو ما دفعني لذلك..

قطب مراد حاجبيه قائلاً...

- هل تخبريني أن صافي لازالت تفكر بصلاح؟ وبتلك القوة؟
ضحكت بيرى برقة ودفء، قائلة ببساطة...

- نعم ولما لا؟

فترجع مراد وهو يغطي وجهه بيديه، ويقول..

- إن عقلى يكاد ينفجر من الحيرة، ليتنى حقا أعلم ما يدور بعقل النساء...

فألزوجة التي تطلب الطلاق من زوجها من أجل إعادة تهذيبه،
لا تحبه ولا تبقى عليه يا بيرى..

لقد واجهت حالات زوجات أوضاعهن أصعب بكثير من حالة صافي، ومع ذلك صامدات مع أزواجهن في أوقات الشدة.

عقدت بيـرى حاجبـيها وهى تقول...

- ومن الذى أوهمك أنها تركته من أجل الأدب والتهذيب ، أو حتى الرغبة؟ لم يفض الكيل بصافى إلا عندما أجهضت يا مراد.. وذلك من فرط العنف والضرب والقهر..

ولكن يمكنك أن تضيف إليهم الكبت.. لا مانع من ذلك لأنها الحقيقة بالفعل ، فهل يمكن لزوجة أن تستمر فى ظل هذا الضياع؟ وضع مراد يده على رأسه ، وقال بهدوء..

- العنف طبع ، ينمو داخلنا ولا نولد به ، ولكننى أذكر أنه أرجع سبب الإجهاض إلى أسباب طبية..

ولكنه لم يذكر فى موضوع الطلاق إلا أنت ، وعدة دوافع منها تدهور الأخلاق ، والكذب.. وهكذا

ضحكت بيـرى ، وعلقت بهدوء...

- وعلى الرغم من ذلك لا زالت ترغب فى العودة إليه ، بشرط أن يتعامل معها معاملة آدمية عادلة وعادية دون قسوة أو حرمان..
بادلها مراد الابتسام قائلاً...

- فى مثل تلك الحالات لا يحق فرض الشروط ، الذى يحب شخصاً ما يقبله كما هو بحسناته وسيئاته لا يوجد فى الدنيا أناس حسب الطلب ، هل يمكنك إخبارها بذلك؟

خففت بيـرى من صوتها وهى تسأله...

- وماذا ستفعل مع بسمة؟

عض مراد شفته السفلى ، وكأنه يأبى التحدث علانية فى شأن كهذا ، ورد على الرغم منه قائلاً...

- لقد مررت بأوقات عصبية وأنا أحاول إيجاد حل للحالة التي تمر بها بسمة، لكنى لم أستطع أن أصل فى الأخير لقرار فاصل...
- شعرت ببرى بالإحراج الذى تسببت له فيه... فصمتت ثم قالت بصوت يشبه الهمس...

إذا كنت تريد صديقا أو صدرا رحبا تشكو إليه فتأكد أننى فى انتظارك فى أى وقت!
- ابتسم مراد بضعف وهو يقول...

طلبى الوحيد هو أن يبقى هذا الحديث سرا حتى نصل فيه إلى حل نرضى به جميع الأطراف.. وأشكرك مرة أخرى على صدقك وسعة صدرك..

وكما دخل مكتبها بهدوء، غادر مراد فى هدوء، ولكن كانت تعلم جيدا كم المعاناة التي يعانيتها مراد ويخفيها داخله...

* * *

مع عودة حازم للمنزل أصر على الجلوس مع والدته والتفاهم معها ومعرفة سر التغيير المفاجئ فى العلاقات بينه وبينها، خاصة أنه كان ذا مكانة مميزة.

ثم تحولت الأمور بينهما على النقيض، ولم يقتنع بكونها نائمة، لذلك فقد أصر على إيقاظها، فغادرته وهى تتمتم بعبارات الغضب وكلمات لم يفهمها حازم.

ورغم أن أمارات النوم لم تكن واضحة على وجهها، كما توقع حازم إلا أنها ادعت العكس...

لذا فقد قدم لها حازم اعتذارا خبيثا، بأنه لم يكن يعلم أنها لم تكن نائمة، ولكن ما يعلمه هو أنها تأبى هذه المواجهة منذ فترة، لذا فقد

جلست تستمع له على مضض، فتناولت إحدى سجاثرها وهي تنفث دخانها في وجهه، وأدرك حازم مدى انزعاجها فقرر أن يكون مباشرا...
- منذ أن كنت بالمستشفى وأنت تعامليني بجفاء شديد؟ أو من الممكن أن يكون قبل ذلك ولكنى لم ألاحظ ذلك إلا متأخرا، فهل لى أن أعرف سبب التغيير المفاجئ فى العلاقات بيننا؟

باغتت الصراحة الشديدة التى تحدث بها حازم دولت، لذا حرصت على عدم المراوغة والرد مباشرة على سؤاله...

- من المؤكد أننى أسأت تربيتكم إلى حد كبير، ولكن لكل شىء فى الدنيا خطوط حمراء، أليس كذلك؟

مال حازم برأسه للأمام وهو يقول بخبث...

- إذا كنت تودين أن تثيرى ذلك الأمر بينى وبين سارا، فإن كل ما يدور بخلدك ما هو إلا أضغاث أحلام، فأنا آخر شخص فى العالم يمكنه أن يؤذى عمر أو يجرح مشاعره..

اقتربت منه دولت بدورها، وقالت بخبث أشد..

- ما أدعيه ليس فيه مجال للشك، وإنما هى حقيقة، فقد رأيتها وهى تدخل إلى غرفتك فى نفس الليلة التى تم فيها نقلك إلى المستشفى..
انفعل حازم قائلا...

- إذا كنت بالفعل رأيتها لماذا إذن لم تمنعيها؟ فقد دخلت بالفعل إلى غرفتى، ولكن قبل أن أصل حتى إلى المنزل، لماذا إذن التزمتى الصمت؟

لماذا لم تدخلى وراءها كى تسألنيها عن سبب دخولها غرفتى؟

ردت دولت بهدوء...

- ولماذا أخرج نفسى؟ ألم تتفقا على ذلك من قبل؟ ومن الممكن والمؤكد

أنها لم تكن المرة الأولى التى تفعلها فيها ذلك؟

زم حازم شفتيه وهو ينهض من مكانه، قائلاً بألم حقيقي...
- لا، أخطأت في ذلك الاستنتاج يا دولت هانم، أقسم لك على أنه
لم يحدث شيء قبل تلك الليلة سوى محاولات يائسة من سارا، ولو كنت
أعلم أنها نصبت لي ذلك الفخ، لكنت فضلت النوم على الرصيف بدلا
من تكرار ما حدث..

عقدت دولت حاجبيها، قائلة في صرامة...
- هل تقسم على أن ليس لك يد في ما حدث؟ وأنها وحدها خطت
لكل ذلك؟

وضع حازم يده على كتفها وهو يقول...
- وأنت شاركت في هذا، لأنك لم تحذريني، كما أنك ظننت بي
السوء، ولكن للأسف سواء برضاك أو رغما عنك فأنت سوف تشاركين
في ذلك الإثم يا أمي...

تراجعت دولت وهي تسأل في ازدياء...
- وكيف تم اشتراكى في هذه اللعبة الصغيرة؟
ضحك حازم.. وقال بسخرية...

- لقد أخبرتك لأنك لم تحذريني من وجود سارا بالغرفة، ثم إنك
صامتة صمت القبور عما يفعله عمر مع كل امرأة تعمل بالمجموعة،
وأخيرا أُلست أنت من فضل إبقاء الأمور العائلية خارج نطاق الصفقات
والبيزنس.. والآن أنت تجنين ثمار ما اقترفته يداك وما جعلته ينمو
بداخلنا، ولا أعلم لماذا تدعى أنك تنتمين إلى الملائكة؟ وكأنك أتيت إلى
الأرض عن طريق الخطأ! رغم أنك بعيدة كل البعد عن الملائكة..
وأكمل وهو في طريقة إلى خارج الغرفة...

- أنا ضد مبدأ الخيانة فى كل الأحوال ، ولن أتزوج ما لم أكن متأكد من استطاعتى الالتزام تجاه امرأه واحده أم لا؟.. لأننى لا يمكننى ظلم إنسانه كل ما اقترفته هو أنها أحببتنى وأمنتى على روحها ونفسها ، كما أننى يجب أن أحافظ عليها كامرأة لها مشاعر وأحاسيس وكرامة ومن حقها أن تتواجد فى حياتى وقت الفرح.. ووقت الحزن.. لأن الزواج معناه شراكة بين الزوجين ، ومن هنا أتت المشاركة ووجب الحب والتراحم بين الإنسان والآخر، فما بالك بالرجل وزوجته؟

ذهلت دولت من آراء حازم فى الزواج والحياة، فلم تكن تتوقع منه تلك الكلمات.. كما توقعت منه أن يدافع عن نفسه، بدلا من الهجوم عليها وانتقادها، وسخريته منها ومن ضرورة استيقاظ هذا الضمير النائم طوال تلك السنوات.. خاصة وأنها هى التى تولت تربيتهما، وهى خير من يعرفهما، ويعرف أخلاقيتهما، فقد كانت هى من أنشأهما على الاستهتار بكل القيم الأخلاقية..

لذلك فقد دعتة يذهب دون مزيد من الجدل، لتكتفى بالصمت والنظر نحو الفراغ..

* * *

فى الآونة الأخيرة عانى أحمد من حالة نفسية سيئة ، فقد كان الجميع يتحاشى التحدث إليه ، ولازالت أزمة الطلاق تعصف بصلاح حتى الآن ، مما جعله يشعر بوحدة لا مثيل لها.

وعندما تعمد أن يحضر متأخرا عن مواعده المعتاد بساعتين ، وجد المكتب فارغا اللهم إلا من نادر الذى أشار له بيده علامة التحية..

ابتسم أحمد بسخرية وهو يقول...

- أشكرك ، كيف تخلصت منهم جميعا؟

ابتسم نادر وهو يقول بضعف كبير...
 - لم أفعل، هم الذين تخلفوا عن العمل وكأن اليوم عطلة رسمية!
 مروة تشرف على اللمسات الأخيرة في شركتها الجديدة، مى تشعر
 بصداق شديد، أما حازم وصلاح فلا أعلم عنهما شيئاً...
 وضع أحمد وجهه بين راحتيه وهو يقول بإرهاق تام...
 - وكأن حازم يأتي للعمل كل يوم؟
 وهنا رفع نادر وجهه، ونظر إليه متسائلاً...
 - ولكن صلاح، ألم يبلغك بأى شىء؟ إننى منذ أن عملت بهذه
 الشركة لم أره يتغيب يوماً واحداً!
 هز أحمد رأسه يمناً ويسرى علامة النفى.. قائلاً
 - أبدا.. لم يترك أى رسائل..
 وهنا دخلت بيرى للمكتب، وهى تفحص المكان بعينيهما، ولما لم تجد
 سواهما وجهت كلامها نحو نادر قائلة...
 - ألم يأت أحد اليوم للعمل؟
 زم نادر شفتيه علامة على عدم المعرفة...
 - ليس لدى أى فكرة، لقد كنا نتناقش معاً أنا وأحمد حول ذلك
 الفراغ الهائل الذى يحدث لأول مرة..
 همت بيرى بالرحيل حين استوقفها أحمد...
 - هل يمكننى أن أعرف على الأقل السبب فى ذلك التجاهل المتعمد؟
 نظرت بيرى نحوه نظرة مليئة بالحق والاشمئزاز وهى تقول...
 - أتعجب لجرأتك بعد أن استطعت أن تقلب كل الأمور رأساً على
 عقب، ألم تكن السبب وراء كل ما حدث وما يحدث؟ ووراء نبذ الجميع
 لى ودفعى لتقديم استقالتي أكثر من مرة؟

وكم كانت جريئة فى ذلك الهجوم، ولكن أحمد جمع شتات نفسه
سريعا وهو يقول مبتسما بغيظ يكاد يفتك به...

- من الذى أوحى لك بذلك؟ فهل أنا السبب أيضا فى غياب الجميع
عن العمل اليوم؟ أما بالنسبة لاستقالتك، فمن السخيف أن تقحمينى
فى هذا..

نظرت له بيرى بسخرية وهى تقول...

- أحمد، أنصحك بخلع رداء الحمل الوديع، لأنه ببساطة لا يليق
بك، أنتكر وتتبرأ الآن من ادعاءاتك وافترائك التى قضت على حياة
زوجية كاملة...

ضغط أحمد على أسنانه حتى كاد أن يسمع صريها.. وقال فى
سرعة بالغة...

- لقد دافعت عن نفسى مرة، وصلاح ليس طفلا يأخذ أوامره منى،
والتفت نحو نادر وكأنه ينشد المساندة.. أليس كذلك يا نادر؟

تلعثم نادر فلم يكن يتوقع دخوله فى ذلك النقاش، فقال بهدوء...

- يعلم الجميع أنك الطفل المدلل لصلاح، ولكن لا أعتقد أنه سينفصل
عن زوجته لمجرد أنك طلبت منه ذلك!

وهنا نظر أحمد لبيرى قائلا فى تحفز...

- ما هو تعليقك على تلك الكلمات؟

نظرت له بحدة وهى تغادر المكتب... قائلة:

- لا يسعنى سوى أن ألتمس لنادر عدم معرفته القوية بك وبدواخل
نفسك، وأؤكد لك أن الأيام ستثبت لك أننى على حق..

* * *

لم تتوقف بسمة باتصالاتها المتكررة، ورغم تأكدها من تواجد مراد بالعيادة ليلا ونهارا، إلا أنها كانت تتحدث خلسة للعامل في العيادة كي تطمئن عليه..

وأحيانا في لحظة يأس كانت ترسل إليه رسائل نصية على الهاتف المحمول أو البريد الإلكتروني.. لأنه ومنذ أن غادر المنزل من أسبوعين يأبى أن يتحدث إليها، وهي لا تعلم بعد الذنب الذى اقترفته؟ ولم تشأ أن يتدخل أحد فى تلك العلاقة بالغة الخصوصية بينها وزوجها، كما أنها ترى أنه لا يوجد ذنب فيما فعل.. ولكنها لم تستطع أن تمنع دموعها من الانهمار على وجهها الملائكى، عندما كانت تنظر إلى صورته..

وهنا اتخذت قرارا سريعا لم تدرك أبعاده بعد، فقد كانت تفكر ببراءة وسرعة الأطفال، كما أنها لم تكن تكثرث أبدا، أو تفكر فى العواقب.. لذلك فقد طلبت رقم العيادة، وطلبت من العامل ضرورة إبلاغه رسالة هامة، وأن عليه الحضور إلى المنزل بأقصى سرعة.. ورغم أن العامل أخبرها عن عدم تواجده بالعيادة، إلا أنها أصرت على أن يتم إبلاغه بالرسالة، وكيف لا وقد قررت أن تهدد بالتخلص نهائيا من حياتها!..

لذلك فقد كتبت رسالة تعترف فيها بانتحارها لعدم قدرتها وعجزها عن إسعاد زوجها الذى قالت عنه ووصفته بأنه (أوفى الرجال وأصدقهم)...

ولم يدرك بخلدها ولو للحظة أن لكل عقل هفواته، وأن العامل من الممكن أن ينسى إبلاغ مراد برسالتها الهامة، وبالتالي فقد تحول التهديد

إلى أمر واقع ، وقد تأكدت من عدم رده عليها أو حضوره إلى المنزل بسرعة فائقة ، أنه لا يرغب في رؤيتها بعد الآن... لذلك فإنها نفذت ما كانت تهدد به بالفعل...

وبيديها وبصمت قاتل وبدموع خاشعة وقلب يرجف ما بين الضلوع ، قطعت كل صلة لها بالحياة غير عابئة بمن سيشفى بعدها أو من يشقى لفراقها..

* * *

الصفاء الذهني والقدرة على التفكير الصحيح وراحة البال ، ملكات لا يستطيع أى منا الحصول عليها بسهولة ، لذلك فإننا نلجأ إلى الصلاة ، والتركيز بشدة فى الدعاء ، وذلك هو الحال فى كل ديانات العالم . لذلك نلوذ بمكان بعيد لا يمكن لأى شخص أن يصل إلينا فيه ، يمكننا فيه تصفية الروح من الشوائب المتمثلة فى الأحقاد والدوافع والرجوع إلى النفس...

ولأن البشر أنواع ، ولأن ليس كل الأنواع يفكرون نفس التفكير ، أو بتلك الطريقة ، ولأن ذلك يكون فى غاية الأهمية خاصة إذا كان ذلك الشخص بالفعل ذا معدن نقيس ، ومن أصل راق .

ولأن الرجوع إلى النفس فيه حل لكل القرارات الخاطئة التى تم اتخاذها ، كما أنها ليست بالجديد ، ولكنها عادة دائما ما حرص عليها فقط نوو الضمائر الحية . ولأنها دواء لكل ما لا دواء له ، إما عن طريق الصبر أو عن طريق النسيان - نعم - فإنك عندما تسترجع كافة محتويات عقلك ، ويحدث هذا التكسد الهائل من الأحداث ، ستجد الكثير من الأشياء التى ستلقى منك انشغالا تاما عما كان يؤرقك ، وستدرك حينها لماذا لجأت لهذه الجلسات الروحانية للحساب مع النفس؟

وهذا ما قررت صافى أن تقوم به ، أن تعتزل البشر ولو لفترة قصيرة من الزمن ، حيث كانت تعاني من ضغوط مستمرة من أسرتها حول ضرورة نسيان فكرة العودة إلى صلاح مرة أخرى ، وكيف استطاع هو أن يترك أثرا في نفسها ، وكاد أن يتسبب لها في عقدة نفسية .

لذلك فقد أغلقت هاتفها ، وقررت الابتعاد عن الجميع فترة من الزمن حتى تقيم حساباتها ، وتعيد ضبط نفسها مرة أخرى .

وشكل ذلك خلافا كبيرا ، فاختلفاؤها الفجائي كان كفيلا بأن يزلزل والديها ، كما أن بيرى كانت لا تعلم لها مكان ..

جن جنون الأم ، مع اختفاء ابنتها واختفاء بعض ملابسها وأغراضها .. ومع فقدان التوازن ، أحسست بشيء من الضياع ، ولم تعد تدرى إلى من تلجأ في ذلك الموقف الحرج ، خاصة وأن أقرب صديقة لها تقسم بأنها تجهل مكانها ..

ولكن بيرى وفي تفكير سريع ، ربطت بين سر تغييب صلاح غير العادى عن العمل وبين اختفاء صافى .. ولكن تفكيرها لم يسفر عن شيء خاصة عندما وجدت نفسها أمامه وجها لوجه ..

صدمها ذلك بعض الشيء ولكنها تماسكت وهى تسأله ببرود...

– لماذا كل ذلك التأخير؟

كاد صلاح أن ينفجر فى وجهها ، ولكنه تماك أعصابه وقال بهدوء

مستغفزا...

– أبلغى عنى الإدارة ، فأنا مدير مستهتر!

هزت كتفيتها وهى تقول بلا مبالاة...

– وما الجديد فى ذلك؟ فإن كل المهندسين هنا غير ملتزمين!

رمقها صلاح نظرة قاسية، وهو يقول...

- أليس لديك ما تفعليه؟

قالت بخبث وهى تلهو بالقلم بين يديها...

- لقد كنت فى مكتبى، ولكنى جئت كى أسأل الزملاء إذا ما كان

أحد على علم بمكان صافى، فقد اختفت صباح اليوم، ووالدتها تحاول

أن تعثر عليها أو تعلم مكانها، كما أنها فى غاية القلق عليها خاصة

وأنها أغلقت هاتفها المحمول وأخذت معها بعض أغراضها الشخصية...

قالت هذه الجملة، واستدارت كى تعود إلى مكتبها، وهى متأكدة أن

صلاح سينادى عليها ليعرف تفاصيل أكثر...

وبالفعل نادى عليها بمزيد من اللهفة والفضول، حتى يعرف تفاصيل

ما تحدثت عنه...

- هل تقولين إن صافى تركت منزلها واختفت؟ مع من؟ ومتى؟ وإلى

أين؟

هزت بيى رأسها وقالت فى براءة...

- صراحة ليس لدى إجابات على كل تلك الأسئلة؟ فوالدتها نفسها

لا تعرف إجابات عليها!

هاجمها صلاح بصوت عالٍ...

- ألسنت أنت رأس الأفعى؟ ألسنت العقل المدبر لها ولكل الدمار

والخراب الذى حدث؟

ومع صوت صلاح العالى، خرج الجميع من أماكنهم، وشعرت بيى

بإحراج لا مثيل له، أحست أن لحظة الحقيقة آن لها أن تأتى مع

صلاح..

لذلك فقد انطلق لسانها دون توقف وقالت فى اندفاع ...
- إذن فأنت ترى أننى السبب فى كل الكوارث التى حدثت لك،
ولكننى أرجو أن تكون صريحا معى وصادقا مع نفسك، وتجيب عن
تساؤلاتى بكل أمانة...

- لماذا تتجاهلنى وتهاجمنى دون أية قرائن؟ لماذا لا تريد أن تتناقش
معى سواء فى العمل أو حتى خارج نطاق العمل؟ لماذا تؤثر الابتعاد
عن أى حوار أنا طرف فيه؟ لماذا ترمقنى دائما بنظرات الاستهجان
والازدراء؟ ماذا الذى يدفعك إلى ذلك؟ ما الذى فعلته؟ ما الذى سمعته
عنى وجعلك تتخذ منى هذا الموقف؟ هل وجدت فى عملى أو سجلي
الوظيفى ما يجعل منى إنسانة سيئة وغير أهل للثقة؟
تعجب صلاح فى داخله من طلاقة لسانها، وكثرة أسئلتها، ونظر
إليها متسائلا..

- هل لديك المزيد من التساؤلات أم أنك اكتفيت؟
صمتت ببرى لبرهة من الوقت وأكملت...
- بل لدى بالفعل المزيد إن كنت ترغب؟
. أشار لها صلاح بيده علامة التوقف، وعدم الرغبة فى سماع المزيد،
وهز كتفيه وهو يقول بصوت خفيض...

- لماذا الآن؟ ألا ترين أن الظرف غير مناسب لكل تلك الأسئلة؟
هزت ببرى كتفها بدورها وهى تقول...
- أنت الذى هاجمت وعلا صوتك، كما أننى بحاجة ماسة لأعرف
ما هو مدى معرفتى بك؟ وما هى حدودى؟ لأنسى لا يمكننى تخيلك
شخصًا سيئًا، فأنت من داخلك إنسان نقى، وأحيانا ألح شبح الدموع
فى عينيك.. وهذه من علامات الشخصية السوية...

فالشخص الذى لا يندم على شىء، شخص مريض...
صدقنى يا صلاح...

رفع يده أمام وجهها مرة أخرى، وهو يقول بسخرية...
- ألا ترين أنى اكتفيت اليوم من حصة علم النفس...
نظرت إليه طويلا وشعر لوهلة أنها سوف تنقض عليه، وتهزه بعنف
وقوة من كتفيه، وتصرخ فى وجهه...

- أنا أعلم معاناتك لأنى مثلك تماما فريدة من نوعى، والمتفردون
دائما منبوذون، صدقنى يا صلاح أنا أكثر إنسانة يمكن أن تفهمك، حتى
أكثر من طبيبك النفسى البائس العاجز عن حل مشكلته..
ثم اكتفت بأن هزت رأسها وقالت بهدوء...

- معك حق، علينا الآن نبذ الخلاف وتكثيف الجهد للبحث عن
صافى، ألا يتواجد فى ذهنك أى مكان من الممكن أن تلجأ إليه؟ والدتها
تؤكد أن سيارتها غير موجودة، ومعنى ذلك أنها ذهبت لمكان تعرفه
جيدا..

رفع صلاح حاجبيه، وقد عاد لهدوئه...
- تفكير سليم، ولكن بخلاف منزل جديها وشاليه العين السخنة،
لا يوجد مكان آخر..
ابنسمت بيرى وقالت بحيوية...

- العين السخنة، لقد كانت تردد منذ مدة برغبتها فى استنشاق هواء
جديد، هل لديك رقم الهاتف الخاص بالشاليه؟
تجهم صلاح وهو يقول ببرود...
- ولكن الشاليه ليس به هاتف؟ إننا نستخدم هواتفنا المحمولة،
ولكن هناك طريقة أفضل..

سألته والفضول يكاد أن يقتلها...

- وما هي؟ بالله عليك...

جاء الدور على صلاح فى الابتسام وهو يقول...

- أنا أعلم هاتف الحارس على مجموعة الشاليهات جميعها...

صرخت فيه...

- وماذا تنتظر؟

وبالفعل قام صلاح بالاتصال، وأكد الحارس النتيجة التى توصلوا إليها، وعلى أثرها قامت ببرى على الفور بالاتصال بوالدة صافى وطمأنتها.

نظر الجميع إلى بعضهم براحة شديدة، ولكن صلاح ذهب إلى المصعد مرة أخرى وهو يقول..

- سأذهب إليها...

* * *

بدافع من الفضول ليس إلا، وبتفكير الرجل الشرقى ليس إلا، كان عمر يحب أن يكون على دراية كافية بكافة تحركات زوجته. ولأنها كانت تعلم ذلك، وتحاول دائما استفزاز عمر، وافتعال الأزمات والخلافات معه، لأنها تعلم بطبيعة الحال أنه لن يتمكن من التخلص منها بسهولة، لأن بتخلصه منها يعنى خسارته ملايين الدولارات، وذلك ما لم يكن يقبله عمر أو والدته مهما حدث. ومن هنا كانت تضغط عليه، لأنها تعلم أن المادة نقطة الضعف التى تؤله هو ووالدته، وعلى النقيض تماما كان سر إعجابها بحازم وهو عدم اكتراثه للمال والثروة والنفوذ، وإن كان لا يمانع فى وجودهم. وكانت هذه هى الأسباب الحقيقية وراء ازدياد سارا لعمر، ونفورهم من بعض..

وكان هذا هو سبب الاجتماع الذى طلبه حازم مع عمر فى شقة المعادى، ولم يخف عمر انزعاجه من السبب الطارئ الذى يجعل حازم يصر على مقابله فى الثالثة صباحاً...

وبالفعل بدأ حازم الحديث، حتى يتحكم فى مجريات الأمور، فسأل عمر فى شيء من الريبة...

– هل لاحظت فى الآونة الأخيرة بعض التغيير فى علاقتى مع ماما؟ لوى عمر شفتيه وهو يقول بسخرية...

– وما دخلى بذلك؟ ولماذا تسألنى أنا؟ ولا أذكر حتى متى آخر مرة اجتمعنا معاً.. وهل نحن هنا بصدد نقاش علاقتك بماما؟

نظر له حازم نظرة تدل على الخبث والمكر... قائلاً

– عمر، أنت لا تفترق عن أمك سواء بالمنزل أو فى المجموعة!

ألم تذكر لك أى شيء عن سبب نفورها منى؟

صمت عمر وكأنه يأخذ وقت للتفكير..

– ولماذا تظن أنها ستبوح لى بما يدور بينك وبينها، ألسنت ابنتها أنت الآخر؟

كان حازم يعلم داخل نفسه أن دولت لا تخفى شيئاً على عمر، وكان متيقناً من أنهما فى لحظة تصارع بينهما، قد تكون ألمحت له بما يعتمل داخل صدرها، لذلك فهو متأكد من أن عمر يراوغه، فقال فى هدوء...

– كنت أظنك قريباً منها، يكفى أنك ضحيت بسعادتك وتزوجت

دون رغبتك حتى توسع من رقعة امبراطوريتها الإقتصادية.

رفع عمر حاجبيه وهو يقول..

- فقط لمعلوماتك ، أن والدتك تكره سارا وتتمنى اختفاءها من الحياة أكثر من أى شخص آخر، فما بالك لو علمت بالطامة الكبرى؟
انتبه حازم للكلمة الأخيرة، وانتزعتنه من شروده وقال بتردد..
- ما هي الطامة الكبرى؟ هل حدثت أى خسائر بالعمل؟
غمز له عمر بعينه علامة النفي وهو يقول...
- لقد فاجأتني سارا بكونها حاملا، وهذا فى حد ذاته كارثة، لأننى متأكد من أننى لست والد ذلك الطفل..
تبدل الستررد لارتباك زائد، وحاول حازم أن يسيطر على أعصابه ويخفى عينيه من أمام عيني عمر، ويسأل فى صعوبة..
- ولماذا.. أليست زوجتك؟
ضحك عمر وهو يقول فى سخرية...
- زوجتى، دعنى أسألك هل سبق ورأيت أى كلب من كلاب الشوارع؟
أشار حازم بيديه إشارات غير مفهومة وهو يقول...
- نعم رأيت، لماذا؟
هز عمر رأسه مؤيدا.. بسخرية..
- لأنها لا تفرق شيئا عن تلك الكلاب، فهى لا تتقيد بأشخاص، كما أنها لم تترك أحدا إلا ولطخت اسمى وسمعتى معه.. وعندما واجهتها لم تنكر، بل اتهمتني أننى السبب لأننى المقصر فى حقها، ويجب أن يدفع أحد فاتورة هذا التقصير!
عليك أن تتخيل كم التبجح والانحلال؟
تراجع حازم فى مقعده بعض الشيء، وقال بهدوء..

- وهل اعترفت لك بهذه السهولة؟
 تجرع عمر كأس النبيذ فى يده وهو يقول...
 - هى لم تنكر، ثم إنها على علم بما أفعله من خلف ظهرها، ومن
 ثم أصبح اللعب بيننا على المكشوف، والآن تخبرنى بحملها وتريد منى
 أن أتقبل الأمر، وإلا ستفر عائدة إلى أمريكا..
 صمت حازم للحظة وأخذ يداعب الكأس بيده قائلاً فى برود...
 - ألم تقل منذ قليل إنك تتمنى التخلص منها؟ دعها ترحل مع
 لقيطها...
 هز عمر كتفيه، قائلاً فى بساطة...
 - ولماذا أفرط فى ملايين الدولارات؟ وأنا بإمكانى التخلص منها
 نهائياً، مع الاحتفاظ بالشراكة...
 انتفض حازم من النتيجة التى اهتدى لها عقل شقيقه، فقال فى
 فرع..
 - هل ستقتلها؟
 غمز عمر بعينه، كمن تدبر أمره جيداً، وقال فى خبث...
 - وفى أمريكا!!
 نفض حازم رأسه كى يستوعب ما يقول عمر...
 - هل ستقادر قريباً؟ وكيف ستجبرها على الرحيل؟
 وحاول حازم عبثاً إثناءه عن هذه الفكرة، فقال فى هدوء...
 - ستنتفك هذه الأسرة يا عمر.. لا يوجد جريمة كاملة...
 زم عمر شفتيه قائلاً فى انفعال...
 - أسرتنا من المستحيل أن تتفك يا حازم، ووجود سارا فيها لا
 يدل على ارتباطنا معاً، لقد أقنعتها بالفعل بضرورة السفر إلى الولايات

المتحدة، وذلك لإيجاد بعض البدائل للخامات التي تستخدم فى تصنيع الملابس، وهناك سوف يتولى بعض الرجال أمرها، وبذلك تختفى فى وطنها الأم وفى حضن والدها الحبيب، ما رأيك فى تفكير شقيقك؟
أصاب الرعب حازم وهو يقول بذهول...

- وكأنى أمام شخص لا أعرفه وأراه لأول مرة فى حياتى، نحن أشقاء يا عمر، هل عرفت لماذا أسألك الآن عن سبب بعدكم عنى؟ لقد اختلف تفكيرنا تماما، أنا حازم شقيقك هل تذكرنى؟ أنا من كنت تأمنه على أدق أسرارك، أنا من خضت معك كل معتركات حياتك.. لقد أصبحت أشعر بالعربة بينك أنت وأمى.. حتى وأنا بينكم أحس بغربة لا حدود لها، تراجع عمر فى مقعده و هو يقول فى برود...

- أنت من بدأ بالبعد يا حازم، أخذت طريقاً جديداً وانتابت عقلك أفكار جديدة سيطرت عليه... عمك به العديد من المشكلات التى لا حصر لها بسبب ذلك الشخص المتخلف الذى تدفع له آلاف فى نهاية كل شهر..

ومع ذلك يصر على افتعال المشاكل معك بكل صفاقة وتبجح، هل تستطيع أن تخبرنى ما الإجراء الذى اتخذته معه؟

طبعاً ولا شىء.. لماذا؟

لا أعلم ولا أجد مبرراً لذلك، هل هذا هو حازم أخى الذى كنا نتعجب من جرأته، ونضرب به المثل فى الحيوية والمثابرة والمغامرة؟
ما الذى غيرك؟

نحن نعيش أزهى فترات عمرنا، رصيدك يتضاعف بالبنك كل لحظة وأنت لم تغادر غرفتك بعد.

ما الذى يؤرقك؟ افتح لى قلبك ، أنا شقيقك ، وتأكد من أننى قادر على وضعك على الطريق الصحيح!

لوى حازم شفتيه وهو يقول بسخرية...
- أنت يا عمر! إنك أضعف من أن تضع طفلاً صغيراً على الطريق الصحيح، فما بالك بشخص ناضج، لقد فكرت وخططت للتخلص من زوجتك بدون وازع من ضمير. أنا لا أنكر أنها مخطئة فى كل تصرفاتها، وتستحق العقاب، ولكن... ليكن الطلاق أوالرحيل أو.. أى حل آخر، ولكن ما فكرت به كان شيئاً بشعاً...

وضع عمر ساقاً فوق ساق وهو يقول فى برود أعصاب...
- حازم، ما فكرت فيه ليس له علاقة فقط بالمجموعة، ولكن بسبب ما عرضتني له من فضائح..

نظر له حازم بتحدٍ وهو يقول...
- أنت تريد أن تبرر ما تنوى القيام به لا أكثر، تريد أن تحلله بأى شكل، ولا شأن للغيرة أو الرجولة فى الأمر..

للأسف يا عمر الزواج ليس كالعلاقات المتكررة، أو نزوة من النزوات مع امرأة جميلة تنتهى بمجرد انتهائك منها، فهو ليس قاصراً على غرف النوم...

تتحدث عن الرصيد فى البنوك، هل تسمح لى أن أسألك من سيحصد كل هذه الأرصدة فيما بعد؟

أجابه عمر وقد بدا عليه الانزعاج من طريقة تفكيره...
- لماذا كل هذه السوداوية فى التفكير؟ فإننى بالفعل عازم على الزواج وإنجاب أطفال، ولكن بعد أن أنتهى من سارا تماماً...
نظر له حازم بتحفز، وقال فى اهتمام...

- أحقا ما تقول؟ هل تنوى التخلص منها وقتلها؟
اعتدل عمر في مجلسه، وقال بتحدٍ..
- لقد حجزت لها تذكرة الطائرة، ولا تجعلنى أندم أننى أخبرتك
شيئا..

سأل حازم بدافع الفضول...
- هل والدتك على علم بما سيحدث؟
رد عمر بلا مبالاة...
- لا، ولكنها ستسعد بالخير على أية حال..
لم يحتفل حازم الضغط أكثر من ذلك فقال وهو يغادر المكان...
- أنا أشعر بالاختناق، هل ستبقى هنا؟
أجاب عمر وهو يصب كأسا جديدا...
- أجل سأبقى هنا، ألن تبقى معى؟
هز حازم رأسه علامة الموافقة، وقال فى هدوء..
- ولكن على أن تغير هذا الموضوع كليا..
ضحك عمر من قلبه، وهو يقول بصوت عال..
- رأيك هذا يؤكد أننا أشقاء يا حازم..

* * *

كانت مى فى حالة انقباض غريبية لم تشعر بها من قبل، منذ
استيقاظها من النوم، وعندما نظرت فى الساعة وجدها السادسة
والنصف صباحا.

ولكن وعلى الرغم من الوقت، فقد سمعت بعض الأصوات خارج
غرفتها، وخرجت لتجد جدتها كالعادة تقرأ القرآن فى شمس الصباح،
والأم تطالع بعض الصحف والفتور معد مع القهوة..

تناولت قهوتها، وارتمت داخل صدر أمها وهى تحاول أن تبتئس لها همومها.. ولكن أية هموم؟ فكل ما كانت تشعر به هو مجرد شعور بالانقباض..

ذهبت كى تستعد للذهاب إلى العمل، ولكنها تعثرت بطرف السجادة التى تعطى أرض الغرفة، لتجد نفسها تتشبث عبثا بأى شىء، لترطم يدها بقطعة من الأثاث تنقذها من السقوط أرضا، ولكن ما أرقها هو تحطم خاتم خطبتها الذى طالما أعجبها، وكانت حريصة عليه..

ولأن مى ممن يتفاءلون ويتشاءمون شأنها فى ذلك شأن كافة المصريين، فقد ظلت مكانها وأخذت تبكى، وتشرح لوالدتها سر انقباض صدرها منذ أذان الفجر...

ضحكت الجدة وحاولت عبثا إثناء مى عن تلك الفكرة الغبية، أما الأم فقد كانت تميل بنسبة كبيرة إلى ما تشعر به مى، ولكنها بالفعل كانت تشعر بالقلق من تلك الخطوبة، وعدم ارتياح تجاه مشاعر يوسف، وتوقعت منه أن يحاول التملص من تلك الخطبة، ولكنه لم يكن يملك الشجاعة الكافية.

وفى الوقت الذى تتمسك فيه مى بتلك العلاقة، كان يوسف يخبر حازم أنه بصدد الانفصال عن مى، والارتباط بأخرى فرنسية تعمل فى مجال البورصة...

لم يعط الفرصة لحازم كى يستوعب الأمر، أو حتى يفكر فيه، فقد أخذ القرار، ولكن حازم قال منفعلا...

- ألم تكن تحب تلك الفتاة؟ وتراها أروع نساء الأرض، فقط تكتفى بأن تخبرنى للعلم ليس إلا؟

صمت يوسف لحظة، ثم قال فى تردد...

- بلى، هى أروع نساء الأرض، ولكنى أنا الذى لا يستحقها...

ضحك حازم بسخرية وهو يقول..

- إذن.. فلماذا تفسخ الخطبة إذا كانت العروس أكثر من مناسبة؟

فهم يوسف ما يحاول حازم أن يصل للحقيقة به، فقال بهدوء...

- حازم، باختصار شديد لا يمكننى التواصل مع مى لأن بها الكثير

من النقاط التى أعجز أحيانا عن فهمها، فأنا معها دائما على حافة

الخطأ، ويجب أن أكون حريصاً فى استخدام يدي ولسانى وعيني، وأنا

لا يمكننى ذلك..

فهى مهذبة بشكل خائق، هادئة لدرجة الجمود، وديعة لدرجة

الملل، رومانسية لدرجة السذاجة، باختصار تشعرنى وأنا معها بأنى

غير كامل، وطول الوقت لديها ما يجعلها مؤرقة من جهتى، ومتوجسة

منى خيفة..

وجاء الدور على حازم كى يلتزم الصمت، ويقول فى رفق...

- كل ما أتمناه لك هو السعادة، أما بالنسبة لى.. فأنا كنت أراها

أكثر من مناسبة، لأنها من وسط راق، وما ينفرك منها ما هى إلا مميزات

لا تجدها فى كثير ممن حولك..

وأخيرا تمنى له يوسف ليلة سعيدة، وهم بإنهاء المكالمة، ولكن حازم

صرخ قائلاً...

- لا تخبرها بقرار الانفصال عبر الهاتف، أرجوك يا يوسف..

فهم ما يعنيه حازم، وأنهى المكالمة فى سكون..

* * *

فى أيام كثيرة يستيقظ المرء ويجد فى نفسه موجات متدافعة من الغضب من الممكن أن تقوده للجنون أحياناً، وأحياناً ذلك اليأس الذى يكبل قلوبنا وعقولنا ولا نملك القدرة على التفكير ولا نجد لها سبيلاً بسببه.

وعلى النقيض من الممكن أن نستيقظ ونحن لدينا القدرة على امتلاك الدنيا كلها بين ذراعينا من فرط الحماس والتفاؤل والسعادة، وهناك تلك الحالة التى وجد مراد نفسه عليها هذا الصباح حيث استيقظ ووجد أنه لا يقوى أو يرغب فى القيام بأى شىء.

لا عمل ولا أبحاث ولا مزيد من الخلافات الزوجية الخائفة ولا مرضى ولا استماع للأوجاع، فقد كانت تكفيه أوجاعه، ووجد روحه لديها رغبة قوية فى البكاء...

لذلك وكأى رد فعل طبيعى لتلك الحالة، قرر مراد أن يستأنف حالة الكسل التى هو عليها، ولكن مع دخول عامل العيادة فجأة دون حتى أن يستأذن، أصابه بالفرع، خاصة وأن موعد حضوره للعيادة لم يحن بعد، فاعتذر العامل وقال فى سرعة غريبة..

– إننى أعتذر يا دكتور، ولكن زوجتك تعودت منذ فترة أن تتصل بى كى تسأل عليك وعلى صحة حضرتك وأخبارك، ولكنها دائماً ما كانت ترفض أن أخبرك بتلك الاتصالات...

ولكنها اتصلت بالأمس صباحاً، ولكن ليس للاطمئنان عليك، وإنما لتخبرك أن تأتى للمنزل مسرعاً لأن شيئاً هاماً سيحدث...

ولكننى فى غفلة، وأقسم على ذلك، نسيت تماماً أن أخبرك بشأن تلك المكالمات، ولقد حاولت الاتصال بك طوال الليل، ولكنك تفصل هاتف العيادة، كما أنك تغلق هاتفك الشخصى..

ولذلك فقد أسرعنا إلى هنا فور استيقاظي من النوم..
لم يكن مراد بعد سماع كل ذلك بحاجة للمزيد من النوم، فقد جفاه
النوم تلقائياً، ووجد نفسه لا شعوريا يفكر في بسملة، ورأسه يطن
بملايين التساؤلات..

وذلك لأن الأمر وبكل بساطة عندما يتعلق ببسملة، يكون غير مأمون
العواقب، ماذا لو تركت المنزل بالفعل في رد فعل جرىء تعلن فيه عن
غضبها واعتراضها عليه لسوء معاملته لها...

ولكن شيئاً أقلقه فيما نقله العامل إليه، جعل كلامه لا يندثر بالخير
أبداً، قلبه وإحساسه ينبئه أن ثمة خطأ قد وقع وسيتحمل هو وحده
نتيجة ذلك الخطأ.

فقد كان بابتعاده يريد أن يمنحها مساحة من الوقت للتفكير وتغيير
نمط الحياة التي تعيشها..

كان يعلم جيداً أنه بهذا التصرف يضغط على أعصابها، ويحطمها
تماماً، فإنها لا يمكن أن تتخيل يوماً واحدا يمر دون أن تراه أو تسمع
صوته..

كل تلك الأفكار دارت في رأسه، وهو في طريقه إلى المنزل، ولم ينجح
قط في تهدئة أعصابه أو إقصاء الأفكار السوداء عن مخيلته.

ومرت عليه لحظة تذكر فيها كم كان قاسياً عليها ودائم الانتقاد
لها حتى عندما كانت تحاول أن ترضيه بكل السبل، وترجو محبته،
والقرب منه..

وأخيراً وصل للمنزل، وأول ما تبادل لذهنه هو سؤال حارس العقار
عليها، على أمل أنها غادرت المنزل.

ولكنه أكد له أنها لم تغادر الشقة منذ يومين ، كما أنها لم تكن تطلب منه شيئاً يذكر في الفترة الماضية..

كاد قلب مراد أن يتوقف عن الخفقان عندما توقف المصعد أمام الشقة ، وأسرع إلى الباب وهو يردد عشرات الآيات القرآنية..
تفاجأ مراد بخطاب ترك بعناية في صحن المفاتيح ، احتفظ به في يده ، وأخذ ينادى على بسمة بصوت عال ، ويبحث عنها في كافة أنحاء الشقة.

وكل ما يتمناه داخل قلبه ، أن تكون بسمة غادرت البناية دون أن يلاحظها حارس العقار...

حتى وجدها نائمة في هدوء على أرضية غرفة النوم ، أسرع إليها كي يوقظها ، ولكنه وجد جسدها بارد كالتلج ، ووجهها أزرق شاحب .
ولكن قلبه كاد أن يتوقف حين رأى يدها اليسرى غارقة في بقعة من الدماء على السجادة ، رفع يدها حتى ينظر عن كثب ، وبالفعل وجد جرحاً صغيراً موضع الوريد في معصم اليد ، ولكنه ليس غائراً .
حاول العثور على أى نبض ، ولكن كل محاولاته ذهبت سدى ، فقد مر العديد من الساعات ، وظلت تنزف حتى الموت...

أخذ يهزها وينادى باسمها مرات ومرات ، ولكن دون جدوى ، أمسك بالخطاب وبدأ قراءته وهو يرتعش من فرط الغضب والألم والحزن والصدمة...

وما لبث في قراءته حتى بدأت الدموع تتهاوى من عينيه ، فلم يكن الخطاب سوى رسالة حب أخيرة ، تضمنت دموعها وعشقها واشتياقها له ، فقد بدأت الرسالة بقولها...

(كنت أعلم من البداية أنني لا أناسبك، ولا توجد في ذلك العالم بأسره امرأة تناسبك، ولكنك عندما فكرت في كزوجة لك لم تكن تعلم أنك تهبنى بعدا آخر من الخيال كي أستأثر به وحدي.
فلا أحد يفكر كما تفكر أنت، أو يتحدث كما تتحدث أنت، أو يقرأ كما تقرأ أنت، أو يحب كما تحب أنت.

أعلم أنك تريدني أن أتغير وأصبح بشكل ما إيجابية في ردود أفعالي، وتصرفاتي، ولكنني أقسم لك أن ذلك يحدث رغما عني، ولا أجد سبيلا لنفسى أمامك، فأنا أحبك.. هل تسمعني أحبك...

سوف أنتظر عودتك مسرعا كي تنقذ روحي كعادتك، إنه جرح صغير وسوف تلحق بي.. في انتظارك... زوجتك المحبة المخلصة، بسمه).

أطلق صرخة من حنجرتي أفرغ فيها جام غضبه وحزنه وألمه من جرائ فعلتها وفقدانها حياتها؛ لم يدرك ما الذي يجب عليه أن يفعله أولا، فقد توقف عقله عن العمل، ولكنه وجد نفسه رغما عنه يرقد جوارها ويمسك يدها الصغيرة ليضعها على صدره دون التفكير أو الرجوع لأي أمر آخر..

* * *

انتهى حازم من مراجعة الميزانية السنوية الخاصة بالمجموعة، بدلا من عمر الذي كان منشغلا ببعض الأعمال الأخرى.

ولظروف دولتي التي تعاني من نزلة برد، لم تتمكن من الحضور إلى مقر المجموعة كي تسانده في ما هو بصدد، ولكن من أنت هي سارا.. كانت تود لو تتمكن من التحدث إليه، خاصة بعد أن ظل يهرب منها طوال شهر مضى، وتحديدًا بعد مغادرته للمستشفى مباشرة.

ولم يكن حازم يرغب في تلك المواجهة، خشية التوتر والشعور بالذنب نتيجة الخطة التي أخبره بها عمر مؤخرا، لذلك كان يهرب دائما منها.

وقد تفاجأ بها تخبره أنها لا تريد السفر إلى أمريكا، وأن عمر هو الذى يصر على ذلك المشروع، كما أنها فى الشهر الأول من الحمل، ومن الخطر عليها ركوب الطائرة.

وقد عاتبته لأنه لم يهنئها على الطفل، وارتبك بالفعل، وضاع تركيزه أمام هذا الضغط، وما أن شعرت بذلك الارتباك حتى قالت بخبت... - أوتدرى نبأ حملى؟

حاول حازم أن يركز فى بعض الأرقام، ولكنه لم يتمكن فأجاب بغير اهتمام..

- بلى، لقد أخبرتنى والدتى وعمر نفسه..

ضحكت سارا ضحكة ذات مغزى، وقالت بهدوء... - ولكنك لا تعلم أن عمر لا علاقة له بهذا الطفل..

رفع حازم عينيه بحركة مفاجئة، ونظر لها نظرة مليئة بالاضطراب، ونقل عينه بينها وبين باب المكتب، ثم تحرك مسرعا فأغلق الباب وقال فى برود...

- ماذا تقولين؟ هل تحاولين أن تخبرينى أن هذا الطفل ابنى أنا؟

أمنت سارا على ما قاله بسخرية شديدة وهى تقول... - وهل من الممكن أن يكون ابناً لأحد غيرك؟

وهنا لم يستطع حازم أن يتمالك أعصابه، وانفجر فى وجه سارا صارخاً...

- على الرغم من أن عمر اعترف لى أن ذلك الطفل لا يمت له بصلة، إلا أنسى أنا أيضاً لا أمت له بصلة، لأن حسب كلام زوجك فإن لك العديد من العلاقات الخاصة، لذلك فأنا لم أكن الرجل الوحيد بحياتك..

وضعت سارا ساقا فوق ساق وهى تقول فى برود...
- ولكنك ضعفت أمام ما كنت تراه مستحيلا من قبل، والتجربة
أثبتت أنك لا تختلف عنى أو عن عمر..

وتخليت عن دينك وشهامتك وقمت بخيانة أخيك، لذا سوف نترك
موضوع الأبوة لوقت لاحق، لأن الحمض النووى سوف يحدد من هو
الوالد الحقيقى له..

رمقها حازم بنظرة اشمئزاز وهو يقول...
- ولماذا تعيدين على مسامعى شيئا بالفعل أنا أعرفه؟ هل تهددينى
بشيء ما؟

أطرقت سارا برأسها، ثم رفعتها فى جرأة وهى تقول...
- على الأقل لن تجرؤ على رفضى بعد اليوم، وأنت تعلم لماذا؟
نهض حازم من مكانه، وأوشك على مهاجمتها وقال فى قسوة...
- إذا كنت تحاولين ابتزازى بتلك الطريقة القذرة فإنك مخطئة،
فلا يهمنى حتى لو أعلنتها للعالم كله..
دهشت سارا لجرأته، وقالت بهدوء..

- إذن فأنت لا تخشى أن يعلم عمر أو دولت هانم ما حدث بيننا..
ازدرد حازم لعابه وقال فى صمود...
- لا، لا يعنينى شيء فى ذلك..

غادر المكتب حتى ترحل بهدوء، ولا تتمكن من البقاء بعد ذلك، فقد
كانت كلماتها تحرقه حرقا، ومن ثم عاد فجأة للمكتب ليجدها لا زالت
جالسة فقال فى قوة و يده لازالت ممسكة بمقبض الباب...

- اعلمى جيدا، أن لو بحياتى شيء أندم عليه، فتلك الليلة وما حدث
فيها هو هذا الشيء، إنها النقطة السوداء الوحيدة..

غادر المكتب نهائيا هذه المرة، وطلب رقم عمر وهو فى قمة الغضب،
وقال فى طريقة آلية... .

- أنا معك، سوف نتخلص منها معا، لقد أصبحت تهدد بالفضيحة
الآن بشكل علنى.

أتاه صوت عمر ضاحكا من الجانب الآخر و هو يقول..

- ممتاز، لتقابل الليلة فى الشقة ورتب لكل التفاصيل الدقيقة..

* * *

جلست مروة مع داليا ابنة عمها تقنعها بضرورة موافقتها على
العريس الذى تقدم لخطبتها، ولكن داليا أصرت على الرفض دون إبداء
أسباب، رغم موافقة الجميع..

وعبثا حاولت مروة إخماد ثورتها، وأن إصرار عمها نابع من
خوفه عليها لا أكثر، وأنه يراه شخصا ممتازا لا غبار عليه، ومستقبله
مضمون، ولذلك فقد صرخت مروة... .

- فماذا تنتظرين أكثر من ذلك؟

ونهنهت داليا، وهى تردد نفس الجملة منذ ساعات..

- إنه ليس الشخص الذى أحلم به!

وهنا انفعلت مروة بشدة، وصرخت بعنف..

- إنك بالفعل طفلة ومدللة، ولن تجدى أبدا شخصا يناسب أحلامك،

فلا يوجد رجل حسب الطلب، لا هنا ولا فى أى مكان فى العالم... .

ارتمت داليا بين ذراعى مروة وهى تقول بانهييار... .

- بل يوجد، ألم تتزوجى أنت بمن حلمت به؟

اندهشت مروة مما قالت داليا، فقالت مستنكرة..

– أنا؟ وهل تعلمين إن كنت سعيدة مع نادر أم لا؟ فالحب غالباً ما يجعلك عمياء عن بعض التفاصيل الهامة، فهو شخص غامض معظم الوقت..

ولا أدري ما الذى أصابه مؤخراً، فحياتنا ليست نموذجاً يحتذى به، هذا ما أود أن أخبرك به، إن كان هذا يغير من الأمر شيئاً لديك أويصنع فارقاً لديك...

فى تلك اللحظة علت بعض الطرقات، وكان نادر هو من الباب، وكانت مفاجأة بالنسبة لهما...

وارتبكت مروة، ولم تدر بماذا تجيب، وابتسمت داليا وسمحت له بالدخول، وبادرته مروة فى مرح وبنبرة تنم عن الشكوى...

– داليا معترضة على هذا العريس أيضاً يا نادر، أليس الأمر مضحكاً؟ رفع نادر حاجبيه فى دهشة قائلاً بمرح...

– ولماذا يبدو الأمر مضحكاً؟ أبسط حق لها أن تختار من ستكمل معه حياتها، أليست جميلة؟ وقلما وجد مثلها!

وضعت مروة يديها على وجهها بيأس، وهى تقول..

– نادر، أرجوك لا تشجعها على ذلك من فضلك، فمن المفروض أنك هنا للمساعدة وليس العكس، أبى فى ثورة عارمة هذه المرة، ويريد جواباً قاطعاً عن سبب الرفض.

هز نادر كتفيه وهو يقول فى استسلام...

– لا يا زوجتى العزيزة، أنا هنا كى أساند الحق، ثم إن والدك هدأ وذهب للمعرض وقرر أن يترك الأمر بين يدي، كما ذهب معه شادى. والآن.. هلا تركتنا بمفردنا بعض الوقت فقد وعدت والدك بأننا سوف نتناول العشاء معهم اليوم.

وأريد فنجانا من القهوة بعد المجهود الذى بذلته مع والدك، أليس كذلك؟

نظرت مروة إليه طويلا، وخرجت وهى تردد بصوت منخفض...
- سأتى بالقهوة، ولكن عليك أن تأتى بنتيجة ما!
وهنا نظر إليها نادر وابتسم ابتسامة ساحرة، والتفت ناحية داليا ليقول فى هدوء...

- هل رأيت ما أصبحنا عليه؟
تظاهرت داليا بالبراءة وهى تقول..
- ما الذى حدث بينكما وجعل الأمور تصل إلى هذا الحد؟
أمسك نادر عن الكلام برهة، ثم استرسل فى انفعال..
- أنا لا أدرى ما الذنب الذى اقترفته حتى تصل الأمور بيننا إلى ذلك؟ ولكن دعينا لا نذهب بعيدا عنك أنت..
أنا هنا لتنفيذ مهمة محددة، وهى معرفة السبب وراء رفضك لهؤلاء الرجال..

تململت داليا وهى تقول..
- هل يمكنك أن ترتبط بشخص لم تعرفه، أو حتى تحبه من قبل؟
هذا بالضبط ما سوف يحدث لى..

اعتدل نادر فى مجلسه، وهو يقول فى روية...
- أحيانا يكون من المفضل أن ترتبط بأناس لم نعرفهم من قبل،
وحبذا لو كان كل واحد فى حياة الآخر صفحة بيضاء، يكتب كل منهم ما يريد أن يكتبه، ويمحو ما يريد أن يمحوه.. صدقيني قد يكون هذا أفضل للطرفين.

اقتربت داليا من نادر بطريقة نسبية، وقالت فى خفوت...
 - ولكنك لست ممن يؤمنون بذلك، ألسنت كذلك؟
 ضاقت حدقتا عينيه وهو يقول فى خفوت مماثل...
 - بلى، أنا منهم أو بالأحرى أصبحت منهم...
 تراجعت داليا فى اندهاش، وقالت مستنكرة..
 - كيف؟ ألم تتزوج مروة بعد قصة حب طويلة؟
 زم نادر شفتيه، وقال فى تأفف...
 - ما كل ما يتمناه المرء يدركه، تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن..
 هل فهمت بيت القصيد يا داليا، أليس كذلك؟
 ورغم ما بدا على ملامحها من براءة، فإن صوتها كان به الكثير من
 الخبث وهى تقول...
 - فهمت أنك لست سعيدا مع مروة، هل ما فهمته صحيح؟
 ابتسم نادر بسخرية، قائلا فى مرارة...
 - لا، لقد أردت أن أقول إننا نتمنى فى أنفسنا أشياء، ولكن ما
 تخبئه لنا الأيام شىء آخر، ليس له علاقة بأمانينا...
 هل فهمتني هذه المرة؟
 وفى تلك اللحظة كانت مروة تقف بالباب، واستمعت لما قال نادر
 بصمت تام، ولكنها انتبهت لصوت قادم، فاضطرت أن تدخل الغرفة
 وداليا تقول...
 - نعم، ولكن ليس بشكل واضح، وسوف أخصك بسر لم أطلع...
 وقطعت جملتها لدخول مروة المفاجئ...
 فأشارت لها مروة إشارة ذات مغزى كى تحثها على استكمال
 الحوار...

ولكن نادر بدوره نظر لها نظرة دليل على الرفض، وأصر على خروج مروة من الغرفة مرة أخرى..

وقد أطاعته وهي تستشيط غضبا، وتتساءل.. ولكنه أمرها بأن تساعد والدتها فى إعداد العشاء، لأنه يرغب فى استكمال الحديث مع داليا على انفراد.

وعلى الرغم من تأكد مروة من حب نادر لها، وثقتها الكاملة فيه، إلا أنها أحست بانقباض يعترضها عصرا...

وبعد أن أغلقت الباب نظر نادر لداليا يستحثها على اكمال ما بدأت... فبادرته داليا بسؤاله...

- نادر هل تعدنى أن لا تبوح لأحد بهذا الكلام مهما حدث، فأنا لا أبوح بمكنونات صدرى لأحد كل يوم..

اقترب منها نادر، وهو يقول بهدوء...

- أقسم أن لا يغادر ما تقولين هذه الغرفة. وهنا ذرفت عيناها ببعض الدموع، وقالت بألم..

- أننى لا أملك من أمرى شيئا، فقلبنى يسيرنى رغما عنى..

وفى تصرف شديد الجرأة منه، مد يده ومسح الدموع التى تنساب فوق وجنتيها، فانكشيت كالفراشة تحت الماء، وقالت بارتعاش..

- رغم الحب الذى حظيت به فى هذا البيت إلا أننى أشعر دائما أننى لست المفضلة وليس لدى الحق فى الاختيار، أنا لم أختار شيئا فى حياتى كلها ملبسى، أصدقائى، طعامى، دراستى... وحتى الشخص الذى سوف أرتبط به لآخر عمرى لن يكون من اختيارى، هل توجد مأساة من وجهة نظرك أكثر من ذلك؟

تراجع نادر فى مجلسه وهو يقول بتعقل...

- أنا لم أكن أعلم أن بداخلك كل ذلك القدر من الحرمان، وفى نفس الوقت لا أجد ما يبرر عدم اعتراضك على كل شىء فى حينه.. لماذا تعترضى على كل تلك الأشياء فى وقت واحد؟

ما لا تعرفينه يا داليا أن الشخص عندما يرضى رغما عنه مرة دون أن يعترض يظل مرغما طول عمره، ولا يسمع صوته أحد مهما صرخ، هل تعلمين لماذا؟ لأنه كان لديه حق الاعتراض فى البداية، وهو الذى تغاضى وفرط فى ذلك الحق برغبته، وبملاء إرادته. ولا يمكنه أن يلوم أحداً إلا نفسه، أنت الآن تريدين أن تحاسبى الجميع بأثر رجعى عن أخطاء ارتكبت فى حقك من قبل، وهذا عمليا ليس من حقك..

تراجعت داليا بعض الشىء، وكأنها تعاني صدمة ما..
- ليس من حقى!

هز نادر رأسه مؤكدا على ما سبق أن قال...

- نعم، ليس من حقك ولا بإمكانك أيضا، فمن تعود على فعل شىء يظل على الدوام يفعلُه دون إدراك منه بالفطرة والسليقة.. هل تعلمين هذا؟

زمرت داليا وكأنها طفلة تتحدث بىأس...

- نادر، أنا بالفعل لا أريد أن أتزوج هذا الشخص، هلا تكرمت وأبلغتهم بذلك.

وهنا ابتسم نادر بخبث قائلاً...

- ترفضين، فقط من أجل الرفض.. أم أنك غير مقتنعة به؟

صمتت قليلا ثم قالت بلا مبالاة...

- كلاهما ...

تحولت نظرة الخبيث فى عينى نادر إلى شىء من الحنان وهو يقول...

- هذا غير عادل بحقك فأنت تستحقين أكثر من ذلك ، فأنا وبحكم

صلة القرابة التى تربطنا معا ، أستطيع أن أؤكد لك أن فى شخصيتك

جانبا مميّزا للغاية فى الإحساس والكلام والخلق..

لماذا إذن هذه القسوة على نفسك؟ أنتِ تستحقين أكثر من ذلك،

أقسم لك..

نظرت له داليا نظرة حاوية ، وهمت بأن تقول شيئا ، ولكن صوت

مروة أتى ينبئهما بأن العشاء على المائدة...

فأمسك نادر بيدها ، وأصر أن تخرج من غرفتها التى كانت تأبى أن

تغادرها ، كما أصر أن تتناول معه طعام العشاء.. ومازحها قائلا...

- أنا لا أحضر كى أتناول العشاء معك كل يوم.. ثم وعدها بأن

يستكملا حديثهما فى وقت لاحق سواء فى المنزل أو خارجه..

وهنا تأملته داليا وهى تقول..

- هل تعدنى بذلك؟

رد عليها نادر وهو يبتسم..

- أعدك ...

* * *

رغم اتزان العقل ، وضبط النفس ، إلا أننا أحيانا ما ننجرف وراء ما

تأخذنا إليه مشاعرنا دون وعى منا ، ولذلك عواقب وخيمة.

وقد كان صلاح قدر المستطاع يحاول السيطرة على أعصابه ومشاعره

فى الفترة الأخيرة ، ولكن محاولاته غالبا ما كانت تبوء بالفشل..

الأمر الذى جعل الجميع يتفادى الجدل معه أو حتى إبداء الرأى حول شىء ما فى العمل، ولكن ببرى وقعت فى المحذور كعادتها، فهى كما قالت من قبل... من نفس النوع الذى ينتمى إليه صلاح.. ومنذ واقعة العين السخنة، كان مزاجه دائما عكرا ونكداء، لاسيما اليوم، فقد نهرها بشكل حاد وقاس لمجرد أنها دخلت تعرض عليه بعض المقترحات فى تصميم خاص بها..

ثم انهار عليها بنفس وابل التعنيف عن دمار حياته الزوجية بينه وبين زوجته منذ اليوم الذى تدخلت فيه بينهما... ولأنها كانت قد اعتادت على مثل هذه الموجات الهجومية من صلاح، فقد كان يكتنفها السكون عادة وتؤثر مبدأ عدم الحرث فى الماء كما كانت تقول له، وأحيانا كانت تراودها نوبات هستيرية من الضحك، ولكنها كانت تتماسك بصعوبة...

ولكن فى هذه المرة أحسست بالظلم لأنها لم يكن لها دخل فيما حدث، ولذلك فقد قامت باستجماع قواها، وتوجهت نحوه مباشرة وهى تنوى إنهاء تلك المواجهة المؤجلة بينهما عن طريق حسم تلك الجولة لصالحها...

لذلك فقد شحذت سلاح عقلها وتقدمت بكل شجاعة قائلة بسلاسة وترتيب...

- صلاح، منذ أن أتيت لهذا المكان وأنت تعتبرنى نكرة لا قيمة لها، مكتفيا بالحكم على شخصى من خلال ملابسى وتعاملى مع الآخرين... وعلى الرغم من أنك لا تعرفنى جيدا، ولم يسبق لنا أن تعاملنا معا بشكل مباشر مما يدعم رأيك، ويجعلك تحسن الحكم على..

وحاول صلاح أن يتكلم، ولكنها أسكته بإشارة من يدها وهي تصرخ في وجهه مستكلمة، أنا أسمعك في كل مرة للنهاية، والآن دورك أنت كى تسمعنى..

واصلت وكأنها قهرت وحشا في مهده، وقد خفقت نيرة صراخها بعض الشىء...

- أنا لم أدمر حياتك الزوجية، بل أنت فعلت ذلك منذ أن استأثرت بالأمر والنهى وحدك، كما أنك نصبت نفسك حاكما على تلك الملكة، ووضعت الكائن الآخر الذى يعيش معك فى المنزل دون الحسبان.. بل واعتبرتها مخلوقاً دون المستوى أو التصنيف، وكأن معدل ذكائها من الدرجة العاشرة، أو كائن لا يستحق أن تنظر إليه بعين الاعتبار وتحسب له حساباً..

صلاح، أنت بالفعل مثال للزوج المستبد الذى يدمر حياته وحياة أقرانه أيضاً، وكل ذلك تحت ستار من الورع والحق والدين...

ولكن أى حق؟ وأى دين؟ فأنت لا تطبق أى شىء يخص الشرع والحق والدين فى حياتك، لقد ظللت تعلق أخطاءك على شماعة الغير، حتى انكسرت تلك الشماعة..

لم تلجأ زوجتك لى إلا بعد أن حدث بالفعل الانهيار، لقد ضمدت جراحها لا غير، للمنت رماد النار التى أشعلتها، كنت أصلح ما أفسدته أنت، وقد نصحتها قبل الطلاق بيوم واحد أن تحاول تغيير معاملتها معك. بأن تكون أكثر من شخصية فى وقت واحد .

وأن تقوم بأكثر من دور بجوار دورها كزوجة، عسانا نجد حلا لشخصيتك المعقدة العجيبة..

ولكن ماذا فعلت أنت حيال هذا الموقف؟ كالعادة تسرعت وطلقتها،
وبالطبع لم تجد سبب أمامك سوى بييرى.. أليس كذلك؟
وأى قرار خاطئ ستأخذه، سوف يكون بسبب بييرى، حتى وإن كان
الأمر لا يعينى فى شىء.

صلاح، هذه الكلمات ظلت مختنقة فى رأسى شهور، وأعتقد بأنك
هذه المرة مدين لى بالاعتذار..

أنا لم أقحم نفسى فى حياتك الشخصية، بل على العكس لقد
وجدت نفسى داخلها رغماً عني!

زوجتك أقحمتنى فيها، وبمحض إرادتها وهى فى كامل قواها
العقلية، ولكن هو عقلك المريض الذى يهينى لك أشياء لم يرتكبها الغير،
ودائماً ما يودى بك ويسيرك فى الظلام من سبئى إلى أسوأ.

ولآخر مرة.. أنا لم أتسبب فى دمار حياتك الزوجية، ولم أخرب
بيتك، أنا وجدتهم كذلك بفضلك.. كل ما فعلته هو أننى لمست أكوام
الرماد فانهار.. هل تفهم؟ انهار.

والآن تتجرأ وتتهمنى بأننى السبب فى ذلك، ألا تدرون جميعاً ماذا
تفعلون وما تقترفه أيديكم، وماذا تفقدون إلا بعد أن تحدث الكارثة
بالفعل؟

ويقضى الأمر...

وتبدأ بالبحث عبثاً عن شماعة تعلق عليها أخطأك، ولكنى لن
أسمح لك بذلك ما دمت مستمرة بالعمل فى هذه الشركة، لقد انتويت
السفر والرجوع مرة أخرى إلى فرنسا، ولكن بعد ما مررت به معكم،
عدلت عن رأبى، وسوف أبقى..

انتهت من جدالها ذى الطرف الواحد، ثم أخذت نفسا عميقا وتردد صدرها ما بين الشهيق والزفير..

وعلى أثره تجمد صلاح فى مكانه، هو ومن فى الغرفة جميعا، وكأنهم خارج نطاق الزمن، وكان نادر هو أول من علق على رأيها، محاولا ملء الفراغ الذى أحدثه وقع كلامها، فسألها بهدوء..

- وهل تعتقدين أن الرجل الذى يبذل كل قواه فى سبيل إسعاد المرأة التى يحب ينعم بحياة زوجية هادئة؟

تنهدت بيرى بعمق قبل أن ترد على نادر بنبرة هادئة يشوبها التوتر والعصبية...

- ليس كل الرجال مثلك يا نادر، فالبعض منهم يلجأ للعنف والقسوة بدلا من يعامل زوجته بشكل حضارى، أو كما حثه دينه وأخلاقه على ذلك، ولكنه يؤثر أن يدمر حياته وحياة جميع من حوله... وهنا تدخل أحمد متسائلا بخبث...

- ولكن يا بيرى هناك بعض النساء يمكن للرجل بذل حياته فى سبيلها، وهناك نساء أخريات لا تستحق حتى عناء محو ذكراهم من حياة الرجل! والأمر الذى يحيرك هو كيف نتعرف نحن الرجال على تلك الأنواع قبل أن ندخل معهن إلى عالم الزواج؟ كيف نميزهن؟ كلهن لهن نفس التصرفات والسلوك والنعومة، حتى تضمن الرجل، بعدها يتحولن جميعا.. وكلهن سواء فى ذلك، هل تعى ما أقول يا بيرى كلهن سواء..

وهنا التفتت بيرى نحوه وهى تقول بسخرية...

- لا بأس، كنت أنوى تأجيل ذلك حتى وقت لاحق، ولكن يبدو أن اليوم هو يوم المواجهات... لذلك يجب عليك أنت بالذات أن لا

تتدخل فى ما يحدث مع صلاح، حقا أنت لا تختلف عنه فى شىء،
اللهم إلا شىء واحد فقط...

وهو الكذب، من الممكن أن يكون صلاح ظالماً أو متسرعاً أو يتميز
بالعنف والغضب ولكنه ليس كاذباً.

ولأنك لا تتورع عن تدمير حياتك وحياة من حولك، وتضيع من بين
يديك حباً لن يتكرر، لمجرد أن تثبت لنفسك مهارتك فى اكتشاف
أخلاقيات الفتاة التى سوف ترتبط بها، وتبرهن نظريتك المريضة مثلك
مثل باقى الرجال فى ذلك المجتمع المتخلف.. ورغم تأكيدك التام من
حبها لك، ومن توائم شخصيتك معها، فإنك تتركها وتحطمها لتفطر
قلبها وتكسره وتحوله لشظايا، فقط لأنك ضمنت حبها وقلبها..

لأنها صرحت بحبها تتركها، لأنها أخلصت لك تتجنبها وتهرب
منها، كما أنك بالتأكيد تفضل أن تكتم مشاعرها حتى تموت بها كمداء،
ومن ثم تتكرم سموك عليها وتعرض عليها الزواج بعد خمس أو عشر
سنوات مثلاً...

هذا فى حالة كنت رجلاً حقا، ووفيت بوعدك وقمت بطلبها للزواج
أصلاً.. أليس كذلك يا عبقرى الحب؟

وعلى الرغم من كل صفاتي السيئة، والتى لا ترى سواها أنت
وصلاح، إلا أنني لا أجرو أن أفعل كما فعلت أنت.. لقد اختلقت قصة
تردد فيها أن صافى تاتى إلى منزلى، لأنك تعلم جيداً ماذا سيكون رد
فعل صلاح تجاه ذلك..

كما أنك بحثت لى أكثر من مرة برغبتك فى الزواج منى، أو حتى
الموافقة على أن نجلس معا وأستمع إليك، أليس كذلك؟ ورغم تجاهلى

لكل ذلك.. إلا إنك لازلت تصر على الاستمرار فى تمثيل تلك المسرحية السخيفة المملة..

طالما متواجد بالمكتب فأنت صديق وفى له ، ووقتما تتركه تنقلب عليه ، أراهن على أنك لم تبح لأى شخص بهذا السر الرهيب ، ولكنى بحث به وأمام الجميع...

هل تعلم لماذا؟

لأنك لست من النوع الذى يستهوينى ، أنت مخادع وكاذب ومتردد ، وأنا نقيضك تماما يا سيدى الفاضل واضحة وصريحة وجريئة..

وهذا هو ردى على عرضك الكريم أمام كافة من نعرفهم ، أنت بالفعل أكبر دليل على مدى تقاوم العقدة التى يعانى منها الرجل المصرى.

كيف يمكن أن ترفض قلباً أعطاك دون مقابل ، لا يملك سوى نبض يتردد باسمك ، ليس لديه مجلدات من التجارب أو خبرة فى التلاعب بمشاعر الغير. وتتودد إلى قلب تعلم جيداً أنه تعارك مع الحب أكثر من خمسين مرة ما بين الفوز والخسارة؟

هل تستطيع أنت حل هذه المعادلة المعقدة يا أحمد؟ هل تحلها أنت

يا صلاح؟

أشاح صلاح بوجهه بعيداً عنها ، علامة على عدم رغبته فى الدخول فى المزيد من المهاترات ، أما أحمد فقد اكتفى بالنظر نحو الفراغ ، زم نادر شفتيه لا يجد رداً على سؤالها..

لذلك فإنها ضحكت بهدوء ، وهى توجه حديثها نحو أحمد..

(أنا حقاً مشفقة عليك) قد خسرت الآن كل شىء وسقطت كل الأفتنة

قبل موعدها فى مفاجأة من العيار الثقيل..

وأنت وحدك تتحمل تلك المسئولية، فأنا لم أكن أنوى أبدا أن أحل
وعدى لك احتراما لرغبتك..
غادرت المكان فى صمت، واستمر الهدوء بعد رحيلها بشكل غريب..

* * *

كانت الصدمة وحدها كافية أن تهز جبلا بعد أن يتم إلقاء القنبلة
عليه، وكانت أسوأ الكوابيس أهون من ذلك الخبر الغريب الذى وقع
عليهم بأذن واعية.

فقد تجمع رجال الشرطة والأهل، بمنزل مراد الذى لا يزال الدهول
والسكون يسيطران عليه بعد المشهد الذى رآه.

وبينما يعمل رجال الأمن والمباحث على مهمتهم، ظل صلاح ماكثا
فى صمت على مقعد فى أحد الأركان، وهو لا يزال يصدق أنها كذبة
أو مزحة سوف يستفيق منها بعد قليل، بينما صافى لم تستوعب الأمر
بعد، وقد استفزها الهدوء الذى اكتسب به صوت صلاح كأنه مغلف
بطبقة من الثلج.

انهارت صافى جاثية بجوار مقعد صلاح وفى ذهنها عشرات الأسئلة
التي وجهتها إليه..

– هل كانت تشتكى من شيء ما يا صلاح؟ هل ضايقتها؟ هل تشاجرت
معها؟ أنا أعرف بسمة جيدا لا تغضب إلا منك.. ثم نظرت تجاه مراد،
وعيناها مليئة بنفس الأسئلة الحائرة..

– مراد، لماذا لا تريد أن تجيبني؟ لماذا لا يرد على أحد؟

وهنا فقط تحركت يدا صلاح من فوق وجهه وهو يقول..

– إذا كان مراد لا يريد أن يرد عليك، فلا أعتقد أن أحدا آخر لديه

إجابات على تلك الأسئلة التي طرحتها..

فهو الوحيد الذى من الممكن أن يفيدك، لأنى لم أقم بأى من الأشياء
التي اتهمتنى بها، هل تسمعيني جيدا يا صافى أنا لم أؤذ أختى
الوحيدة؟

أنا فقط وجدتها منتحرة، أما لو كنت تبغى السبب وراء انتحارها
فأسأل زوجها..

وعاد مرة أخرى للوضعية التي كان عليها قبل أن تتحدث صافى،
ونظرت هي إليه نظرة تجمع ما بين الحزن والألم والحب، وأحسست
برغبة شديدة فى احتضان رأسه وتقبيله ومحو كل الآلام التي يشعر بها.
و - لكن هيهات - فحسب العمر كله كان يقف عاجزا عن احتواء هذه
الحالة من الشجن، التي كان الكل يمرون بها وليس صلاح فحسب. ومر
فى داخلها شريط ذكرياتها مع بسمة فأدركت أنها تستحق هذا الحزن
وأكثر منه، فلم تكن سوى ملاك أتى هذه الدنيا على سبيل الخطأ.
ولم تكن تدرك أن حب حياتها الكبير سيكون يوما سببا فى موتها،
ويودى بها إلى هذا المصير المحتوم.

تناست فكرة المواساة عن طريق إبداء العواطف، واكتفت بمد يدها
لتمسك بيد زوجها السابق، ودون أن يرفع يده من على وجهه تلامست
أطراف أصابعهما فى محاولة منها للتخفيف من وطأة الحدث الجلل
و شد أزره.

ولكنه ورغم برودة يديه فقد احتوى كفيها، فأدركت صافى من هذه
الإشارة أن العلاقة بينهما تسير فى طريقها الصحيح الذى تمتنت أن
تسلكه منذ أن عادت من المنفى الاختيارى الذى ذهبت إليه.

* * *

تجمع كافة أفراد المكتب فى سرادق العزاء الذى أقيم بمسجد الحامدية الشاذلية القريب من منزل والد ووالدة بسمه وصلاح، واللذين ظلا طريحا الفراش فى حالة انهيار تام، ولم يتجاوزا بعد الفكرة، غير مصدقين ما حدث حتى الآن.

جلس أحمد واجم الوجه شأنه فى ذلك شأن الجميع، نادر وكأنه نسى شيئا ما فشرذ يفكر أين تركه، حازم لم يمنع دموعه من مفارقة جفونه.. بل على العكس تركها تسيل على وجهه فى صمت تام أشبه بصمت القبور، صلاح بذهوله وحزنه وعينيه الثابتتين كان لوحة لا تحتاج إلى تعبير.. أما مراد فكان وجهه مكفهر ما بين الناصع البياض والشاحب المائل للاصفرار كمن يحاكى وجوه الموتى.. ومن يشاهده يظن لوهلة أنه سوف يقول شيئا ما ولكنه اكتفى بالصمت.

وشاع جو الحزن والأسى على الوجوه كافة بلا استثناء، وعلى الرغم من صلة القرابة التى تجمع ما بين صافى وبسمة، إلا أن أكثر الحاضرين انهيارا كانت مى التى لم تصدق الخبر.. وعندما سمعته لم تقو قدمها على حملها، وخارت قواها وأغشى عليها، فقد كانت فى حالة من فقدان الوعى والهذيان فى آن واحد، على الرغم من انعدام العلاقة تقريبا بينهما.

مروءة.. ارتسمت على قسماات وجهها هالات الحزن الوقور الذى لا بد أن يتواجد فى مثل هذه الظروف، وذلك لعدم معرفتها الشخصية بالفقيدة.

بيرى كان حالها هو نفس حال حازم لم تنجح قط فى مراوغة دموعها أو كبتها، حيث كانت تردد دائما أن الشخص السليم هو الذى يبكى

عندما يتطلب الأمر... ولا يخجل من ذلك لأن البكاء حالة خاصة بها الكثير من السمو والشفافية لا يعلمها إلا من يتمتعون بالإحساس. ورغم أنهما لم تتقابلا من قبل ولكنها تأثرت بانتحارها. والطريقة المؤلمة التي إن دلت تدل على حب ووفاء وعطاء عظيم وبلا حدود. وكل ذلك من أجل إنسان تهرب من إيجاد حل للمشكلة، وآثر الانفصال لشدة ما أحنقه ذلك الحب البريء الخجول، حيث بلغ به الاختناق مبلغه.

ومرت عليها لحظة رغبت فيها بصفع مراد على وجهه!
وليكن ما يكون! لكم كان سيريحها ذلك ويعنى لها الكثير.
لأنه في نظرها هو المخطي الوحيد، هو الذي لم يقدر النعمة التي من الله بها عليه، وأخذ يعبث بها غير عابئ بالنتائج.
- نعم.. هو الذي أعطى للمسكينة ذلك الشعور بأنها تمثل حملا ثقيلا على كاهله، بل وتركها مشتتة الأمر، وهو يعلم جيدا أن الحلول التي ستلجأ إليها لا تتخطى أصابع اليد الواحدة.
نعم.. مراد كان يعلم ما يقرر وقت تخلى عن بسمه، إذن فهو المحرض على ذلك الانتحار.

* * *

عندما تكون الراحة بين أيدينا لا نعلم للشقاء أى معنى، ولكنها نعرفه عند فقدان هذه الراحة، هذا هو الشعور الذي انتاب مراد وصالح وكذلك صافى عندما جلس ثلاثتهم وخدمهم بعد أن أعطى مراد جرعتى دواء منوم للوالدين.

وهكذا فقد تحاورت عيونهم دونما كلام بكثير من الملام والعتاب.
حتى قطعت صافى ذلك الصمت وهي تقول...

- لقد كانت أفضلنا جميعا فحياتي لم يعد لها معنى بفقدان أجمل شيء فيها.

وهنا أتى الرد الهادئ القاتل من صلاح...

- وكيف لا؟ وكنت أنت صاحبة حركة التمرد التي أودت بنا جميعا، حياتنا جميعا كانت مستقرة قبل أن تصابي بالجنون الفجائي الذي داهمك.

وهنا تدخل مراد فى الحوار...

- صلاح.. أرجوك أن لا تتهم أحدا، أنت تعرف أن بسمة كانت بعيدة عن الجميع حتى أنا فى الفترة الأخيرة، كما كان من الصعب التكهن بكل تصرفاتها، وصافى آخر من يجب أن نلومهم. صرخ صلاح مهاجما...

- أنا ألومها وألومك يا مراد، فقد بدأت هى الجنون، وأنت أكملت على ما تبقى من حياتنا.

لم يكن رد فعل صلاح مفاجأة بالنسبة لمراد، الذى ظل جالسا كما هو، بل ووضع ساقا فوق ساق وهو يسأله فى هدوء...

- وماذا عنك أنت يا صلاح؟ لست ملاما فى أى شيء.. ألم يكن عنادك وغرورك سببين رئيسيين لفقدان من تحب؟ ألم توهم نفسك أن صافى ستندم، وتعود وهى ترجو منك العفو والسماح فى يوم من الأيام؟ راحة تحت قدميك كى تعيدها إلى عصمتك مرة أخرى، بل وهيا لك خيالك أكثر من ذلك..

صدمت صافى كما صدم صلاح من ذلك الرد الهجومى وتأتأت بعض الشيء قبل أن تقول...

- ماذا أيضا؟ ما الذى تخفيه يا مراد؟

صمت مراد بعد أن أفرغ غضبه وتراجع فى مقعده وقال..

- صافسى، أنا حزين وفى شدة حزنى على فراق زوجتى، وأنت وزوجك تتعاتبان من أجل استئناف حياتكم الزوجية، أنا لا أمانع ذلك ولكن ليس هنا، ليس الآن على الأقل، احترموا حزنى وموقفى.

وهنا صرخ صلاح..

- ليست زوجتى بعد، أنا لا أنكر أننى أريد أن نعود كما كنا ولكنى

لم أسامحها بعد..

قاطعه مراد بحدة...

- أرايت يا صلاح؟ أنت تنسى ما نمر به جميعا، وكأنك خُدرت مع

من خُدرُوا، هنا ليس مجالا للعتاب، هل فهمتم ما أقول؟

أعلم أنك فى حالة من عدم الاتزان منذ سماع الخبر، ولكن هكذا حالى أنا وكل من عرفها وأحبها.

فمن قابلها مرة واحدة لم يكن يملك إلا أن يحبها، وتلك كانت

لعنتها للأسف..

انفض صلاح عند سماع الكلمة الأخيرة وقال محذرا..

- حذار مما تقول يا مراد، بسمة لم تكن ملعونة.

رمقه مراد بنظرة تشبه السهام وهو يقول..

- هل ترى مدى جهلك يا صلاح؟ لعنة بسمة فى كونها لم تكن

تغضب، تدافع عن نفسها، تطلب.. تحتج.. تثور.. لقد أحببت تلك

البسمة كما لم أحب أحدا من قبل، ولن أحب مثلها، وسأعيش ما تبقى

لى من العمر وعقدة الذنب تقتلنى.. ليس لأنى تسببت فى موتها - حاشا

لله - أو لأنى لم أعاملها كما ينبغى. ولكن لأنى لم أقدر حجم الأمانة بين
يدى وأعطيتها حقها من الاهتمام والرعاية، كما كانت تفعل هى، ويشفع
لى فى ذلك أننى بشر ولست مثلها لا أصبو من الدنيا شيئاً.

قفز صلاح من مكانه ممسكا برقبة مراد، صارخاً

- إذن فأنت تعترف أنك السبب فى انتحار شقيقتى..

حاول مراد أن يخلص رقبته بصعوبة قاتلاً...

- صلاح لقد أنهت بسمة حياتها بيدها، أنا لم أقتلها.. أنا لم أقتلها

ولم أقو فى يوم من الأيام على أن أؤذيها، أنا لست مثلك.. لست أنا من
يعذب زوجته حتى يوهم نفسه بأنه رجل.

ولم يستطع صلاح أن يتمالك ما تبقى له من أعصابه بعد تلك الجملة

الأخيرة، فهاجم مراد وصفعة على وجهه صفعه ترنح لها مقعده من
قوتها، ولم يكن هناك مجال للشجار لذلك فقد جمع مراد أشياءه على
عجل صافقاً الباب خلفه.

* * *

(الغضب) هو مزيج من الحنق والضجر والألم فى وقت واحد، وعندما

نشعر به تجاه شخص ما فإننا نستدعى كل ما يجعل من الهجوم عليه
ضرورة طبيعية.

وهذا ما حدث بالفعل ما بين أحمد وحازم بعد إغلاق الشركة لمدة

ثلاث أيام حدادا بسبب وفاة بسمة، وقد اتخذ حازم ذلك القرار بدلا من
صلاح، مراعيًا فى ذلك ثلاث أبعاد..

أولاً.. الحزن الشديد والإرهاق الذى يشعر به، فقد تلقى الصدمة،

وكانه ارتطم بالأرض ساقطاً من عشرة طوابق.

ثانياً.. الحالة الخاصة التي تجمعهم بمراد، وتقديراً له، ولزوجته ولحزنها..

وثالثاً.. صلاح هو المدير التنفيذي للشركة، وله فيها نسبة ٤٩٪، وبينهما العديد من الخلافات والمشاكل التي يريد أن يمحى ولو جزء منها.

وكان أحمد هو أول من تواجد بالمكتب بعد الأيام الثلاثة، ولكنه ما أن سمع صوت القرآن يملأ المكان، حتى سأل بصوت عال إن كان هناك أحد بالمكان؟

وجاءت الإجابة من خلفه حيث ظهر حازم ممسكاً بكوب القهوة وتنحني فالتفت أحمد نحوه وهو يسأل بسخرية...

- منذ متى وأنت أول من يأتي للعمل؟

وجاءته الإجابة بمزيد من الفتور...

- لقد استيقظت مبكراً ليس إلا أو بالأحرى لم أنم من الليلة السابقة! واستمر أحمد في استفزازه مازحاً...

- وما الذي أرقك وجعل النوم يجافيك، لا بد أنها جميلة الجميلات؟ وهنا ترك حازم القهوة، والتفت قائلاً بهدوء..

- لست أنا من يسهر يفكر بامرأة وأنت تعلم ذلك، لقد كنت مع مراد وأخذنا الكلام ولم نشعر بالوقت...

وشعر حازم أن الفرصة مواتية للهجوم فسأله بدوره..

- وأنت لم أكن أعلم أنك تأتي في ساعة مبكرة كهذه.. إنها مازالت الثامنة إلا ربع؟

مط أحمد شفتيه وكأنه لا يجد رداً ثم قال بهدوء...

- لقد استيقظت مع أذان الفجر ولم أستطع النوم ثانية فارتديت
ملابسى وجئت للعمل إذا كان هذا يناسبك!
أوماً حازم علامة الموافقة.. وكرر بنفس اللهجة الفاترة..
- جيد!! ولكن عليك أن تصلى الفجر حاضر كل يوم لأننى قد
أعتاد ذلك.

وهنا قرر أحمد أن يواصل استفزازه.. فسأله
- وهل أصبحت مديراً للمكتب؟
ضحك حازم ضحكة حقيقية وهو يقول...
- أحمد!! صلاح لديه من الحزن ما يكفيه، فمن سيدير المكتب
فى غيابه؟

اكتسى صوت أحمد بشيء من الجدية وهو يقول..
- وهل ترى نفسك قادراً على إدارة العمل بالمكتب فى غياب صلاح،
فأخبرنى إذن على أى أساس؟
وهنا اتسعت ضحكة حازم.. وفرقع السبابة مع الإبهام وهو يردد
فى خفوت..

- لقد كنت أنتظر ذلك السؤال بفارغ الصبر، واعتدل فى مقعده
مواجهاً أحمد وهو يقول فى سخرية..
- ومن أين تظن يأتى راتبك كل شهر؟
تجهم أحمد إزاء ذلك الرد.. فقال بصوت خفيض..
- إذا كنت تتخيل أنى سوف أمكث فى مكان تديره أنت.. فأنت
واهم!

نظر له حازم نظرة مليئة بالسخرية وهو يقول..

- ولماذا؟ هل نحن على خلاف ما.. أنا أريد أن أحصل على جواب الآن فمئذ ارتباط مى وأنت تتخذنى عدوا.. لماذا؟
وكاد أحمد أن ينفجر فى وجه حازم لولا سيطر على أعصابه.. فقال مغالبا نفسه..

- لأنك... ليس لك الحق فى استجوابى يا حازم!! وهل تعلم أيضا أنا نادم على استيقاظى مبكرا.. وعلى سماعى لأذان الفجر هذا اليوم.. وعلى مجيئى للعمل اليوم.

ابتسم حازم فى هدوء ورد ببساطة ومكر..
- لا تسرف فى الندم كثيرا يا عزيزى، فهناك أشياء لم تندم عليها بعد.

قال حكمته وقد تأكد من وصول المعنى الذى يريده لأحمد، أخذ القهوة واتجه للباب. وقد أنهى هذه الجولة لصالحه.

* * *

رغم الحزن الذى كسا معالم المكتب كما يكسو ورق الشجر الأرض أثناء فصل الخريف، فإن ذلك لم يمنع من توافد العاملين بالشركة فى انتظام تام.

وكانت بيرى من أشد المتأثرين برحيل بسمه، ولكنها أيضا كانت أول من انتظم بالعمل، وقد وصلت بموعدها المعتاد العاشرة صباحا لتجد الجميع عدا صلاح وصافى.

ولم تسأل عنه.. أو تفتح الموضوع بل كان حازم هو الذى بدأ الحوار...
- ظننتك منهارة فى أقرب مستشفى نظرا لرد الفعل الذى كنت

عليه!

وعندما لمحت السخرية في كلامه، ردت عليه ببرود..

- وظننتك تطهرت وأصبحت من الواعظين!

انفجر حازم بضحكة صافية وهو يقول...

- أنا لم أقصد شيئاً سيئاً، لماذا تهاجميني؟ أنت مذهلة في رد

فعلك.. لك سرعة استجابة هائلة!

ركزت بصرها عليه وهي تقول...

- لم أهاجمك! بل أوضح الحقيقة لك قبل غيرك.. أنا لم أرتد

ملابس الحداد على أحد من قبل، كما أنني لم أزيف مشاعري.. فقد

حزنت على بسمه حزناً شديداً، رغم أنني لم أكن أعرفها وقد حملت

مراد المسؤولية لأنه تجاهلها.. وحملت صلاح المسؤولية لأنه شجعها

على ما كانت عليه، وأخيراً.. أنا إنسانة طبيعية وعملية.. للحزن وقت

وللعمل وقت

نظر في عينيها مباشرة وهو يقول..

- منذ متى وأنت على علم بما يحدث مع مراد؟ هل أنت من

المهتمين بالطب النفسي؟

قالت بتهكم...

- وإن كنت! هل ذلك يميزني في شيء؟ أم أنك تخشى أن أعرف

ما بداخلك؟

رد بهدوء..

- كل ما في الأمر أنك من الممكن أن تشاركه العيادة! فهو طبيب

ناجح جداً ولديه عيادة مميزة جداً...

قالت ببرود مماثل...

- وشقة خالية من الدفء.

لم تعجبه طريقتها أو أسلوبها.. فنهض قائلاً..

- هل تعلمين أن مزاجك اليوم له وقع ثقيل للغاية.. مما يجعلك تتفوهين بكلمات غريبة.. وأنا الذى حاولت أن ألبأ إليك للتوصل إلى حل مع صلاح.. باعتبارك أكثرنا دراية بطلاسم نفسه..

ابتسمت وقالت بهدوء..

- لقد كنت صامته.. أنت من أخرجنى عن صمتى!

قال وهو يتجه نحو الباب..

- أنا آسف حقاً.. أعنيها قولاً وفعلاً.. ومزج القول بالفعل وهو يخرج

ومعه بعض اللوحات التى كان يفحصها لإبداء الموافقة عليها.

رمقته بنظرة غاضبة وقالت وهى تغطى رأسها بكفيها بعد أن وضعتها

داخل صدرها وبصوت يكاد يسمع..

- أنا لا أقصد مهاجمتك يا حازم، ولكنى متوترة فى تفكيرى بعض

الشيء.. أرجوك لا تغضب.

وجاءها الرد من بعيد..

- أنا لست غاضباً، بل حزيناً.

* * *

إن استطاع الإنسان العادى أن يحتمل صدمة واحدة ويعبرها فى

سلام، نستطيع أن نقول عنه - أنه قوى الشكيمة -..

وإن عبر اثنتين نستطيع أن نقول بكل تأكيد إنه خارق القوى، ولم

يكن فى حسابان مى، أن حضور يوسف للمنزل فى تلك الليلة سيكون

بسبب التمهيد للقصة العظمى فى حياتها.

جلست بجواره تحدّثه عن الحادث الأليم الذى تعرضت له بسمّة،
وأخذ هو يؤمن على كلامها بإشارات مبهمّة من رأسه.
وعندما دخلت الأم للجلوس معه وإلقاء التحية، لم يستطع أن يمنع
نفسه من تغيير الموضوع الذى تتحدّث فيه مى...
لذلك فقد علق بأسلوب منمق على ملابس والدتها، وابتسمت الأم
فى صمت..

ولكن يوسف لم يتردد وهو يخبرها بأنه سمع قصة الانتحار من
حازم، فقد كان من أشد المتأثرين بذلك الحادث و... صمت برهة
ومع الصمت الطويل أحست الأم بما يجيش فى صدر يوسف ولا يقوى
على الإعلان عنه، فرمقته بنظرة طويلة ثم طلبت من مى إعداد القهوة
لها وله.

وقد رحب بالفكرة على أساس أنه سوف يتجه مباشرة للمطار ويحتاج
لما يعينه على السهر، ومع خروج مى جلست الأم بجواره وهى تقول
بخبرة من تعامل مع الحياة أكثر من مرة... قل ما شئت يا ولدى!
وهنا ارتبك يوسف.. فتلعثم قائلاً..

- ما الذى جعلك تظنين أنى أرغب فى قول شيء ما؟

ابتسمت الأم فى سخرية وقالت فى هدوء..

- الذى جعلنى أخمن هو الذى جعلك لا ترغب فى رؤية ابنتى

أو التحدّث معها منذ حوالى أكثر من شهر..

ولا تخبرنى بأنه العمل، فأنت تعمل على الدوام ولكنك تريد قول

شيء ما ولا يمكنك البوح لها به...

نظر أرضاً.. ثم قال بلا تردد

- وأنا مهما حاولت أن أدافع عن نفسي فلا عذري، هذا بجانب
أننى عاجز عن قول المزيد.. أنا باختصار لا أستطيع أن أجد طريقاً
للتواصل مع مى..
فأنا فى اتجاه وهى فى الاتجاه الآخر.. هل وصلك ماذا أريد أن
أقول؟

تركت الأم دمعها تسيل صامته على وجنتها وهى تقول..

نعم.. أنت لا تحب القهوة!

تعجب يوسف من الرد، فحاول أن يوضح..

- ليس الموضوع عن الحب ولكن المشكلة تكمن فى..

ولكن الأم قاطعته فى صرامة..

- يوسف.. من فضلك غادر قبل أن تعود مى وأنا سأحمل إليك أو إلى

قريبك كل الهدايا التى أهديتها إياها ولا تقل لى إنك لا تريدها.. لأن

الهدف من ذلك ليس أننا لا نريد هداياك ولكننا لا يمكن أن نحفظ بها

لأن ذلك سيؤثر بالسلب على نفس ابنتى وتسوء حالتها كلما رأت شيئاً

من هذه الهدايا... إننا لا نريد التخلص منك، بل من ذكراك!

ورغم قسوة الكلمات، قال فى وهن..

- نعم.. ولكنى أريد أن أتم هذا الحديث معك فى أى مكان

تختارينه.

وغادر المنزل وهو يشعر بإحساسين متناقضين، مزيج من الراحة

والحزن الشديد، ولأول مرة فى حياته لم يكن على يقين هل اتخذ

الخطوة الصحيحة أم الخاطئة؟ وكيف يمكنه العدول عنها إذا كانت

خاطئة..

تضاربت في رأسه الأفكار والرؤى وقرر أن يمضى قدما نحو ما خطه
والأيام وحدها كفيلة بالرد على سؤاله.

* * *

مع اقتراب ذكرى الأربعين لبسمة، تقدم صلاح لصافى بالعرض الذى
تاقت له منذ طلاقهما.

انتهز فرصة اجتماع الأهل والأقارب وبعث فى طلب المأذون دون
أن يسأل صافى رأيبها، وكان ذلك هو ما عزز موقفها وجعلها فى أفضل
حالاتها.

لأن ثقته فى نفسه، وثقته فى رغبتها فى العودة إليه هو ما أسعدها،
فقد منحها ذلك شعورا بكونهما كيانا واحدا لم يفترق منذ فترة طويلة..
ولم يرد صلاح أن يجعل من تلك العودة حدثا كبيرا، لذلك فإنه
رفض أى تهنئة، فقد اعتبر ذلك شيئا طبيعيا. حيث إن كل ما حدث
من وجهة نظره لم يكن سوى زوبعة فئجان ليس إلا. ولا يريد أن يأتى
على ذكره..

لأن ذلك سيجعل منه حدثا مهما وذلك ما لا يريده، ليس هذا
فحسب بل أنه فضفض لصافى بأنه لو يستطيع أن يمحو ذلك الوقت من
عمره سوف يمحوه وبلا تردد. وقد كانت قمة سعادتها عندما احتضنها
واحتواها داخل صدره، وهمس فى أذنيها أن عمره كله ليس بالشىء
الكثير كى يمنحها إياه تعويضا عما بدر منه.. وما سببه لها من ألم
وعذاب وضياع ومعاناة خلال الفترة الماضية. ولم تكن صافى تريد منه
أكثر من ذلك..

وها هى تحظى بالرومانسية التى طالما تمننتها وتاقت لها معه ولا أحد
سواه.

تواجهت الأسرتان بحضور مراد الذى ساهم بشكل كبير فى لم الشمل، مع العلم أنه لم ينس ما حدث فى آخر لقاء جمع ثلاثتهم، وابتسم رغم مرارة حلقة الذى يببدو وكأنه فم ظمآن تائه بالصحراء منذ سنوات. ولم يشعر به أحد وهو ينصرف، بل انسحب بهدوء واتجه للعبادة وهو يطلب حازم على الهاتف.

* * *

لم يعد حازم للمنزل منذ ثلاث أيام قضاها ما بين الشركة والمجموعة، لذلك كان فى أسوأ حالاته المزاجية. لا يقوى على الرد، لا يقوى على الكلام، لا يقوى على العمل..

كل ما استطاع فعله هو فتح الاستراحة الخاصة بمكتبه، وراح فى نوم عميق حتى أنه نسي أن يخبر أحدا بتواجده.

ولم يكن من الصعب على مراد أن يستنتج مكان تواجده دون عناء، ولأنه كان على علم بالحالة التى كان عليها، كما أنه لم يغادر مكان العمل..

ولأنه يحفظ حازم جيدا، وأنه حين يطن رأسه ولا يقوى على فعل شىء، فإنه يتوجه لأقرب مكان للنوم. ولذلك ذهب للمكان الصحيح وأيقظه.

قاوم حازم فى البداية، ولكن المقاومة لم تجد نفعا، فقد كان مراد مصرا على إيقاظه وبقوة...

وهنا استفاق حازم بعض الشىء وواجه مراد وهو يقول بسخرية...

– وأنا لن أكون مفيدا لك وأنا مشوش الذهن!

ضحك مراد وقد استفزه ما قاله، ولكزه بمرفقه وهو يهدده بأنه سوف يوقظه فى كل الأحوال..

وفتح حازم عينيه وهو يردد كلمات غير مفهومة ثم قال بصوت واضح...

- أقسم بالله إن لم يكن السبب يستحق، فسوف تكون العاقبة وخيمة.

فقال مراد مازحا...

- لقد ربحت الرهان من جديد!

قطب حازم حاجبيه قائلاً:

- أى رهان؟ فأنا لى أكثر من رهان!

قال مراد كمن يفجر مفاجأة..

- لقد عاد صلاح وصافى!

رد حازم ببرود..

- أما.. لقد كنت واثقا من ذلك ولم أكن أراهن يا دكتور.. لأن صلاح فى البداية والنهاية مجرد رجل، والرجل ليس معقداً فى تفكيره مثل المرأة. وحيث إنى خبير فى هذه الأمور أكثر منك عرفت أنه يحبها بل ويكن لها أكثر من الحب بكثير، فصلاح ضعيف للغاية من الداخل، أما القوة والصوت العالى، ليس سوى غطاء يتظاهر به.. والجبروت الذى يرعب الكثير، ما هو إلا غلاف خارجى، ولكنه بالفعل أضعف مما يكون، وعندما تركته صافى كاد أن يبكى لولا عزة نفسه وكبريائه أمام الجميع.

فقد كان كل ما يخشاه أن تنتصر عليه لو عاد إليها وأبدى موافقته على طلباتها.

نظر له مراد نظرة ثابتة.. وسأله

- هل معنى ذلك أنك بدأت تغيير فكرتك عنه؟
ورد حازم بسؤال خبيث وساخر..
- وهل معنى ذلك أنك سامحته عما فعله بك وبحياتك؟
تجهم مراد ورد سريعا...
- أنا لن أسامحه ولكنى أشفق عليه، أحيانا جد أشفق عليه!
علق حازم متمما على كلامه..
- وأنا لم أكن أكرهه حتى أحبه الآن، هو شخص جيد ولكنه
بحاجة إلى معاملة خاصة.
- ضحك مراد وهو يؤكد كلام صديقه..
- بالفعل.. إن الموقف هو الذى يتحكم فى كيفية الرد على صلاح
والتعامل معه... والآن لماذا تنام هنا؟
- أغمض حازم عينيه باشتياق للنوم..
- أنا مرهق للغاية وقد اعتقلنى كل من أمى وعمر ولم أجد وقتا للنوم
وقد احتلا المنزل بطريقة ما وأصبح مقرا للشركة.. ولم أجد مكانا أنام به
سوى هنا ولكن كيف أنام وأنا أنعم بصديق مزعج مثلك!
- سأله مراد مازحا..
- هل ما زلت ترغب فى النوم أم أنه هرب من جفنيك؟
وضع حازم الوسادة فوق رأسه مازحا..
- كلا لم يهرب! ولو هرب فسوف أجده وأتعامل معه جيدا فأنا
جد بحاجة إليه.
- إذن أتركك تنعم بقرص صغير حوالى الساعتين وسوف آتى لإيقاظك
حتى نذهب معا.

* * *

منذ أن كان نادر في منزل حميه لم يكف عن التفكير فيما دار بينه وبين داليا، فكم كانت رقيقة! وكم كانت دافئة! وكم كانت ضعيفة! ترغمك على احتوائها مهما كانت الظروف ورغمما عنه وجد نفسه يطلب رقم هاتفها الذى حفظه عن ظهر قلب من كثرة ما نظر إليه! ..
وردت عليه...

- صباح الخير يا داليا.. أنا نادر!

ردت وكأنها كانت تنتظر ذلك الاتصال..

- أنا أعرف رقمك، هل تفى بالوعد اليوم ونكمل حديثنا؟

ضحك نادر وتلعثم قائلاً..

- لقد كنت أتصل بك بخصوص ذلك الموضوع بالتحديد، فأنا لن أذهب للمكتب اليوم.

شعر بفرحتها عبر الهاتف وهي تقول بلهفة..

- عظيم.. أين تريد أن نتقابل ومتى؟

قال فى هدوء..

- سوف أمر عليك بعد ساعتين ولكن كوني على استعداد عند ناصية

الطريق.. ولكن أرجو ألا تخبرى أحدا بأننا سوف نتقابل اليوم أو فى أى وقت.

أسرعت مؤكدة..

- سوف أفعل، ولكن هل يمكن الموعد بعد ثلاث ساعات؟ فقد

باغتني بالموعد وأنا لم أكن على استعداد.. أرجوك!

قالتها برقة وعذوبة مست شغاف قلبه لم يتعودها من زوجته أقرب

الناس إليه، جعلته يضحك ويوافق حتى لو كان رافضا لذلك.

اتفقا إذن على الموعد الأول، ولا شعوريا وجد نفسه يمحو آخر اتصال من هاتفه وشرد في حالة من الهدوء لم ينعم بها منذ زمن.. وفاق من شروده على صوت مروة تخبره أنها أعدت الإفطار..

قام لتناول إفطاره وهو في حالة غريبة من السعادة والضجر والاختناق. كان سعيدا لأنه لم يشعر بذلك الشعور من قبل، ومضجرا لأنه مضطر للتظاهر باللامبالاة، ومختنق من الكذب فهو يكره الكذب لأبعد الحدود. ولكنه قد يجد ملاذا عند داليا لم يجده لدى مروة؛ حيث تكمن مشكلة نادر في التواصل مع مروة منذ علم بوجود عائق يمنع الإنجاب. هو يريد امرأة يتحدث معها يعرض عليها المشكلة، لعله يصل لحل لتلك المعادلة الصعبة التي غرق فيها منذ ما يزيد من سبعة أشهر، خاصة إذا كانت تلك المرأة قريبة من الإنسانية التي يحبها.

هذا هو التفسير الوحيد لما يحدث بينه وبين داليا... ظل على تلك الحالة طول مدة الإفطار، حتى إن مروة سألته عما يؤرقه ولكنه صرفها بأمور تافهة ليست هي السبب الحقيقي.

ولكنها فجأة باغتته قائلة..

- إذا كنت تتصور أنى أجهل السبب الحقيقي تكون واهما! فأنا

أعلم ما يحدث جيدا..

رد بذهول...

- تعلمين.. ماذا تقصدين بأنك تعلمين؟

ردت بلهجة بالغة الحدة..

- تحاليلك التي تخفيها في خزانة خاصة..

رد ساخرا بسرعة..

- وإذا كانت الخزانة خاصة فكيف عرفت أنت بها؟

جاوبت بسخرية مماثلة..

- عرفت من الإيصال المدفوع للمعمل.. فاتصلت وعرفت كافة النتائج

التي تخفيها وكأنها سر حربى.

قال وكأنما أزيح عن صدره حمل ثقيل..

- والآن بعد أن عرفت ما هو قرارك؟

قالت ببراءة..

- القرار يعود إليك.. ما الذى قاله الأطباء لك؟ هل يوجد علاج

بالخارج؟ أنت تدرك أننا يمكن أن نسافر إلى أى مكان... ليس للطموح

حدود، أليس كذلك؟

أسكتها نادر بيده.. قائلاً...

- مروة لقد طرقت كل الأبواب ولم أكن بحاجة إلى تشجيعك، والآن

دعيني أسألك لماذا لم تخبريني بذلك... لماذا تركتني أعاملك وكأنك

لا تعلمين؟

أجابته ببرود..

- لأننى كنت سعيدة وأنت تجيب كافة طلباتى دون رجاء، ولكنى

أجدك فى الفترة الماضية عدت من جديد نادر الذى أعرفه... فهل لى

أن أعلم السبب؟

ابتسم ساخراً وهو يقول...

- بما أننا نتصارع فأنا كنت قد عزمت أمرى أن أصارك بكل شىء

وأترك لك حرية الاختيار، فأنا لست إنساناً أنانياً حتى أجبرك على

البقاء معى رغم ذلك.

أشارت له بالصمت وهي تقول...
 - نادر أنا أطلب منك شيئاً بسيطاً، دعنا نسافر للخارج لعلنا نجد علاجاً للحالة.
 صاح قائلاً...
 - لماذا لا تصديقين؟ لقد عرضت الأمر على أكبر وأشهر أطباء العالم من خلال التحاليل ومن خلال شخص موثوق به..
 وضح الذهول على وجهها وهي تقول..
 - أنا جِد لا أصدقُ أذنى! أنت إنسان غامض للغاية وتقول إنك تكره الكذب، لقد أثبت أنك بارع به أكثر من أى شخص آخر.
 قال نادر بحزن حقيقى...
 - لقد كنت أحارب كى لا أخسرك، ولكنى على وشك أن أخسرك بالفعل، أليس كذلك؟
 نظرت له بمزيد من الغضب.. وقالت
 - نعم... لقد باتت خسارتى وشيكة وليس فقط بسبب عدم الإنجاب ولكن بسبب الكذب والخداع والغش.
 صاح مرة أخرى..
 - أنا لم أغشك يا مروة، لقد حاولت وعندما باءت محاولتى بالفشل قررت أن أخبرك وليكن ما يكون!
 قالت وقد حسمت أمرها..
 - نعم.. أنا أريد الطلاق
 صاح فى غضب عارم...
 - هل أنت واثقة؟ لأنى لا أريدك أن تندمى على قرارى فى لحظة

غضب!

ولكنها صاحت فى المقابل...

- أرايت!! لم تذرف دمة واحدة من عينيك كما كنت تفعل عندما
أهددك بالطلاق لقد أصبح بقائى معك مثل عدمه، وهذا حتما له سبب،
وأنا أريد أن أعلمه لأنى لازلت زوجتك.. أليس كذلك؟
لانت لهجته وهو يقول...

- ليس هناك أسباب سوى أننى مللت التهديد والوعيد.

صرخت والدموع تكاد تنهار على وجنتها...

- نادر.. كيف تفعل بى ذلك؟

أسكتها بيده وهو ينهض..

- أنا مرتبط بموعد، وأريد إنهاء النقاش، لك مزيد من الوقت
للتفكير.. وملتقى بالمنزل بعد العمل.

قالت بقوة وإرادة..

- أعلم أنك على موعد مع من كنت تحدثها وشردت تفكر فيها،
ولكنك نسيت أنها سوف ترفضك عندما تعلم لماذا انفصلت عن زوجتك
الأولى؟

رفع نادر يده وهم بصفع مروة بكل ما به من قوة ولكنه تراجع فى
آخر لحظة وتركها وهو يردد كلمات غير مفهومة ودلف للغرفة وصفع
الباب بدلا من مروة.

* * *

لم يكن من هم أكثر سعادة من والد ووالدة يوسف لقطع علاقته مع مى..
حتى وإن كانت اختيار حازم فهذا لا يجعل منها فتاة سيئة، إذن
لماذا كل هذه الفرحة؟

كل تلك الفرحة كانت بسبب أن يوسف أصبح مؤهلاً للزواج من ابنة الوزير التي اختارتها والدته.

وهنا تدخلت دولت في أحلام شقيقتها الوردية كي تعيدها إلى أرض الواقع بكلمات لا تقبل النقاش..

- وما أدراك أن يوسف سيوافق على الزواج بهذه الطريقة؟

تجهمت ملك والدة يوسف قليلاً قبل أن تقول...

- لا بد من زواجه منها، فلقد أخبرتني والدتها أن البنت متيمة به منذ رآته في الحفل الأخير الذي أقيم في منزلكم.

ابتسمت دولت بسخرية وتهكمت قائلة..

- وأنا أؤكد لك أن يوسف لا يختلف كثيراً عن حازم، بل إنه من

الممكن أن نقول إنهما مستنسخين من بعضهما.

لم تطق ملك صبراً.. فسألت بخشونة...

- ما الذى تريدین قوله يا دولت؟

لانت دولت بعض الشيء.. ونصحتها قائلة..

- لا تخبرى يوسف على نواياك هذه، فقط اجعليه يقابلها، وإذا

استطاعت أن تشغله بها.. سيأخذ هو الخطوة التالية.. عليك أن تثقى

فيما أقول...

أما لو أجبرته على ذلك فإنه بسهولة سيرفض عرضك الكريم!

اندهشت ملك قائلة..

- ولماذا يرفض؟ إن البنت فاتنة!

مطت دولت شفيتها.. دليل على عدم الفهم...

- سيقول لا لمجرد الرفض.. العند.. صدقيني هما يفكران بتلك

الطريقة!

انهارت ملك وهى تقول..

- وبماذا تنصحينى يا دولت؟ أنت تعلمين مدى أهمية رأيك لدينا!

أكدت دولت وجهة نظرها السابقة.. ثم سألت فى فضول...

- أنصح بما أخبرتك به.. ولكن أخبرينى لماذا تريدين لهذه الزيجة

أن تتم وبهذا الإصرار؟

أنتم لستم بحاجة إليها فزوجك سفير، وابنتك تعمل بالسلك

الدبلوماسى، وعمليا أنتم أكثر منهم ثراء.

أسهبت ملك قائلة...

- أنا أريد له السعادة مع فتاة رائعة الجمال وثرية ومن أسرة معروفة.

اشمأزت دولت من شقيقتها قائلة..

- ولكنها ليست أسرة عريقة يا ملك، فوالدها غيبى وفلاح، وهو يعتز

بذلك ويكرره كالبغاء فى كل برنامج يظهر به.

صاحت ملك...

- ولكنه وزير يا دولت!

ردت دولت بهدوء..

- لن تتخلصى من الغباء بحياتك يا ملك، فهو لن يظل وزيرا للأبد!

صدمت ملك من تلك الإجابة.. ونظرت نظرة شاردة نحو الفراغ.

* * *

خضعت بيرى لمراقبة قوية من أحمد، حتى إنها كانت تشعر براحة

كبيرة عندما كانت تدخل وتجدده غير متواجد بالمكتب.

وقد وجدت مى وحدها وقد خلا المكتب من الجميع، فسألته عن

السبب.. فقالت

- لقد ذهب أحمد وصلاح لصلاة الظهر، نادر لم يأت من بداية اليوم.. وحازم يراجع الميزانية.

وشعرت براحة كبيرة، وعبرت عن ذلك بتنهييدة طويلة، حتى إن مى سألت عن سببها...

- أنا لم أعد قادرة على مواجهة الأمور هنا، فقد حسمت أمرى، وقررت أن أترك المكتب لأحمد وصلاح وحازم أيضا، أنا لا أنكر أنني فى البداية اعتقدته شخصا متحضرا تقدماً فى تفكيره.. ولكن ظهر أنه لا يختلف عن أسلافه!

تساءلت مى فى براءة..

- كيف؟

صاحت ببرى...

- كيف؟ الشخص الذى يهرب من المواجهة يكون غير جدير بها. ابتسمت مى قائلة..

- إذن.. هل معنى ذلك أن هناك علاقة بينك وبينه بالفعل؟

صاحت ببرى بوجهها..

- وهل سوف تظلين سطحية للأبد؟ المواجهة التى أعنيها بشأن تحسين الأمور بينه وبين صلاح!

صاحت مى بطبيعية...

- صلاح! وما علاقتك أنت بصلاح؟

صمتت ببرى.. ثم قالت بصوت خفيض...

- حازم نفسه هو الذى اقترح ذلك، ونظرا للظروف الأخيرة ستكون

الفرصة مثالية لإصلاح الأمور، كما هناك أيضا احترام فارق السن..

هزت مى رأسها علامة عدم الفهم..

- لست أفهم حتى الآن.. ما هى علاقتك أنت بالموضوع؟

وضعت بيىري يدها على رأسها دليلا على فراغ الصبر...

- مى.. أنا لست طرفا بالموضوع من قريب أو من بعيد.

عادت مى لنقطة البداية..

- إذن لماذا تأخذين هذا الموقف من حازم؟

وقالت بيىري بمنطقية..

- لأنه لا يملك الشجاعة الكافية كى يكون كاملا فى نظرى.. سألت

مى ببراءة مرة أخرى..

- ولماذا نظرتك أنت فقط؟

نهضت بيىري فجأة وهى تقول...

- لأننى أنا الشخص الذى سوف يترك المكان، وكان عليه أن يبذل

جهدا أكبر كى يستبقينى، ولكنه لم يفعل..

ردت مى بهدوء...

- ولماذا تصورت بأنه سيكون مسرور لأنك ستتركين المكان؟

شعرت بيىري بأن الحوار معها يسير فى دوائر مفرغة.. فقالت

مازحة..

- مى، أنت من الشخصيات القليلة التى سوف أفتقدها حقا داخل

هذا المكان، ولا تتوقفى أمام كل ما أقوله، قد يبدو بالنسبة لك كالألغاز،

وليس لدى وقت لتفسيرها.. فهذه المشكلة تواجههنى منذ جئت إلى

مصر..

عادت مى للأسئلة..

- ولماذا مصر؟

ضحكت بيرى بشكل هستيرى.. ثم هدأت وقالت برزانة مفتعلة...

- لأن شعبها يريد إجابات عن كل تساؤلاته، ولا يكتفى بما يخبره به أصحاب الشأن، وهذا ما يحدث معنا الآن.. أنت لم تفعلنى شيئاً منذ دخلت سوى أن تقولى (لماذا)..

شعرت مى بالإهانة.. فصاحت قائلة..

- أنت بدأت الحوار وليس أنا.. ولا تحاولى أن تجعلينى شماعة

لفشلك..

استنكرت بيرى الكلمة.. فقالت فى سخرية..

- فشلى! أنا لم أفشل فى أى شىء، بل ومن الممكن أن تكون هذه

هى المشكلة، الجميع يتمنى أن يرانى مختبئة فى الظل مثلك يا مى حتى يأتوا جميعاً للمواساة.. ويعرفوا أسباب الفشل التى بالطبع ستأتى بعدها النصائح الغالية.. ثم تصير حياتى هى حياتهم.. مشاع يحق للجميع أن يتدخل فيها.

تساءلت مى بجدية..

- ظل؟ أنا ظاهرة للعيان ولست مختبئة فى الظل.. ما الذى أوحى

لك بتلك الأفكار؟ ولماذا كل هذا الهجوم والضغط؟

استمرت بيرى فى الضغط.. قائلة..

- مى.. إنه ليس سرا حربياً.. الجميع يعلم ما مررت به مع أحمد،

ثم ما حدث مع قريب حازم.. للأسف زملاؤك الأعزاء ليس لديهم شىء سوى مناقشة تفاصيل حياتك الشخصية.

انهارت مى باكياً..

- كيف تسمحون لأنفسكم بهذا التدنى؟ كيف تغتابون شخصا
اتئتمنكم على أسرارهم؟ هل الحياة الشخصية أصبحت مادة خصبة للنميمة
والتسليية؟

قالت بيبرى وقد حسمت أمرها... .

- أنا لا أشارك أبدا في تلك الحوارات، وإن كنت أستمع إليها..

سقطت الدموع من عين مي وهي تقول..

- هل يبدو عليّ الغباء لتلك الدرجة؟ الجميع يضحك في وجهي من

الأمام.. ويطعنني في ظهري في غيابي؟

أحيانا أندesh كيف اجتزت تلك المراحل الدراسية وأنا بذلك الغباء..

حاولت بيبرى تهدئتها بصعوبة قائلة... .

- حبيبتي مي.. أنت لست غبية، ولكنك واضحة وصریحة في زمن

قلت فيه هذه الصفات بل تكاد تكون قد اندثرت.

مسحت مي دموعها وهي تضبط أعصابها شيئا فشيئا..

- منذ قليل كنت تنتقدين تدخل الناس في حياة بعضهم البعض،

وأنا لا أجد وراء كل حكاية سوى اسمك أنت... صلاح وصافي، حازم،

أحمد.. تحرّمين على الناس ولكنك تسمحين لنفسك، بل وجعلت من

نفسك حكما عليهم وكأنك معصومة من الخطأ!

استسلمت بيبرى أمام هذا الهجوم قائلة..

- لا يا مي.. أنا لست من المعصومين، ولا أتوقع ذلك، ولكنك الآن

أثبتى أنك اجتزت كل مراحل دراستك بعبقرية وجدارة.. ولكن هناك

تعقيب صغير...

صافي هي التي أتت وطلبت مساعدتي، وقد عادت بالفعل لزوجها،

حازم متردد ولا يعرف ما يريد وأنا أكره التردد، أحمد خارج دائرة

اهتمامى أصلاً ، وأنا لم ولن أحكم على أحد ، وأعتذر إن كنت أقحمت
نفسى فى شىء لا يعينى ، ويكفى أنى لازالت لدى القدرة على الاعتراف
بالخطأ والاعتذار عنه .

* * *

فى بعض الأوقات نكون مغمضين ولكننا لا ندرك ذلك إلا عندما
ينكشف النقاب عن أعيننا ، وأحيانا ننظر للمشكلة من زاوية غاية فى
الضيقة حتى يكون رأينا هو الوحيد الصحيح وأحيانا بعد مضى الزمن
نسأل أنفسنا كيف أمكننا أن نكون أصدقاء لذلك الشخص .. وأحيانا
أخرى يحاصرنا شخص ما بكلمات تخنقنا وتبكينا ، بعدها نكتفى فقط
بالاختفاء .. والاختباء ولكننا عندما نراجع ما مررنا به طوال اليوم نجد
عقولنا تسطر كلمات كانت كافية أن ترد ذلك الشخص ، بل وتجعله لا
يكرر تلك الكلمات مرة أخرى .. بل وسيحسب ألف حساب للكلمة قبل
أن يتفوه بها مع أى شخص آخر... ويبقى السؤال .. لماذا نشعر بالندم
أو تأنيب الضمير بعد تلك الردود .. أو تلك الكلمات؟ ولماذا لا يشعر من
يجرحنا أو يجرحنا بذلك الندم؟ كل تلك التساؤلات دارت بذهن صلاح
عندما وجد مراد وأحمد جلسا فى الكافيه الخاص بالمكتب وقد دخلا
فى نقاش عميق...

وقد بدأ أحمد بعتاب صلاح لأنه لم يخبره عن عودته إلى صافى ..

– لقد ظننت أنى سأكون من الشهود!

ورد صلاح ببرود تلقائى ..

– لقد كان ذلك من أجل الأهل الذين ساءت حالتهم النفسية كثيرا

وكانوا فى أمس الحاجة لخبر مفرح!

وتدخل مراد ضاحكا بشكل هستيرى...

- أليس لكذبك نهاية يا صلاح؟

صاح صلاح منفعلاً..

- انتبه لما تقول يا مراد.. فأنا لا أكذب أبداً، ولا أبالغ إذا قلت إننى كنت أصلح ما أفسدته أنت!

وضحك أحمد بشدة للموقف المعاكس الذى يعترضه، ولكنه ما لبث أن توقف عندما لمح الجدية فى عين مراد وهو يقول...

- أنت كاذب وكل ما قلت منذ قليل أكاذيب، فقد كنت تلهث وراء صافى منذ اليوم الذى طلقتها فيه وظللت تلعنه، وتلعن بيرى حتى إنك تمنيت أن يكون كل ذلك كابوساً من فعل الأحلام، أو لم يحدث ذلك يا شيخ صلاح!

وحاول صلاح الدفاع عن نفسه ولكن مراد استوقفه وأكمل دون تردد...
- والداك.. هل تجعل منهم شماعة لرغباتك؟ لا يا صلاح، لقد عدت لأنك تريد العودة.. ليس ذلك فحسب بل وتعهدت أمام الجميع أن تحسن معاملتها ولا تنس أننى كنت من الحاضرين. ثم إننى لم أفسد حياتك فى شىء.. بل على العكس لقد حولت أنت حياتى جحيماً ولم أتهمك بشىء فى الوقت الذى تتهمنى أنت فيه.. فما هو الذنب الذى اقترفته فى حقك؟

رد صلاح بصلافة...

- موت شقيقتى.. أو انتحارها إذا كانت هى الكلمة المناسبة.

هز مراد رأسه نغياً...

- أنا لم أكن سبباً فى موت بسمه.. فقد كانت واعية وهى تقرر مصيرها، ولا يستطيع أحد أن يقنع شخصاً بقتل نفسه إلا إذا كان لديه قابلية لذلك..

استنكر صلاح الإجابة.. وسأل منفعلا

- هل تتلمص الآن؟

رد مراد بسخرية...

- وهل أعلنت مسئوليتي عن انتحارها من قبل في وسائل الإعلام؟

استمر انفعال صلاح وهو يقول..

- هل تسخر مني؟

نظر له مراد بيأس وهو يقول...

- أنا أكره قدرتك على الكذب، وأكره قدرتك في قلب الباطل إلى

حق.. فذلك يجعلني أضعك في مكان لا أريد أن أضعك فيه.. وهذا ما لا أطيعه.

لم يبد على صلاح التأثر بكلمات مراد.. بل على العكس قال في

برود...

- أنا لا أكذب، وإياك أن تحقر من شأنى!

هز مراد رأسه دليلاً على اليأس وقال..

- صلاح.. أنت لا تمل أبداً من اللف والدوران ويمكن أن نبقي

نتناقش معا على تلك الطاولة شهراً أو حتى سنة دون ملل منك، وتأبى

أن تعترف بمكنونات صدرك بصراحة ولو مرة واحدة في حياتك... أنا

لا أجد أى حلول أمامك ولا تترك لي نصف فرصة كي أعرف ما هي

الطريقة التي يفكر بها عقلك؟

وهنا تدخل أحمد...

- إذن فأنت تعترف بفشلك كطبيب نفسي، لقد ربحت الرهان في

الأخير يا صلاح.. لقد أخبرتك مليون مرة أنه لا يستحق تلك المكانة التي

تضعونه فيها، وأن الحظ يحالفه في الاستنتاج ليس إلا..

ابتسم مراد بسخرية وهو ينهض قائلاً...

- ليس لدى وقت من أجلك.. ولكنى سعيد لأنى كنت محط اهتمامك، وفي الأخير لقد عاد هذا الرجل لزوجته لأنه يحبها ويعشقها ولا يستطيع أن يحيا بدونها، وأى سبب آخر يخبرك به فهو كذب.

* * *

لا يحب أى إنسان أن يعترف أمام الغير أنه على خطأ.. ولو أمام المرأة.

أحيانا يود الشخص لو يتغير ويخرج من عباءة الواعظ خاصة عندما لا تكون مناسبة له.

وعندما علمت مى بالموعد الذى تحدد للقاء يوسف لم تدع والدتها تذهب للقائه، بل أصرت هى على الذهاب بنفسها وأكدت لها أنها ستكون على خير ما يرام.

ولكنها لم تكن بالفعل تدرى ما تفعله، وما أقدمت عليه، لذا فقد حسمت أمرها، واتصلت بحازم لتطلب منه التواجد فى الموعد، لكن هاتفه كان مغلقا كالمعتاد..

ثم اتصلت بصافى لتعرف منها عنوان بيرى التى اندهشت كثيرا عندما رأتها أمامها.. فقالت مى فى براءة..

- هناك تفسير لتلك الزيارة..

نظرت لها بيرى بفراسة.. ثم دعته للدخول..

عندما انتهت مى من شرح سبب الزيارة.. ظلت بيرى كما هى تنفرس فيها بدون أى كلمات... ولكنها فهمت ما ترمى إليه بيرى بتلك النظرات... فصاحت..

- أعلم وأعترف وأعتذر.. لقد كنت محقة بشأنى.. وأنا بالفعل
أخشى من ظلى، ولا أعلم كيف أدير لعبة الحب.. لذلك فشلت مع
أحمد وها أنا أعيد نفس الفشل مع يوسف!
بيرى هل أنا قبيحة ليعزف عنى الرجال؟
أدركت بيرى حجم المشكلة.. فتكلمت أخيراً..
- كلا أنت لست قبيحة، ولكنك لا توازينهم فى الكذب والخبث
والنفاق.. بالإضافة أنك لا تحسنين الاختيار.
تدخلت مى بسرعة..

- بيرى أرجوك.. ليس هناك وقت للمحاضرات..
تفهمت بيرى ثم قالت وهى تغوص فى مقعدها...
- لماذا رغبت فى تواجد حازم؟
ثم تساءلت مرة أخرى بجديّة...
- هل من الممكن أن تشرحى لى سبب تلك الخطوة الغبية.. لماذا
تجعلين منه شاهداً على جولة من الممكن أن تخسريها.. هل اعتقدت
أنه من الممكن أن يؤثر على يوسف فيتراجع عن قراره مثلاً!
صمتت مى.. ثم قالت..

- لا أعلم.. ربما، ولماذا؟ ولكن كل ما فكرت به هو أنه يجب أن
يكون حاضر أثناء انفصالنا كما كان متواجداً ونحن نتعرف على بعضنا
البعض..

وعلى كل حال، اطمئنى لأن هاتفه مغلق!
نظرت بيرى إليها بصبر وقالت بهدوء..
- نعم.. وبعد!

هزت مى كتحفها علامة عدم الفهم..

- إذا كنت أعلم ماذا بعد لما كنت متواجدة معك حاليا!.. أنا أبحث عن الحلول معك.

وضعت ببرى ساقا فوق ساق ونظرت لها بجدية وهى تقول أمرة...

- ستنفذين كل ما أقول لك دون زيادة أو نقصان وإياك والتصرف

من تلقاء نفسك..

لأنك ستتجلدين وتتبلد مشاعرك، وإذا فاجأتك الدموع تذكرى دائما

تحليته عنك دون أن يرف له جفن.. واستمعى جيدا لما يقول ولكن

لا تظهرى له ذلك حتى يصل له الشعور بأنك تهملين وجوده أساسا، ثم

عليك أن توحى له بشيخ رجل جديد فى حياتك.

نظرت لها مى ببلاهة وهى تقول..

- ولكن لا يوجد أى أشباح فى حياتى الآن!

طفح كيل ببرى وهى تقول...

- سنجعلهم يظهرون إذن يا مى!

هزت مى رأسها علامة الفهم وهى تقول...

- فهمت.. ولكن هل ستنطلى عليه تلك الخدعة القديمة؟

أصبحت ببرى أكثر شرا وهى تقول بشراسة...

ستنطلى إذا ما نفذت ما أقول جيدا دون نسيان أى تفصيل ولو كان

دقيقا، ثم بدأت بالسرود...

* * *

لا يوجد بالحياة ما هو أسوأ مما يسمى بالحب من طرف واحد،

والأسوأ منه أن تعيشه مجبرا فى بيت واحد.

وعندما التقى نادر بداليا فى المكان الذى حددته كان محطما تماما، نتيجة النقاش الأخير الذى دار بينه وبين مروة، ولكن داليا استطاعت أن تقرأه من أول نظرة. وعلقت على أن محياه يبدو عليه الضيق، فابتسم فى رفق وقال لها نفس الجملة.. فأخبرته بقرار شادى شقيقها الوحيد بالهجرة إلى أمريكا مع كريم ابن عمه وشقيق مروة، وأنها تركته بالمنزل متردداً كيف يخبر عمه بالخبر.

ثم سألته عن سبب ملامح الضيق على وجهه.. وأخبرها هو الآخر عن الصباح الرهيب الذى عاشه، ولم يهمل شيئاً من خلافاته مع مروة ولم يشعر بالوقت.. فقط ظل يتحدث ويخرج كل مكونات صدره دون أن تستوقفه لحظة.. بل ظلت تستمع لما يقول وبكل آذان مصغية حتى انتهى مما يقول...

فى البداية اندهشت داليا وشعرت أنها أمام شخص آخر لا تعرفه وأصبحت فى حالة ذهول، ثم تكلمت وقد جمعت شتات نفسها..

- إذن أنت تحاول منذ عام إيجاد حل لعدم الإنجاب دون علم مروة؟
ولماذا لم تجعلها تشاركك أملك؟
صمت لحظة ثم قال بروية..
- لأننى أحبها..

تجمدت داليا أمام الكلمة.. ثم قالت..
- ومن خلال ذلك النقاش... ما الذى استنتجتته؟ هل لازلت هى تحبك؟ وهل لازلت تكن أنت لها نفس المشاعر؟
أمسك نادر رأسه بوهن وهو يقول...

- هى تتهمنى بالغش والخداع.. ولا تقدر ما أكنه لها من حب وما عانيته ولا أزال أعانيه بسبب ذلك الحب. لقد ظننت للحظة أن

ما جمعنا معا كقيل بحل تلك المشكلة وتجاوزها.. ولكنه أصبح الآن كالكابوس.

تساءلت داليا باندهاش...

- ما الذى تتحدث عنه؟ مستحيل أن تفكر مروة بتلك الطريقة.. إنها تحبك بجنون! هل نسيت ما فعلته كى تتزوجك؟

ضحك نادر فجأة.. قائلاً..

- حب! إنه يصبح سرايا فى لحظة.. ولا أظن أن هناك شيئاً يمكنه رأب ذلك الصدع الذى حدث بيننا.

استنكرت داليا ما يقول..

- لا تجعل سببا تافها مثل ذلك أن يهدم حب عظيم كحكما.. إنها تحبك بجنون.. فلا تياس.

استسلم نادر لبراءتها... قائلاً..

- داليا.. السبب ليس تافها، لأن كل امرأة لديها غريزة الأمومة حتى وإن كانت غير متزوجة..

هزت رأسها نفيًا وهى تقول..

- أنا أستطيع أن أتعاش دونها مع حب عظيم يملأ حياتى!

خرجت ضحكة صافية من نادر وهو يقول..

- ليت كل النساء مثلك، ولكن عليك أن تصدقى أن أقوى النساء تضعف

أمام ما ضعفت أمامه مروة لذلك أنا لا ألومها، وكنت حريصاً على أن أبذل أقصى طاقتى، وفضلت إخفاء الأمر عنها عسى أن أجد حلاً أو أرى بارقة أمل.

ولكن انظرى كيف سارت بنا الأمور؟ وكيف قامت هى بتفسيرها؟

داليا.. إذا حدث الانفصال لن يكون بسبب قدرتى على الإنجاب

أو عدمها، ولكن بسبب ما وصلنا إليه معا.

ذعرت داليا عندما سمعته يتحدث عن الانفصال.. فحاولت أن تهدئه...

- ستكون الأمور بينكما على ما يرام صدقتى.. وستأتى إليك مروة وتعتذر لك لأنها تعلم ما تكنه لها من حب وتقدير.. وسترى ذلك بنفسك!

طلت من عينيه نظرة يأس وهو يقول..

- مروة منذ أن تزوجنا لم تعتذر لى مرة واحدة.. أنا دائما من يعتذر سواء أخطأت أم لا.. حتى أصبح ذلك عادة!
أنا لا أريد أن أعود للمنزل.. مجرد دخوله أصبح مثل الكابوس على صدرى.

تراجعت داليا أمام تلك الكلمات.. وقالت بهدوء

- هل معنى ذلك أنك حسمت أمرك ولا رجعة فيه؟

قال بهدوء...

- نعم... ذلك أفضل للجميع، مروة تفتتح شركتها وترضى طموحها - هذا إن كان له حدود

- وبالتأكيد لن تتوقف عندي وستسعى للزواج مرة أخرى.

أما أنا.. سأستمر بالشركة ولكن مع الفارق - سأسقط كل الهموم من فوق عاتقى - لقد أهلكتنى وأثرت بالسلب على قلبى وعقلى وعملى ونفسى..

جعلتنى أكذب وأنا لا أحب أن أكذب، جعلتنى بوجهين وأنا لا أحب أن أعيش بوجهين... بل أريد أن أنعم بالهدوء والسكينة داخل بيتى وخارجه.

والآن بعد أن علمت ما يؤرقنى... هل نكمل ما لم نتمه فى منزلكم؟
صمتت لحظة ثم قالت بخجل..

- ما لم نتمه له علاقة بما كنت تتحدث عنه!
سأل باستغراب..

- كيف؟ ما هى العلاقة بين انفصالى عن مروة بزواجك أنت؟
قالت وقلبها يكاد يتوقف...

- أنا أحب شخصا ما...
ضحك نادر وهو يقول..

- مع الرفض المتكرر لكل هؤلاء.. ليس من الصعوبة استنتاج ذلك،
من هو سعيد الحظ؟

نظرت له بفرحة.. وقالت

- هل ترى بالفعل أنه سعيد الحظ؟ أم أنك تسخر منى!
اندهش من قولها.. وأكد قائلاً..

- بالطبع.. ألا تعطى نفسك حقها ولو مرة واحدة..
ثم سألها مباشرة..

- هل تعرفه؟ أم تعرفت عليه بعيدا عن محيط الأسرة؟
ترددت قليلاً.. ثم قالت..

- نعم.. إنه من محيط الأسرة، ولكنه لا يعلم ما أكن له من مشاعر..
فى الواقع أنا أحبه دون أن يدرى!

صاح نادر بعصبية..

- ماذا؟ هل تسخرين منى؟ إنه بالتأكيد أحق لأنه لايمكنه أن يشعر
بكل هذا الفيض من الحب والإحساس.

- ردت بصوت هادئ..
- لا تنعته بالحماقة... أنا لا أعرف إذا كنت على صواب أم لا؟
سألها وصبره يكاد ينفذ..
- وهل هو على علم الآن؟
وردت هي بمكر...
- وماذا ستفعل إن كان هو على علم؟
هز كتفيه قائلاً..
- أنا لن أفعل شيئاً، هو الذى عليه أن يسلك الطريق الصحيح ويتقدم
لخطبتك.
- صمتت لحظة قبل أن تقول...
- ولكنه متزوج يا نادر! ومن الممكن أن نعجز عن الارتباط.. بل من
الممكن أن أعجز أنا عن اخباره!
أمسك رأسه بيديه وهو يقول..
- ماذا؟ هل جننت؟ تحبين رجلاً متزوجاً.. وترفضين كل تلك
الفرص الثمينة من أجله!
قالت بهدوء أدهشه...
- اهدأ يا نادر... صدقنى إنه يستحق!
صاح وهو يستشيط غضباً..
- وأنت... ألا تستحقين؟؟ الوقت الذى يمر لا يعود.. أحب أن
أذكرك بذلك.
- للأسف.. كنت أعتقد أنك من ذوات العقول الراجحة ولكنك بعد
ما صرحت به، أعترف أنك مختلفة تماماً، بل وسأقنع عمك بأن يزوجك
ذلك الرجل الذى تقدم من أجلك.

كيف تدافعين وتخلصين لشخص لا يعرف من الأساس أنك تحبينه..
ومتزوج!!
قالت وقد ضايقته طريقته..
- لأنى واثقة من أن إحساسى سيصل إليه!
قال وقد أعماه الغضب...
- أنتِ مصرة على استفزازى بقوة.. هل من الممكن أن أعلم من هو
ذلك الشخص؟ وأعدك أن لا أقدم على أى فعل متهور..
صمتت لحظة.. مرت عليها كالدهر ثم قالت..
- إنه... أنت.

* * *

عندما يعيش الإنسان مع إنسان آخر وكأنه سراب فى حياته، لن
يكون من الصعب التعايش مع الذكرى عند الرحيل.
ذلك هو الإحساس الذى عاش فيه مراد وتلك هى الحالة التى كان
عليها منذ رحيل بسة.

كانت الأيام تنقضى وحسب.. فقد تعود منذ الصغر على أن لا ينام
أكثر من خمس ساعات، حتى تعود عقله على ذلك. فهو يستيقظ
فى تمام العاشرة صباحا.. يشرب قهوته ويتصفح بريده الألكترونى..
ثم يجلس أمام أبحاثه قرابة ثلاث ساعات.. ومن ثم يتوجه للعيادة
ليستقبل مرضاه من الخامسة وحتى العاشرة مساء.. ثم يستلقى مغمض
العين مكان المرضى حوالى ساعة للاسترخاء.

ومع التكرار تحول كل ذلك من عادة إلى طقوس لا يمكن أبدا أن
تتغير.. حتى يأتى حازم ويبحث معه عن مكان كى يقضيا فيه ما تبقى
من الليل.

وأغلب الأوقات يكون خيارهما هو صالات البلياردو والبولينج وأحياناً يقرران الذهاب إلى شقة حازم بالمعادي، ولا يتوقف أى منهما عن التحدث حتى إنهما فى بعض الأوقات يكتبان فقط بالضحك دون أى سبب. حتى أخير مراد حازم باضطراره إلى السفر للخارج لحضور مؤتمر علمى مهم.. وأنه بحاجة لمثل هذا التغيير فى حياته فى الوقت الحالى. وأرقت تلك الرحلة حازم وجعلته عصبياً بعض الشيء، فالابتعاد عن مراد أمر عادى، ولكن لمدة خمس أيام أمر مزعج بالنسبة له! فمن الذى سوف يستمع إليه؟ ومن الذى سيخلصه من عذاب الضمير تجاه ما يفكر به هو وعمر بخصوص سارا؟ لذا فقد صب كل تركيزه على العمل، واكتشف أن الكثير من الأشياء مرت دون علمه، وقد كانت استقالة ببرى أبرز الأوراق أمامه على المكتب، ومعتمدة من صلاح فى انتظار توقيعه. وكانت المفاجأة أن صلاح لم يكلف نفسه عناء إبلاغ حازم رغم علمه أهمية ذلك، ولذلك ثارت ثائرتة ودخل المكتب وهو يهدد، بأن ما يتجاوزه يعد إهانة شخصية توجه له من قبل صلاح. وشعر بإهانة كبرى وهو يسمع ضحكاته ترن بالمكان مع أحمد الذى شرع فى اللعب بهاتفه المحمول.

وهنا لم يتمالك حازم أعصابه وهاجم أمام الجميع.. قائلاً فى عنف..

- كيف توافق على استقالة مهندس أنا الذى قمت بتعيينه وأنا الذى يدفع له راتبه؟

وهنا رد صلاح بعصبية مفرطة...

- وأنا الذى أدير هذا المكان، وأعتقد أن الإدارة لها علاقة بتقييم الخبرات والكفاءات.. هذا ما نص عليه العقد المبرم بيننا، هل نسيت؟

ذهل حازم من مكابرة صلاح، وقرر تلقينه درسا قاسيا فقال في
برود...

- أراك أنت الذى تنسى! من هنا الذى يمنع ويقطع؟ ومن الذى
يسيطر على مجريات الأمور فى نهاية الأمر؟

رد صلاح ببرود زائد على الحد قائلا...

- بلى لم أنس، أنا الذى يسيطر على هذا المكان!

ثارت ثائرة حازم مرة أخرى...

- لا يا صلاح أنت تدير المكتب وليس الشركة، لا يمكنك أن تسيطر
على الشركة لأنى أنا الذى وقعت معك العقد قبل خمسة أعوام، وليس
شخصا آخر. ومن حقى فض الشركة فى الوقت الذى أريد دون إبداء
الأسباب، وأقسم أنى قادر على ذلك. لقد تماديت يا صلاح وأخذك الغرور
بعيدا حتى ظننت أنك يمكنك أن ترغمنى على فعل شيء لا أرغبه، وأن
تتحكم فى مالى وفى نفسى.. وقد نسيت تماما أنى أدير مع أخى أهم
مجموعة اقتصادية فى الشرق الأوسط. فهل سيكون من الصعب أن أصيغ
عقدا أحفظ فيه كافة حقوقى، وأربح به ضعف ما سوف أنفق. وهنا
بُهِتت كل الوجوه وتغير لونها وهو يكمل...

- أنا قررت فض الشركة لأنها تمر بأزمة مالية كبرى، فهل يمكنك
منعى من ذلك؟

للأسف يا صلاح، لقد اعتقدت طول الوقت أن صيغة العقد تحميك
وأنتى أبله وقد سلمتك كل شيء..

وصرخ صلاح فجأة..

- هل جننت؟ تهدم حلم عمرك من أجل امرأة؟

ورد حازم وقد هدأت طبقة صوته شيئاً فشيئاً...
- أنت الذى جننت يوم ظننتنى غيباً أو ساذجاً، وأنه من الممكن أن أكون وقعت عقد شراكة يجعلنى الطرف الأضعف أمام من هو شريك بالإدارة. وأنا أعمل فى مجال الصفقات والعقود والبنود منذ نعومة أظافرى، هل اعتقدتنى حقاً بتلك السذاجة؟
خمدت كل الثورات التى تعتمل داخل صلاح وتأبى أن تظهر للعيان، ولوهلة اكتشف أنه كان مجرد لعبة بيد حازم ينفذ فقط ما كان يرغب به. وضايقه ذلك الشعور كثيراً خاصة عندما وجد الجميع ينظرون إليه وينتظرون رده.

ولكن كل الحضور شىء، ونظرة صافى إليه كانت شيئاً آخر! وانعقد لسانه ولم يدر لأول مرة فى حياته ماذا يقول أو ماذا يفعل؟
ووجد نفسه يسأل فى حيرة...

- فى الواقع لقد توقعت غضبك وردة فعل قوية ولكنى لم أتوقع أن تدمر بناء ظللت تعكف عليه وتحلم به منذ أن كنت صغيراً..
ثم سألت باستنكار...

- هل ستفعل ذلك فعلاً أم تلوح به فقط؟. نظر له حازم بسخط، ثم لانت كلماته وهو يقول...

- لا.. أنا لا أهدد أو أطلق شعارات جوفاء، بالطبع يمكننى أن أفعل.. فقط كى يتضح للجميع أن المادة تسود على رأى الأغلبية، ولكن يمكن التغاضى عن المادة فى حالة رجوع بيرى للعمل مع اعتذار منك عما بدر، ما رأيك يا صلاح؟

تخلى صلاح عن العصبية قائلاً فى هدوء...

— هى التى أصرت وألحت وبشدة، ثم إنها لم تستطع المواجهة
والتواجد مع أحمد فى مكان واحد بعد أن رفضها!
تقلصت ملامح وجه حازم وهو يقول باستنكار شديد اللهجة...
— هل جننت يا صلاح؟ من الذى يرفض من؟ لقد ظننتك أذكى من
ذلك!

فكيف يخطر بخيالك أن أحمد يرفض بيرى؟ إنه على الأرجح رأى
ذلك فى منامه، وأنت من سذاجتك صدقت الرؤيا!
ضحك الجميع باستثناء أحمد وصلاح الذى رد مدافعا باستماتة...
— لقد عرضت نفسها بالفعل على أحمد وقد رفض بشدة.. وهنا
لم يتمالك حازم أعصابه، فهوى بقبضته على المكتب صارخا..
— ما هو مصدرك فى تلك الحقيقة المؤكدة يا صلاح؟ هل كنت موجودا
مثلا وقت عرضت عليه الزواج؟ ثم جلس معلقا فى سخرية على حالة
التيبس التى كان عليها أحمد...
— إنه يهذى! ألا ترى ذلك؟
وتدخل أحمد فى الحوار لأول مرة كى يدافع عن نفسه ومعلنا عن
أشياء لم يعلمها أحد من قبل...

— نعم لقد أتت إلى منزلى وعرضت على الهرب معا إلى فرنسا!
— وردد صلاح بعض الكلمات، ونظر حازم غاضبا مستنكرا...
— ولماذا تهرب؟ إن زواجك منها ليست جريمة تستحق الهرب،
ما لم تكن مطلوبة على ذمة قضية معينة أو أنها تشعر بأن ذلك الزواج
جريمة فى حد ذاته!
انفجر المكتب ضاحكا مرة أخرى.. واهتز أحمد شيئا قليلا وهو
يقول...

- أنها لم تكن تريد أن يعلم أحد بزواجنا مطلقا وخاصة أنت! ضحك حازم بشدة معلقا...

- لماذا أنا بالذات؟ هذا ما نريد جميعا أن نعرفه، مع العلم بأنك كرجل مسلم من حقك أن تتزوج من كل الديانات دون الخوف من العواقب.

رفع أحمد كتفيه وأخفضهما نافيا قائلا...

- لا أدري، إنها لم تخبرني قط!

جلس حازم واضعا ساقا فوق ساق..

- جيد.. من حقك أن تعرض أسبابك، ومن حقها أن تدافع عن نفسها أيضا!

علق أحمد مازحا بتردد..

- وأين هي الآن؟ على ما أعتقد كانت سترحل إلى فرنسا كي تنسى ما فعلته بها.

نظر حازم إلى عينيه مباشرة وهو يقول..

- إنها فى طريقها إلى هنا.. لقد دعوتها لتعرض وجهة النظر الأخرى.. وأيضا حتى تتسنى لي معرفة سبب هروبها مني.

أصبح وجه أحمد مائلا للزرقة وهو يسمع ما يقوله حازم.. وعندما تأكد أنه لا يكذب بات مستسلما وهو يرى بيري عند الباب وتنتظر نحوه بانتقام...

وكان حازم هو أول من تحدث...

- أولا: كيف تتقدمين باستقالة للمدير التنفيذى وليس لرئيس مجلس

الإدارة؟

ثانياً: هل عرضت الزواج على أحمد والهرب معه إلى فرنسا؟ وتم رفض عرضك؟

ومع الكلمة الأخيرة نظرة خبيثة من حازم نحو بييرى..

وجلست بييرى على مكتبها.. وقالت بثقة لا حدود لها...

- أولاً.. أنا لم أجدك حتى أتقدم إليك بالاستقالة.. ثانياً أحمد إذا كان يعاني مرض الزهايمر أذكره أنه لا يزال صغيراً كي يصاب به. أما إذا كان يتناسى فهو الذى سعى خلفى كما يسعى الفهد وراء الفريسة بكل طاقته ولكنى كنت له دائماً بالمرصاد، وآخر المطاف تركت له المكان لعله يجد فيه من يؤنسه.

وصرخ أحمد بقوة ولكن أحدا لم يسمع صرخته... لأن الصرخات كلها احتبست داخل حنجرتة ولم تتجاوزها قط.. فقد كان ما فعله حازم اليوم هو آخر ما توقعه أحمد...

وترنح من شدة الصدمة وحاول أن يتحدث بصوت عالٍ ولكن على الرغم منه خرج الصوت ضعيفاً وهناً..

- ما تفوهت به كذب، ولن يصدق كلامك أحد..

قالت بييرى بسخرية..

- حقاً! وما رأيك باللون البنفسجى الذى أصبح عليه وجهك الآن! وتحدث حازم بهدوء...

- أنا أصدقها، وانضمت له مى وصافى...

وضحكت بييرى وهى تؤكد صدق كلامها وتشير إلى أن مراد ما كان سيختلف كثيراً على ما اتفق عليه الأغلبية.

وهنا التفت صلاح نحو أحمد وسأله بطريقة مباشرة..

- هل ذلك صحيح؟ وإياك أن تكذب لأنى سأعرف؟
وجاوب سؤاله صمت مدقع ، وشبح لدموع قل أن تتواجد فى عيني
رجل... وغادرهم مسرعا أو بالأحرى مهرولا...
صمت الجميع وهم فى ذهول تام، فمن كان يتصور أن أحمد يهين
له خياله المريض كل تلك الترهات.. ليس ذلك فحسب بل إنه استطاع
أن يقنع بها صلاح أيضا.

* * *

وصلت مى قبل موعدها مع يوسف بخمس دقائق ولكنها اختفت كى
لا يراها وذلك تنفيذا لتعليمات بيرى.
انتظرت حتى دخل إلى الكافيه الذى اختارته هى ، وذهبت لتصلح
من المكياج وجعلته ينتظر... ثم جاءت وهى فى قمة الثقة بالنفس
حتى إنه اعتقد أنها هى التى طلبت فسخ الخطوبة ، وليس هو...
ولفت انتباهه كيف كانت تبدو؟ وكيف تسير؟ وفى الوقت الذى كان
يتساءل فيه.. كانت دقات قلبها تتسارع وكأنها تجرى منذ ساعتين على
الأقل، وتذكرت فى تلك اللحظة ضبط النفس الذى تحدثت عنه بيرى
وجلست...

ردت عليه التحية بلا مبالاة.. وسألته عن حازم..
ثم مدت يدها بجوارها وأخرجت حقيبة الهدايا ووضعتها أمامه وهى
تقول بصوت متزن..

- بالطبع توقعت والدتى تأتى اليوم ولكنى قوية بالقدر الكافى ،
ولازلت أقف على أرض ثابتة.. كما أننى أبادلك نفس الشعور بعدم
الارتياح..

- لمحت مى ابتسامة سخرية من يوسف وهو يقول..
- هذا ليس صحيحا.. لأنك بنفسك اعترفت أننى رجل أحلامك !
لم تعجبها طريقته.. فقالت ببرود..
- لا أذكر أننى قلت عنك تلك الجملة.. ولكنى استيقظت من كل الأحلام.. ومحوت ما تبقى من علاقتنا تماما.
- لم يكن يعلم أن مى لديها ذلك القدر من الثقة بالنفس.. فاهتز قليلا وهو يسألها..
- أنت بالتأكيد غير مبالية بانفصالنا؟
ضحكت وهى ترتعش من داخلها.. وقالت بهدوء..
- على العكس لقد ساعدتنى التجربة التى خضتها معك على تجاوز مخاوفى والبت فى قرار ظل متأرجحا شهور.. وأخيرا وافقت عليه.
- تساءل بفضول.. ما هو القرار؟؟
- وأظهرت له يدها اليمنى بزهو.. وقد استقر بها خاتما من الألماس.
لم يصدق ما تراه عيناه.. فقال فى برود..
- غير معقول! لقد استأجرته فقط لإثارة غيرتى ليس إلا.. ولكن ذلك الأسلوب القديم عفى عليه الدهر ولن ينطلى على شخص مثلى!
- لمح ابتسامة سخرية منها وهى تقول...
- لقد كان منتظراً فقط موافقتى.. وأنت من منحنى تلك الموافقة.
- سأل بهذيان...
- كيف.. من.. ومتى؟ لقد كنت مع والدتك فقط منذ أسبوع.. إننى لا أصدق تلك الحكاية الغيبية.
- مالت للأمام وهى تنظر فى عينيه مباشرة...

- هل تظننى كاذبة؟ لأننا سوف نتزوج نهاية الصيف ولا أمانع أن تكون ضمن الحضور.

بهت من جرأتها وثقتها التى لم يشعر بها يوما من الأيام على الرغم من أن خطبته لها استمرت ثلاثة شهور لم ير فيها هذا البريق والتوهج فى عينيها.. بل لم يرها بمثل هذا الجمال والتأنق واللباقة.

ووجد نفسه يسألها...

- هل هى غلطتى أم غلطتك؟

ردت ببساطة وبراءة..

- أى غلطة؟

ابتسم قائلاً..

- هل أنا الذى لم ير أجمل ما فيك؟ أم أنت التى تخلصت منى؟

اقتربت من انتقامها.. فقالت

- من الجائز أننا لم نقهم بعضنا البعض جيدا! أنا بسيطة جدا، وأنت تريد أن تتعامل بالألغاز طول الوقت.

انحسر صوته وهو يقول...

- كل ما طلبته منك أن تحبيننى بشكل معين.

ووجدت نفسها تردد لا شعوريا..

- لولا اختلاف أشكال الحب لوجدت الناس جميعا يرددون نفس

الكلمات.

حاول أن يلمس يدها وهو يقول..

- مى... هل بحياتك بالفعل شخص آخر؟

انتزعت يدها من يده وهى تقول بغضب..

- وهل يمكن أن أشتري خاتمًا كهذا فقط.. من أجل نصف ساعة؟
قال بحذر...

ولكن حازم لم يذكر لي أنك ارتبطت.. ولا أعلم ما هي اللعبة التي
تلعبونها؟ ولكنى لا أصدقك!

انفعلت مع الكلمات وكاد قلبها أن يقف مع سرعة النبضات ولم ينقذها
سوى رنين الهاتف في يدها... ولكنها كانت في غاية السعادة وهي
تتلقى تلك المكالمة الوهمية التي اتفقت عليها مع بيرى..
ولاحظت أنه يتفرس ملامحها ويحاول أن يعرف إن كانت صادقة
أم لا..

وفجأة مدت يدها بالهاتف وهي تقول له.. إنه يريد أن يتحدث
إليك..

أمسك يوسف بالهاتف وهو لا يكاد يصدق نفسه... ووجد الطرف
الآخر يقول..

- لا أعلم كيف أبدأ معك.. ولكنى أشكرك!
سأل بحذر...

- وعلى ماذا تشكرني بالضبط؟

وهنا اهتز الصوت لحظة.. وقال بهدوء...

- معذرة.. ولكن خطيبتى قالت إنك ساعدت بشكل كبير في
موافقتهما على الزواج منى..

صمت يوسف ثم قال بنفس الحذر..

- بالفعل لقد لعبت دورا فعالا.. ثم أعطاه الهاتف وهو في حالة
من الذهول.

ثم قال وهو غاضب..

- هل هذا ما أخبرته به عنى؟ أننى من ساعدك فى اتخاذ القرار!
إنه يجهل أصلاً أننا كنا مرتبطان..

من الواضح أنه يثق بك وإلا ما كان طلب أن يكلمنى، كما أنه على
علم بوجودك معى!

ردت وثقتها تعود شيئاً فشيئاً...

- بالطبع وأنا أيضاً أتق فيه بشكل مطلق.. ويكفى إخلاصه الذى
لا حدود له.

سألها بجدية تامة..

- هل يمكن أن تتزوج فتاة مثلك بهذا الشكل؟ ظننتك رومانسية
ويثير الورد إعجابك وجنونك!

نعم.. من الممكن أن نتقابل صدفة فى مكان واحد وأدرك بعد ساعة
واحدة من الحديث معك أنك أنت من أريد قضاء باقى عمرى معه.. نعم
يمكن.. إذا كان من نفس النوعية التى أتنمى إليها.. لأن البشر أنواع
مثلما القلوب أنواع!

رفع يديه دليل الاستسلام وهو يقول..

- لم أكن أتصور أن اللقاء معك سيكون بهذا الشكل؟
وبدون أى تعقيد.. كان ردها..

لقد أبى القدر أن أواجهك وأنا ضعيفة ومنهارة، لا تنس أنك تركتني
حوالى شهر دون أن تسأل عنى... لذا فقد كنت مهياًة نفسياً لقرار
الانفصال.

قال وهو يكاد أن يبكى..

- ولكنى لا أريد أخذ تلك الأشياء... أرجوك دعيها ذكرى.
شعرت بانتصارها.. فقالت فى برود
- ولكنها ذكرى لا أريد أن أتذكرها...

* * *

منذ انتحار بسمة ومراد لا يقيم بالشقة، أصبحت كل إقامته بالعيادة،
وكان يذهب فقط للضروريات..

وفى آخر زيارة قابل صاحب العمارة الذى عرض عليه مبلغا كبيرا
مقابل تنازله عن الشقة ووعده مراد فى التفكير فى الأمر، وكاد أن يوافق
قبل أن يتراجع فى آخر لحظة.

فقد اهتدى عقله لحل آخر وهو أنه لا بد من إقامته بشقة منفصلة عن
العيادة وإلا فقد عقله، فليس من الممكن أن يكون عمله وبيته فى مكان
واحد. لذلك طلب من الرجل شقة فى إحدى بناياته الأخرى تكون على
نفس المساحة والجودة مقابل شقته الحالية.

ولم يفهم الرجل معنى الطلب ولكنه وعده بالتنفيذ فى أقرب وقت
ممکن.

وبينما هو مستلق على الأريكة بعد آخر الجلسات... رن هاتف
العيادة الذى أيقظ مراد من شروده...

ووجد أنها صافى فبادرها بالسؤال عن صلاح.. خاصة بعد ما حدث
فى المكتب وهو غائب أثناء المؤتمر..

فأخبرته أن الجميع تجاوز الأزمة، ويبرى عادت للعمل من جديد.
ثم سألته فى فضول...

- كيف كان المؤتمر؟

صمت لحظة ثم أجاب..

- ممل! جلسات وندوات ونتائج.. كالمعتاد، ولكنه كان بالنسبة لى متنفساً جديداً وخروجاً من حالة عدم التوازن التى أمر بها.
قالت بمزيد من الفضول..

- ألا زلت ترفض العودة للمنزل؟ أأزلت تعيش بالعيادة؟

فهم مراد الدافع وراء سؤالها.. فقال فى هدوء

- إننى أتدبر أمورى على نحو جيد، والمساعد فى العيادة يقوم باللازم على أكمل وجه.

لم تستطع أن تتحكم فى فضولها..

- أتخشى التواجد بالشقة وحدك منذ الحادث؟

صاح مراد بصعوبة..

- أنا لست أخشى شيئاً.. ولكننى لا أريد التواجد بالشقة لأنى أتذكر بسمه وأراها طول الوقت باستمرار.

فقالت صافى بوهن...

- وماذا فى هذا؟ ألم تقل وأنت تبكى (يا ليتها تعود وأنا أظل

بجوارها)

صمت مراد وقد فرغ صبره..

- نعم.. لقد قلت ذلك يا صافى.. ولكن هناك مشكلة.. إن الأموات

لا يعودون، ولا أحد يفضل البقاء مع الأشباح.. ما الذى ترمين إليه؟

سألت ببراءة..

- أتخاف الأشباح يا مراد؟

أصبح مراد عصيباً بعض الشيء وهو يقول...

- أنا لا أخاف من الأشباح يا صافى ، بل إنى لا أؤمن بها أصلا ،
ولكنى لا أفضل دخول المكان وتذكر مشهد بسمه وهى مدرجة فى
دمائها... هل هذا سببا كافيا لإشباع فضولك !
لانت قليلا وهى تقول..

- ليس فضولا ولكننا نريد الاطمئنان عليك ومعرفة كيف تتدبر أمورك؟
قال بتذمر..

- إننى أندبر أمورى جيدا ، تدبروا أنتم أموركم.. حتى لا تكون
حياتكم الخاصة حاضرة على كل الموائد!
سألته بعصبية..

- ماذا تقصد بكلماتك يا مراد؟ أنا أطمئن عليك لا أكثر..
قال بسخرية...

- وأنا أرد على أسئلتك لا أكثر!
شعرت بالضيق يجتاحها بعد تلك الكلمات القاسية والمباشرة منه..
ففضلت إنهاء المكالمة..

* * *

ما كل ما يتمنى المرء يدركه... تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن.
منذ أن دب الشقاق بين صلاح وأحمد بسبب ما حدث مؤخرا فى
المكتب بخصوص بيورى لم تعد الأمور فى نصابها الصحيح مرة أخرى.
فقد بدأ حازم ينتظم فى الحضور للشركة بشكل يومى والمرور على
أقسامها ومكاتبها ويغضب للتأخير ويعاقب المقصرين ، ويناقش كل
صغيرة وكبيرة..

ولم يحب صلاح ذلك لأنه كان يرى أن ذلك من صميم تخصصه هو كمدير تنفيذى للشركة، ولكنه وجد نفسه يطلب تفسيراً من حازم عن تدخله في أمور كهذه..

وهنا هز حازم رأسه ورد ببرود...

- لأنك لم تتدخل حين كان يجب عليك أن تتدخل. وأنا لن أنتظر غرق المركب، أنا أريد أن أحقق أرباحاً.

وسأل صلاح ببرود مماثل..

- وماذا نحقق نحن؟

وهنا ثار حازم وهب واقفاً...

- لقد اطلعت على كافة أرباح الشركة منذ بداية العام وحتى الآن يا صلاح، وهي لا تغطي حتى الخامات المستخدمة، أنا رجل أعمال ولست شيخ طريقة.. لن أدع الشركة بين يديك حتى نستدين على نهاية الموسم، ثم إنك ترفض مشروعات عملاقة من الممكن أن تدر ملايين على الشركة وتوافق على استقالة الموظفين.. هل نحن بصدد إعلان إفلاسنا وإغلاق الشركة يا صلاح؟

صاح صلاح وهو في قمة الغضب..

- لماذا تصرف في الفترة الأخيرة على تذكيري بأنك صاحب الشركة؟ ألسنت مديراً كفوفاً من وجهة نظرك؟

لانت لهجة حازم وهو يقول..

- أنت إنسان جيد يا صلاح، ولكنك لست صلاح الذي بدأ معي هذا المشروع وكان لا يتوقف أبداً عن النشاط والعمل، أنا لا أكذب يا صلاح حين أقول إنني أحب أصدقائي ولكني أحب الربح أيضاً.. أليس هذا حقاً مشروعاً؟

هز صلاح رأسه بأسى وهو يقول..

- مشروعا يا حازم، ولكن ألم تلحظ أنني تغيرت منذ عودتي لصافى؟

قال حازم بصدق..

- نعم لاحظت!

لان صوت صلاح وهو يقول..

- إذن لا تضغط على أكثر من اللازم كسى لا أنفجر، ودعنى أصلح

الأمر شيئا فشيئا... وأعدك أن نحقق هذا العام أعلى الأرباح، ودون

طرد المزيد من المهندسين! ثم استطرد مازحا..

ولكن قل لها ألا تتقدم باستقالتها مرة أخرى.

ابتسم حازم.. قائلا بصدق..

- ولكن احرص على المرور المفاجئ وزيادة حجم المشروعات، واقبل

مشروعات كبيرة ولا تقلق من المالىات لأننا لن نكبر ما لم نقبل عملا

كبيرا... هل تعدنى بذلك يا صلاح؟

أجاب صلاح طواعية..

- نعم.. أعدك وسوف نسلم كافة المشروعات قبل موعدها أيضا،

ولن أدع مهندسًا يغادر دون أن أتأكد أنه انتهى من عمله بأكمله،

بالمناسبة...

هل أتممت المشروع الذى تعمل عليه يا حازم؟

ضحك حازم وهو يقول...

- لم يكن معنى أية مشروعات لأن رئيسى المباشر كان يرى أنني

لا أصمم إلا مشاريع مشبوهة!

عادت الجدية لصوت صلاح وهو يقول...

- حازم ، عد للعمل فوراً!
قال حازم عابثاً..
- حاضر.. ولكن أحمد لم يأت للعمل منذ موضوع بيرى ، هل أتصل به لللاطمئنان عليه لا أكثر.
- انخفض صوت صلاح وهو يقول...
- إنه بالتأكيد غاضب من الجميع وخاصة أنت وقد سافر للأسكندرية ، أنا أقترح أن نتركه يعود وحده.
- عادت الجدية لصوت حازم وهو يقول...
- ولكن هناك مشاريع فى مكتبه ، وهو الوحيد الذى يملك مفتاحه .. ماذا كنا نردد منذ قليل يا صلاح؟
- صاح صلاح غاضباً..
- وإذا كان هاتفه مغلقاً طول الوقت.. ولا أعرف طريق منزله هناك ، ماذا نفعل؟
- رد حازم بغضب مماثل..
- نحطم الأقفال ، كى يعلم أنه يعمل فى شركة محترمة وليست مؤسسة اجتماعية!
- لانت لهجة صلاح وهو يقول...
- ولكن تحطيم الأقفال سيزيد الطين بلة...!
- ازداد غضب حازم وهو يصيح..
- فليذهب للجحيم ، لن أخسر عملاً بالآلاف من أجل أحمد وأوهامه العاطفية ، وعليك أن تتذكر أنه كاد أن يقضى على زواجك فى يوم من الأيام ، بل لقد قضى عليه بالفعل!
- حاول صلاح تهدئة حازم وهو يقول..

- أحمد إنسان جميل ولكنه بحاجة لمن يمد له يد المساعدة!
نهض حازم وقال وهو يغادر المكتب..
- جميل.. قبيح! هذا ليس من شأنى. ولست بصدد الزواج منه، أنا
أريد مصلحة العمل ثم العمل ثم العمل.

* * *

تداعت العلاقة بين نادر ووالده إلى أقصى درجة منذ علم بخلافه مع
مروءة ونية الطلاق التي انتواها بينه وبين نفسه، وكان أكثر ما أزعجه
هو أنه اتخذ القرار دون أن يشركه فيه وهو الذى دائما تعود أن يأخذ
رأيه فى كل شىء. ودب الشقاق بينهما بسبب مروءة وتفكير نادر الأرعن
- كما يردد والده - ورغم أنه مريض بالضغط إلا أنه انفعل وكان فى
حالة هياج كامل، فهو صحيح فى البداية كان من أشد المعارضين لفكرة
الزواج من فتاة غنية أو تفوقه اجتماعيا، لأنه رجل عصامى شريف
لم يكن له إرث أو شارك فى أى صفقات مشبوهة أو استغل أزمة الوطن
لينعم بالثراء الفاحش.

هذا ما كان يردد دائما قبل الزواج الذى تم رغما عنه، لكنه الآن
يرفض الطلاق بحجة أن مروءة من بيت أصيل ووالدها رجل محترم ويعلم
الأصول.. وليس كما تخيل أو من الفئة التى كان يبغضها.

ثم إنه ابنه الوحيد ويريد له السعادة والرفاهية التى ينعم بها،
أليست مروءة هى السبب فى الوظيفة التى يعمل بها الآن؟ أليست حب
العمر؟ فهل تطلقها وتتخلى عنها لمجرد سبب تافه مثل ذلك؟

وهنا تدخلت شقيقة نادر الصغرى تذكر والدها أن نادر هو الذى
يواجه مشكلة عدم الإنجاب وليست هى، وبالتالي تكون مروءة هى التى
تطلب الطلاق وليس نادر هو الذى يريده.

ونظر الحاج كمال لولده الذى وقف صامتا ولم يعلق على ما قالته شقيقته... قائلا:

- ولكنها تحبه وتمسكة به إلى أبعد الحدود.. إن نادر هو الذى يريد أن يتخلى عنها كى ترى سعادتها مع غيره، ولكنها تريدك أنت يا ولدى.. أؤكد لك.

فأنا رجل خبير بمثل هذه المواقف فالمرأة التى تفعل ما فعلته مروءة من أجل رجل كى تتزوجه تفعل أى شىء للتمسك به، صدقنى يا ولدى ولا تتخل عنها أبدا، فمنذ متى وأنا أكذب عليك؟

وابتسم نادر وارتفع حاجباه دهشة لذلك الحماس الذى ملأ والده حتى صار يتكلم عن الحب والهجر والفراق، كما أنه فجأة انتقل من صفوف المهاجمين لمروءة.. إلى صفوف الدفاع الأمامية. ولم يكتف ضحكته فقد أطلقها ومعها تنهيدة كادت أن تحرق صدره الذى امتلأ بعذاب لاحد له، وصارح والده.. بأن ما سبق وقالته شقيقته صحيح، خاصة وأن الحياة بيننا فى الفترة الأخيرة لا تحتتمل.. وتلك مسؤوليتنا على السواء. ولن أكذب عليك أنا أيضا لقد عشت معها أجمل أيام حياتى، ولكن الحب لا يصنع المعجزات كما يتردد.

قال الأب فى إصرار..

- لا يا ولدى إنه يصنع ولكننا نستسلم بسهولة لليأس، ومن الممكن أن تكون حالتك ضمن قاعدة المعجزات.

لاح شبح ابتسامة ساخرة على شفتى نادر وهو يقول...

- ولكن الحب يبرد بعد مدة معينة يا أبى، وسقف طموحها لا حدود له ورغباتها تعلو على كافة المستويات، آراؤها نافذة حتى مع صرخات اعتراضى، صدقنى يا أبى حياتى ليست نعيما كما تتصور.

خمد حماس الأب وهو يقول..

- أنا لم أقل إنها نعيما أو جنة.. ولكنها الزوجة التي تمنيتها لك!
رد نادر ساخرا...

- لم يكن هذا رأيك من قبل.. ما الذى حدث؟

وهنا تدخلت الشقيقة الصغرى مرة أخرى بسخرية...

- إن والدك عدل عن مبدأ العصاميين واتجه لبدأ رجال الأعمال
فحسب، ظل طوال عمره يعمل على مبدأ التمييز بين الولد والبنت فى
كل شىء.. والآن يتعرض الولد للظلم على يد زوجته.

صاح فيها الأب غاضبا..

- هل تعنفينى الآن؟

قالت فى أدب..

- لا يا أبى إنى أذكرك فقط.. أنه كما تدين تدان.

* * *

عادت بيرى للعمل من جديد، ولكن هذه المرة معتدة بنفسها بعد أن
حصلت على فترة راحة سلبية قضتها بفرنسا.

ومع تعليمات حازم الجديدة كانت فى قمة سعادتها فها هى تشعر
مرة أخرى أنها تعمل فى شركة هامة لها وضع فى السوق ولها عملاء
يطلبونها بالاسم.

كان ذلك أحد الأسباب، ولكن السبب الآخر كان اتصال حازم
اليومى بها وحرصه على الاطمئنان عليها، وكذلك معاملة الجميع التى
تغيرت، خاصة صلاح الذى بدأ يتعامل معها بشكل طبيعى وبدون
عنصرية.

وكأى فنان أو مبدع تترك له العنان.. فيمتلك بأروع ما يمكن لعينيك أن تدرکه وتراه..

ودون توقف عمل الجميع ككتلة واحدة لا تقبل التجزء، وشعرت ببرى لأول مرة بأنها وحدة لا تنفصل عن الكل.

ولكن مر على غياب أحمد مدة أسبوعين دون أن يظهر أو يفتح هاتفه. ولم يكن له فى سجلات الشركة عنوان مسجل فى الأسكندرية.. ومع استمرار الغياب أحس الجميع بالقلق والتوتر.. وأحست ببرى بعقدة الذنب التى تملكتهأ.

وأفاضت عن مكنونات صدرها مع مى التى بدأت تزدهر وتنضج مثل أزهار الربيع.. والثى أكدت لها أن أحمد هو آخر رجال الدنيا الذين قد يفكرون بالانتحار.

ونظرا للعلاقة المتوترة التى حاولت مى توطيدها من قبل. ولكن أحمد كان دائما ما يرفض الانتقال معها إلى مستويات أخرى غير الزمالة فى العمل. مما جعلها فى حالة من اللامبالاة بالنسبة لغيابه أو اختفائه.. حتى إنها أجابت على تساؤلات ببرى فى براءة متناهية...

- إنه ربما يفكر بوسيلة يواجهنا بها بعد سقوط كل الأقنعة.. خاصة أمام صلاح الذى اكتشف كذبه.

وسألتهأ ببرى بفضول..

- ولماذا صلاح بالتحديد؟

وهنا شعرت مى بأنها ستفشى سرا حربيأ.. فخفضت صوتها وهى تقول..

- لأن صلاح هو مدير الشركة. ولأن حازم لم يستخدم نفوذه إلا عندما أحس أن صلاح بدأ يخرج عن السيطرة.

لم تفهم بيبرى ما ترمى إليه مى .. فسألت مجدداً
 - هل تقصدين أن تقولى إن أحمد كان يوطد علاقته بصلاح فقط لأنه
 فى ذلك المركز ليس إلا؟
 ابتسمت مى بسخرية وهى تقول...
 - وهل يوجد سبب آخر؟
 ودخل صلاح فجأة، وقال بصوت يجمع ما بين الشدة واللين...
 - لا وقت للاجتماعات السرية، أريد الماكيت على مكتبى اليوم
 يا بيبرى وأنت يا مى هناك عميل يطلب شيئاً من اختصاصك، أريدك أن
 تتعاملى معه.. إنه فى قاعة الاجتماعات.
 ألقى أوامره واخفى مرة أخرى ولكن هذه المرة دون أى ضغينة من
 أحد.

* * *

استحوذت فكرة الاستقالة على عقل أحمد طوال المدة التى أمضاها
 بالمنزل، وجعله ذلك فى حالة نفسية سيئة نظراً للنتائج التى آلت إليها
 الأمور.
 ولكن تلك الفكرة سرعان ما تلاشت حيث إن للعائد المادى أهمية فى
 حسم مثل تلك الأمور. ولأنه يفكر جيداً قبل اتخاذ القرار ظل فى مكمنه
 ولم يرد على الهاتف أو يفتح الايميل الذى تراكمت فيه الرسائل خاصة
 من بعض العملاء.
 واستقر على ضرورة عودته للعمل والتعلل بأى سبب من الأسباب..
 حتى يتخلص من ذكرى إحراجه أمام الجميع.. وتفتق عقله إلى فكرة
 عبقرية.. فلا يمكن أن ينسى الجميع تلك الضجة إلا عندما تحدث

ضجة أكبر منها... فهو يحتاج إلى شائعة جديدة يروجها كي ينسوا ما حدث.. ولكنه تذكر أن آخر شائعة له كادت أن تنسف الشركة بأكملها. وظل يقدح زناد فكره.. وذهب عقله لأبعد الحدود حتى يجد حل لتلك المشكلة.. وأخيرا تفتق ذهنه لحل يرضى كافة الأطراف من حيث العقل والمنطق.

فقد استقر رأيه على أنه بينما كان بالإسكندرية مسقط رأسه يطمئن على الوالدين، سقط الأب صريعاً نتيجة أزمة قلبية.

هذه هي الرواية التي قرر أن يقنع الجميع بها.. ولكنه وعلى الرغم من ذلك كان يعاني ثمة ارتعاشة في داخله ناتجة عن كره شديد للمكان. وهكذا فقد وجد نفسه ما بين المطرقة والسندان.. فهو ما بين إغراء المادة الذي كان له بريق خاص لديه.. وبين كرامته وكبريائه وما قام به حازم وبيري أمام الجميع.

وضع رأسه بين الوسادتين وهو يكاد ينفجر من التفكير، ولا يكاد يرسو على بر.

* * *

دخل حازم شقته بالمعادي، تلك الشقة التي يلتقى بها مع عمر ويوسف وأحيانا يأتي إليها مراد برفقة حازم.

ولكنه اليوم كان يمر بحالة غريبة ما بين السعادة والتعاسة ولا يدري السبب، كان داخله يرتعش ولا يعرف السبب. فهو على النطاق المهني تجاوز العديد من الأزمات التي كان من الممكن أن تحدث، وعلى المستوى الشخصي فهو في فترة نقاهة مع والدته. فهو لم يكن مثاليا، أحيانا كثيرة كان يتقزز من نفسه، هو لا ينكر ذلك، ولا يزال يتناقذ

مع عمر ولكن فى حدود العقل وليس مثل الماضى ، لا يمكنه الوصول إلى مرحلة الرضا عن النفس. ولكن رغم ذلك لا يعرف لماذا هذا الشعور الغريب بعدم الراحة والاستقرار .

ظل يتململ فى مجلسه ويؤرجح ما بين أصابعه كأس ويسكى أعدده لنفسه ويغير محطات التلفاز دون النظر حتى إليها ودون أن يشعر بالباب الذى دخل منه يوسف و ظل واقفا فى صمت ينظر إليه .
ضحك الاثنان معا فى وقت واحد ولكن يوسف هو من تحدث أولا وقال بتهكم..

- يا لها من مصادفة !

قال حازم بسخرية مماثلة..

- وأنا لم أكن أتوقع قدومك أنت على الأخص.

جلس يوسف و هو يقول ...

- جئت لأنى بحاجة للتفكير مع أحد بصوت عالٍ، ولم أجدك

بالبيت وهاتفك مغلق.. وأنا أعلم أنك عندما تغلقه تكون هنا.

استمر حازم مازحا..

- وشقتك ما بها؟

صاح يوسف بغضب ..

- هل أصابك الصمم؟ أقول أريد التفكير بصوت عالٍ أى أريد من يرد

على.. هل فهمت الآن؟

سأل حازم و قد فرغ صبره..

- بخصوص ماذا؟

تكلم يوسف بممل...

- كل شيء ، فأنا لست على ما يرام.. غير سعيد ولا أعرف السبب!
قهقهه حازم حتى كاد أن يموت من الضحك ، ويوسف لا يعرف على
ماذا يضحك ولكنه ردد في صوت متهالك من الضحك...
- لقد جئت للمكان الصحيح ، أهلا بك في ليلة من الشعور الغريب.
قال يوسف بفضول...
- شعور ماذا؟
رد حازم بسهولة..
- الشعور الذى تشعر به ، عدم الارتياح والقلق رغم أن كل شيء على
ما يرام!

ذهل يوسف من تعليق حازم قائلاً..
- هل تشعر به أنت الآخر؟
هز حازم كتفيه معلقاً..
- ولا أعرف السبب!
جلس الاثنان يشربان دون وعى ويتذكran معا ذكريات الطفولة
والمراهقة ، ولحظات النجاح والفشل فى حياة كل منهما..
حتى وجدا عمر أمامهما وهو يضحك بشدة..
سأله يوسف عن سبب ضحكه فأخبره أنه يضحك عليه هو وحازم..
ثم سأله..
- ولماذا تضحك أنت وهو؟
فاستمر فى الضحك.. ثم قال حازم..
- لا أعلم!
جلس عمر وهو يقول...

– إن وضعكما سيئٌ للغاية، كيف تركتما نفسيكما للوصول لهذه الحالة؟

رد عليه حازم وهو نصف واع...

– ولكننا لسنا فاقدي الوعي، لقد رأيتك وأنت تدخل الشقة..

ثم ازداد ضحكا وهو يكمل..

لقد اكتملنا الآن، هل تشعر بعدم الارتياح والقلق وحزين في نفس

الوقت؟

ضحك عمر وهو يقول بسخرية...

– لا.. أنا في الحقيقة أشعر بالقلق لأنك ممنوع من الإفراط في

الشرب، كما أنني أشفق عليكما!

أصابت هيستريا الضحك الاثنین مرة أخرى وسأله حازم بجدية غير

متوقعة..

– لو أعلم فقط مما جبلت يا عمر؟

كان رد عمر قويا وحاسما وهو يقول..

– من نفس الطينة التي جبلت منها بالضبط.

وعلق حازم سريعا..

– ولكنني لدى بعض من الضمير على الأقل!

استنكر عمر ما قاله حازم.. ورد مازحا..

– ضمير! أنت لو كان لديك جزء من أي نوع من أنواع الضمير

ما كنت تجلس وكأس الويسكي بيدك يا صاحب الضمير!

وهنا تدخل يوسف يسأل بجدية...

– وما دخل الويسكي فيما نسألك إياه؟

نظر له نظرة استهتار وقال ساخرا..
- ألا تدري أن الخمر حرام، وممنوع!
نظر يوسف نحو حازم كى يتأكد مما يقول.. ولكن حازم سأل
بجسارة..

- وخيانة زوجتك.. أليست حراما؟
ولكن عمر ضحك قائلا..

- وإذا كنت أخون زوجتى، وأرتكب كل موبقات الدنيا... ما دخلك
أنت بذلك؟ أنا لا أدعى التقوى والضمير أنا وبكل فخر أعترف بأنى
ليس لدى أى نوع من أنواع الضمير.. هل ارتحتما الآن؟
نظر الاثنان إلى بعضهما البعض.. وقد شاب الجو شىء من التوتر
وقال حازم بجديّة مرة أخرى...

- وماذا سيكون تعليقك إذا علمت أنها تفعل نفس الأمر الذى تفعله..
إن لم يكن أكثر؟
صاح عمر غاضبا..

- ما الذى ترمى له يا حازم هل تعلم شيئا أنا لا أعرفه؟
توتر حازم بعض الشىء وهو يقول..
- أنا لا أدعى أى شىء.. ولا أعلم أى شىء!
وهنا تدخل يوسف فى الحوار قائلا...

- وماذا كنت ستفعل لو أنها تخونك؟ ولماذا تحلل لنفسك ما تحرمه
على الآخرين؟

صاح عمر فى ثورة من الغضب..
- هل جننت؟ هل تقبل أن تخونك زوجتك؟ حتى وإن كنت تفعل

ذلك!

حاول حازم تهدئة عمر.. فقال فى هدوء..
 - ولماذا كل هذا الانفعال؟ نحن نتناقش بشكل موضوعى، ووجدنا.
 وتدخل يوسف مرة أخرى قائلاً..
 - ولا أظن أن سارا من الممكن أن تفعل أى شىء يضر بسمعتها
 أو سمعة العائلة، كما أن دولت تراقبها طول الوقت.
 وهنا صرخ حازم..
 - دولت! أنت لا تعرفها جيداً إذن بل وتبخسها حقها، دولت
 كانت فى الأساس ضابط مخابرات.. شىء من هذا القبيل.
 ولكن عمر تدخل قائلاً بعنف..
 - ولكن سارا تكره دولت جداً، وتجاهر بذلك أيضاً.
 فقال حازم فى سخرية..
 - ولماذا كل هذا العنف؟ إن الشعور متبادل بينهما!
 ضحك يوسف بسخرية.. ثم قال..
 - وفى الأخير لقد أفسدت تلك السهرة الجميلة.. وأخرجتنا من
 حالة الضحك المتواصل التى كنا عليها.. وجعلتنا نتناقش فى أشياء مملة
 جننا إلى هنا من أجل أن ننساها، لأنك تجهل تماماً أنك عندما تهرب
 ممن حولك وتحتاج إلى الانفراد بنفسك بشدة.. يكون من أجل الوصول
 إلى حلول لما تمر به.. وليس تعقيدها بشكل أكبر.
 قال تلك الكلمات ولم يترك لهما مجالاً للتعليق، توجه نحو الغرفة
 ليرتاح مما قال ومما يشعر ومما تناول ومما يعتريه.

* * *

عندما تكون العلاقة بين اثنين على أحسن ما يكون.. بل من الممكن
 أن نقول مميزة.. ويحدث شىء ما يعكس صفو تلك العلاقة الخاصة..

يجب أن يتحدث الطرفان إلى بعضهما البعض.. لأنهما لو لم يفعلا ذلك.. مع مرور الأيام تزيد تلك الفجوة التي تفصل بينهما.. وكل يوم يمر على فراقهما وكأنه قالب يوضع فى جدار. ومع تزايد الأيام.. يعلو الجدار أكثر فأكثر.. والمؤسف فى الأمر.. أنهما لن يستطيعا هدم ذلك الجدار.. ولو تكلف ذلك أعذار العالم كله.

هذا ما حدث بين نادر ومسروة، لقد كان خوفه وحرصه الكبير على ألا يفقدها هو السبب الأساسى فى فقدها.

لقد احتدم الصراع بينهما، واشتدت المناقشات ووصلت لمراحل حامية الوطيس، وبالطبع انتهت جميعها إلى طريق مسدود.

فهى تصر على اتهامه بالكذب، والفتور من ناحيتها، وهو يدافع عن نفسه ويتهمها أنها السبب فى تدمير حياتهما الزوجية.

كما أنه قرر منحها فرصة أخيرة لإعادة تقييم علاقتهما.. ربما تكون بالنسبة لهما القشة التى يتشبث بها الغريق.

وكانت مروة واقعة فى حيرة شديدة من أمرها، لقد عرفت لأول مرة معنى عبارة (بين المطرقة والسندان)، فما بين كذب نادر وتغييره

الفجائى من ناحيتها ورغباتها الشخصية كانت تتصارع أحاسيسها.

فهى من داخلها كانت تحبه بل وتعشقه، لقد كان حلم العديد من طالبات الجامعة والأول على دفعته وكما لفتت هى انتباهه لفت

هو الآخر انتباهها، ولكنها أنثى.. وتتمنى من داخلها أن تصبح أماً.. وبقوة!

وعندما أخذها عقلها لتلك المنطقه.. لم تجد أحد تشكو إليه وتبته همومها إلا والدتها، فقد ارتمت بين أحضانها. وتركت لدموعها العنان

على صدرها، وصارحتها بكل ما يعتمل داخل قلبها، وشاركتها همومها
وحيرتها، فها هي تكاد تفقد الرجل الوحيد الذى أحبته، وفى نفس
الوقت تخشى أن يسرقها الزمن دون أن تحقق أيًا من طموحاتها.
لذلك بعد أن مرت عاصفة الدموع بدأت الأم تتحدث فى صوت
كأنه نابع من صميم قلبها، صوت لا يحمل فقط حنانًا لا حدود له..
ولكن يحمل أيضا خبرة سنين من الكفاح والتجارب مرت بها دون أن
تنساها...

– مروة أنت لست طفلة وقد تعودت على أن يدلك الجميع، ولكنك
فى زواجك كنت صاحبة قرار وشأن.. والآن أمامك خياران لا ثالث
لهما... إما أن تبقى مع نادر أو تفترقا بهدوء!
ونظرت مروة نظرة ملؤها غضب وحنان فى نفس الوقت وأجهشت
بالبكاء مرة أخرى وهى تردد...
– تتحدثين عن الخيارات المتاحة وكأنها لن تؤذى أى طرف من
الطرفين!

صحيح أننى لن أغفر له كذبه، ولن أنكر تغييره تجاهى وقوة رد فعله
فى الفترة الأخيرة و.. لكن...
ضمتها الأم بحنان وهى تقول..
– ولكن ماذا يا ابنتى؟
قالت مروة بهدوء..

– بالتأكيد لكل ذلك سبب، ولا بد أن أعرفه.. وفى نفس الوقت
لا أريد أن أظلمه، قد يكون كبيرياؤه هو آخر ما يتمسك به، ولا أريد أن
أسلبه إياه.

فكرت الأم قليلا ثم قالت..

- إذن دعى الأمر بين يدي والدك.

ترددت مروة لحظة قبل أن تكمل الأم كما لو كانت حسمت أمرها مسبقا..

- لا يوجد لكن.. التردد يعنى ضياع مزيد من الوقت، والحيرة تكاد أن تفقدك عقلك، دعيه يمر على والدك، وسوف أجعله ينتظره فى المعرض.

نظرت لها مروة وتركت رأسها على صدر الأم والدموع تنهاوى بهدوء من بين جفنيها دون صوت وكأنها طفلة لا تدرى مصيرها.

* * *

جلس مراد يتأمل فى ركنه المفضل من الشقة بهدوء وظل يفحص غرفها بعناية كأنه يتأكد أن ما من أحد معه فيها، ثم ارتقى على مقعده الهزاز وألقى رأسه للخلف فى هدوء.. وأخذ يسترجع ذكريات وأحداث ثلاثة أشهر مرت على رحيل بسمه.

ها هو يعيش دونها كما لو كان يعيش وحده منذ مدة طويلة، حتى إنه انزعج من ذلك الاستنتاج... فهل كانت حياته معها بلا قيمة؟

وهز رأسه كما لو كان يتجاوب مع عقله الباطن ولكن بصوت عال...
- لقد تركت الدفة بين يدي دون تدخل حتى مللت!

رد عليه صوت رأسه...

-أنتم هكذا أيها الرجال لا بد من سوط وسجان.

ولكن مراد صاح مدافعا...

- ولكنى كنت بحاجة إلى صديقة وعشيقة ورقيقة لدربى لا لمجرد شخص يرتب أوراقي ويصلح ما تفسده يداى.

قال الصوت معنفا...

- لقد خذلتها وأهدرت حياتها سدى!

صرخ مراد وهو يمسك رأسه بيديه...

- لا! أنا لم أقل لها أن تنتحر، فقد اختارت هي هذه النهاية، وقد

كانت هذه هي الشيء الوحيد الذى اختارته!

رد الصوت ببطء...

- إذن أنت سعيد بتلك النهاية.. ألا يوجد بداخلك ولو شعور بسيط

بالذنب؟

قال مراد باكيا..

- أنا أشعر بالحزن والغربة بين نفسى وبينى.. ولكنى لم أوج لها

بتلك الفكرة، لأن بسمة كانت ستنفذ ذلك حتى لو افترقنا بالطلاق فقد

كانت لا تقوى على الفراق!

استمر الصوت فى الضغط على أعصاب مراد قائلا...

- ومع ذلك هجرتها وحدها عشرة أيام حتى حدث ما حدث.

رد مراد بصوت ضعيف..

- كانت ستموت فى ذلك اليوم وتلك الساعة، إنه قدرها يا رجل

ألا تدري أن الإنسان لا يستطيع ردع القدر.

قال الصوت بشيء من الخبث..

- ولكن هناك من يصنعون قدرهم بأيديهم!

ضحك مراد بسخرية وهو يقول..

- صدقنى... لم تكن بسمة من هؤلاء، لقد فشلت فى أن تسعد نفسها

وأثقلت كاهلها بمشكلات الغير حتى اكتأبت وامتلأت دنياها بالهموم.

رد الصوت مؤنبا..

- لم تسعدها، ولم تحاول أن تنسيها هذه الهموم، بل فعلت العكس..
وجعلتها تشعر أنها حمل زائد وثقيل على عاتيك..

وهنا انفجر مراد غاضبا..

- أيها الغبي!! كيف أساعدها إذا عجزت هي عن مساعدة نفسها،
لو لم أبتعد لكنا انتحرننا معا.
ولكن الصوت رد بسرعة..
- خير من البقاء دونها!

صاح مراد فجأة وهو ينتفض وينهض من مكانه بقوة وعنق...

- أيها الشيطان ابتعد عني، لست عقلى أبدا...

قالها وحنجرته تزار بصوت يخرج بصعوبة وكأنه من أحمص قدميه،
والعرق يتصبب من جبينه... وظل مرتعدا طول الليل والهدوء يلقي
بظلال كئيبة عليه ولا شيء يقطع ذلك الصمت سوى دقات الساعة.

* * *

كل شيء في البداية يكون صعبا، وكثير من الناس يمتلكهم اليأس
من كثرة المحاولات، فيكفون عن التفكير حتى في طرق تحقيق النجاح.
والنجاح.. هام وضروري، ولكن الأهم منه هو الطريقة التي سنحقق
بها هذا النجاح، هل هي شرعية؟ أم لا؟

وكم شخص منا لم يفكر في الطريقتين في لحظة يأس عابرة انتابته؟
وقد واجه شادى شقيق داليا الكثير من العثرات في بداية سفره
وتواجهه في أمريكا، ولم يكن كريم متفرغا بشكل كامل كي يراعه
أو يبحث له عن وظيفة. فقد مر على تواجد كريم عشر سنوات متواصلة

وتطبع بطابع البلد الذى يعيش فيه ، وقد محا من قاموسه كلمتى الواجب
والعاطفة.

لذا لم يتردد شادى فى النزول إلى الشارع والتجول للبحث عن وظيفة
فى كل مكان ، معتمدا فى ذلك على نفسه فقط دون الرجوع إلى كريم .
ولأن كل واحد منا عندما يستيقظ من نومه لا يمكنه أبدا أن يتنبأ بما
يكنه له القدر من مفاجآت وتوقعات ...

ولكن.. هكذا هى الحياة، وهكذا هى الأيام.. لو علمنا ما تخبأ لنا
لاخترنا الواقع حتما.

وكاد شادى أن يسقط نفسه فى مشكلة كبرى حين حاول الدفاع عن
رجل اشتبك فى مشاجرة مع سائق التاكسى ، ورغم عزوف الجميع عن
مساعدة الرجل إلا أن شادى هو الوحيد الذى هب لنجده ، وبالفعل
استطاع أن يخلصه من بين يديه قبل أن يسرق ما معه ولم تكن انجليزية
شادى قد تحسنت بالشكل الكافى الذى يمكنه من تبادل الحوار مع
الرجل الذى راح يشكره بكل الطرق الممكنة.

وعندما شعر أن شادى لم يفهم الكثير من كلامه قدم بطاقته له ، وردد
فى لهجة أقرب إلى الرجاء أن يمر عليه شادى فى العنوان المدون فى
البطاقة فى أقرب وقت ممكن ومتاح بالنسبة له .

توقف شادى فى حالة أشبه إلى الجمود.. فهذا هو لازال واقفا فى
نفس المكان ، ويده لا تزال ممسكة بالجرائد التى يأمل بوجود وظيفة
تناسبه فيها.

وتطرق إلى ذهنه سؤال محير..

- لماذا ألح الرجل على أن يذهب إليه؟

فمن وجهة نظر شادى هو لم يقم بأى عمل بطولى يستحق الشكر والثناء عليه ، فهو كان كل يوم تقريبا يفعل نفس الشئ أمام المعرض الخاص بهم فى مصر. ولأنه لم يتلق رد الفعل نفسه من قبل . فقد استفاد عقله على فكرة صائبة.. وهى أن الرجل لو كان يريد أن يكافئه بمبلغ من المال لما طلب منه أن يوافيه إلى مكتبه. فقد كان سيعطيه المبلغ فى الحال دون إرجاء للأمر.. ولكن تحليل الموقف أصابه بالذهول نوعا ما... فقد نزل وهو بصدد البحث عن وظيفة من جريدة ما. وما هو ربما يكون قد حصل عليها أو اقترب منها...

* * *

حين تريد المشكلات أن تطل برأسها فإنها تطل ولا يمكن لأحد أن يردعها.. ولكن يظل الإنسان فى الأخير هو المحرك الأساسى لها. وعلى الرغم من الشخصية القوية واتخاذ القرار السريع ، فإن التجربة التى مر بها كل من صلاح وصافى أثبتت أن العقل والعاطفة هما الحل السحرى للزواج هذه الأيام.

هذا ما بدأ به صلاح حفل عيد ميلاده والذى كان بمثابة كسر لفترة الحداد التى خيمت على الجميع.

ورغم رفض صلاح المتكرر للاحتفال بالمناسبة إلا أن صافى أصرت عليها لسببين...

أولا ، فإن الحفل بسيط وقد تم فى المكتب وليس بالمنزل احتراماً لشاعر الأسرة.

وثانياً ، إصرار صافى التى خيرت صلاح ما بين الإلغاء أو إقامته خارج محيط الأسرة وفضل صلاح الاختيار الثانى..

وقد شرح صلاح وجهة نظره الفلسفية الجديدة بقوله...
- إن يتعامل الإنسان مع زوجته بالعقل فى المواقف الهامة، ويحتويها
قدر المستطاع عند احتياجها إلى ذلك. كما أنهم كرجال لا يجب عليهم
أن يقفوا عند كل ما تتفوه به النساء... لأنهم أحيانا كثيرة يرغبون فقط
فى التحدث.. دون وجود أى هدف أو جدوى من الحديث... فقط علينا
أن نحبهم بكل ما فيهن من مميزات وعيوب..
واستطرد قائلاً...

- ولكن ليس كل الأشياء يمكن التعامل فيها بتلك الصفتين، فهناك
أوقات يجب أن يظهر فيها الرجل.

بعد هذا الكلام الجميل كما وصفته صافى.. قدم الجميع الهدايا
لصلاح وقد ساد جو من المرح والحب.

ولكن.. ذلك اليوم كان أول أيام عودة أحمد للعمل فى المكتب منذ
مواجهته مع بيرى وحازم..

وقد لاحظ الجميع نقص وزنه وشحوبه ونظراته المترددة المذبذبة.. لذا
فقد انزوى صلاح به فى ركن بعيد عن الجميع، وقال بعد تردد كبير...
- أحمد.. أنا لا أصدق تلك القصة الساذجة التى أخبرت الجميع
بها!

صمت أحمد قليلاً قبل أن يتكلم، وفكر ملياً فى الكلمات ثم قال فى
وداعة...

- لقد أخبرتك أننى كنت بالإسكندرية وهناك فقدت هاتفى ووفاة
والدى إثر أزمة قلبية، ولم أشأ أن أرجع للعمل الفترة الماضية لأن
أعصابى كانت متوترة، وأنت تعلم جيداً أنى أكن لك مشاعر غير
الجميع فلا تستجوبنى كالأطفال.

صاح صلاح بصوت منخفض...

- أنا أستجوبك لصالحك، فلا يوجد عمل يظل فيه الشخص غائباً عنه لأسبوعين، ويعود ليبرر ذلك بقصة ملفقة. حازم فكر في فصلك وأنا منعته (قال الجملة الأخيرة وهو ناثر للغاية حتى إن صوته قد يكون قد وصل الآخرين)

وأشار أحمد بعلامة الهمس بالأصبع على الفم...

- ولماذا يريد فصلي؟ ولم يشأ فصل بيبي هانم؟

وهنا زمجر صلاح كالأسد...

- أحمد.. لا تفتح هذا الموضوع لأن موقفك فيه ضعيف للغاية، وأنا أكره أن أراك في مثل ذلك الوضع.

ورد أحمد ببساطة لا تتناسب مع الموقف...

- احتسبهم عطلة من المدة الخاصة بي!

اتكأ صلاح على كتف أحمد ودنا برأسه منه وهو يقول..

- لقد فعلت ذلك بالفعل، والآن ستعوض مدة غيابك بعمل مضاعف

لأن الجميع يعمل بكد واجتهاد، ولا وقت للمشاحنات والتهيؤات... وصمت برهة قبل أن يقول ويشدد على كل حرف..

- هل وصلتك الرسالة؟

رد أحمد بتخاذل ورأسه مطأطأ...

- نعم لقد وصلت وفهمتها جيدا وتم استيعابها.

وهمس صلاح باسمه في هدوء...

- خيرا فعلت... وافتر ثغره عن ابتسامة تعنى فحواها إنه استطاع أن

يحتوى الأزمة التي كادت أن تفقد الجميع توازنهم، وتطيح بأحلامهم

جميعاً قبل أن تغدو فى طى النسيان وعبر بهم إلى بر الأمان، ميرهننا
للجميع مرة أخرى قدرته على القيادة.

* * *

لا يمكنك أن تعرف قيمة ما كان بين يديك إلا إذا فقدته... هذا
ليس قولاً مأثوراً أو حكمة، بل هو درس من دروس الحياة التى لا تعد
ولا تحصى. يتداركها الأجيال جيلاً بعد جيل.. ولكنها حقيقة وواقع
دائماً وغالباً ما تقع فيه.

وهذا ما شعر به يوسف عندما كان فى رحلته الأخيرة بكندا. فقد
ترك حقائبه بالمطار فى الأمانات، وقد نسى تماماً فيها هدية أحضرها
لإحدى المضيفات من هناك.

وقد وعد يوسف بتلك الهدية بالفعل، ولكن فى ظل الأعمال ومفاجأة
مى، نسيها..

ولكن الحبيبة المتيمة لم تغفر له ذلك، ووصفته بالبخل والغباء.. وأنه
فقط رجل أقوال لا أفعال.

وعندما عاد يقسم لها أنه اشتراها بالفعل.. قالت فى برود..
- أنت تتعامل مع الموقف وكأنه أمر عادى يحدث كل يوم، ولكنك
عندما تنسى شيئاً يخصنى، فهذا يعنى أنك تنسانى أنا شخصياً، لأننى
لو شخص مميز ومهم فى حياتك بالفعل ما كنت استطعت أن تنسى
هديتى.

ثم لانت لهجتها فجأة وهى تقول فى دلال.
- يمكننى أن أسامحك إذا أحضرت معك فى الزيارة المقبلة هدية
أخرى، قيمتها ضعف الهدية الأولى التى سأحصل عليها أيضاً.

ونظر لها يوسف وكاد يغشى عليه وهو لا يصدق عينيه أو أذنيه على
السواء... ثم قال فى تردد

- وإذا لم أفعل ذلك؟

فى هذه الأثناء رفعت أصبعها بوجهه فى شكل تهديد، وهى تردد
- إذا أحضرت الهديتين نعود كما كنا وأكثر، وإذا لم تفعل لا تجرؤ
على طلب رقم هاتفى... هذا أفضل لى ولك...

عقدت المفاجأة لسانه كليا.. فقال بصوت مبحوح...

- أنا أخبرك من الآن بدلا من الانتظار للمرة المقبلة، بأنى لن أحضر
أى شىء، ولا أريد أن أراك مرة أخرى..

قال الجملة وغادر مسرعا الغرفة وهو فى حالة من الذحول التام.
فها هو يمر بتلك التجربة الصعبة التى طالما أذاقها للغير من الجنس
الآخر..

ولا يعلم لماذا تراءت له مى أمام عينيه فى تلك اللحظة وهى تبتسم
له ساخرة.. وكأنها فرحة بما حدث له.

* * *

فى ظل مرور الأيام على وتيرة واحدة، قد يصيب النفس رغما عنها
بعضا من الملل، وتجدها تبحث عن الجديد لدى البعض فى الخارج.
وجدت ببرى الساعة لم تبلغ التاسعة مساء بعد، والملل لم يستطع
قتل الوقت، وعزز ذلك الشعور بالوحدة الذى كاد أن يعصف بعقلها.
حاولت الاستمرار فى العمل بالتصميمات التى بحوزتها ولكنها
شعرت بالإرهاق فوضعت العمل جانبا، وفكرت فى التحدث مع بعض
الأصدقاء فى فرنسا من خلال الإنترنت.

ولكنها تذكرت أنها تركت الشاحن الخاص باللاب في المكتب .
وبلغ بها الغضب مبلغه ، وأخذت تلعن غفوتها وسهوها ... ولم تكن
بيرى من هواة البرامج التليفزيونية ، لذلك كانت متعتها الحقيقية على
الكمبيوتر حيث المعلومات ، الأصدقاء ، الموضة ، والجديد فى كل شىء .
والآن هى محرومة من متعتها الكبرى ، والمساء لم يحل بعد من وجهة
نظرها ، ولن تستطيع العمل طالما أنها ليست فى مزاج يسمح بذلك .
تمنت ولو للحظة أن يكون معها شخص تتحدث معه ، تتناقش معه ،
تتشاجر حتى معه ، المهم أن تجد حلا يبدد ذلك الملل .
ولم تجد حلا سوى أن ترفع سماعة الهاتف ، و لكنها اخذت تفكر
قليلا بمن تتصل ...

– صافى .. حتما لا ... فصلاح موجود ، وحتى إذا كانت معاملته لها
اعتدلت بعض الشىء فى العمل ، فهذا لا يعنى أنه نسى تماما ما كان
بينهما .

– نادر أو مروة .. أيضا لا .. لأنهم لم يكونا من الأصدقاء المقربين لها
أصلا .

– أحمد .. ضحكت ببرى عندما ذكرته فى عقلها ، وعلقت على ذلك
قائلة بصوت مسموع ... غير وارد الاتصال به حتى فى أحلك المواقف .
– بقى كل من مى و مراد و حازم .. هم الاحتمالات القائمة المتبقية
لها ، لذلك ظلت أصابعها تداعب أزرار الهاتف وعقلها مستمر فى
التفكير ... وأخيرا حسمت أمرها وطلبت هاتف مى .

كانت مى على الطرف الآخر تعاني من نفس حالة الملل التى كانت
تعصف ببرى ، ولكن الفارق الوحيد أن مى كانت على دراية كافية بكل

أنواع الأمور التي من شأنها طرد الملل. فقد كانت من الذين يستطيعون إيجاد الوسائل المبتكرة والمختلفة للخروج من الملل بكل أشكاله. فمن التليفزيون.. للكمبيوتر.. للقراءة والأعمال المنزلية، كانت تجد ما تشغل به يومها.

وعندما جاءها الاتصال من بيرى كانت عاكفة على قراءة رواية رومانسية قرأتها منذ ما يقرب من عشر مرات، لذلك لم تمنع إيقاف القراءة في سبيل الخروج من الملل سواء بالنسبة لها أو لبيرى... وبدأت بيرى الحديث عن أحوال مي، وذلك الملل الرهيب الذي يسيطر عليها، وكيفية التغلب عليه.. وهكذا فقد منحتها مي وصفتها السحرية بالنسبة للتعامل مع الملل. وكيف أنها استطاعت منذ الصغر أن تتغلب عليه.. سواء بالبعد عن مصادر الملل أو بالانشغال عما يلهيها بعيدا عنه. ورغم أن ما قالته مي كان مقنعا بشكل كبير بالنسبة لبيرى، إلا أنها أوضحت بشكل موجز عدم كفاءتها في أعمال المنزل، خاصة فيما يخص فنون الطهي، أو ترتيب المنزل، كما أكدت لها أنها لا يمكنها القراءة إلا قبل النوم مباشرة.

ووسط ضحكات مي وبيرى المتواصلة توقفت علامة تعجب لتفرض نفسها...

وقالت مي وصوتها تشوبه نبرة دموع...

- كيف لنا أن لا نجد ما نشغل به وقتنا وقد توفر لدينا كل ما يمكن من وسائل الترفيه؟

وكانت الإجابة مختصرة ومقتضبة من بيرى...

- لأننا في حاجة لما نشغل به قلوبنا قبل عقولنا، ولكن في ظل النماذج التي نقابلها كل يوم، ستفشل العلاقة أسرع مما بدأت به، ولأن

كل منا فى غنى عن خوض أى تجارب فاشلة خاصة الآن.. فمن الممكن مؤقتا الاستماع لبعض الموسيقى أو التسوق حتى يستبد بك التعب... وهكذا استمرت المحادثة التى بدأت فى التاسعة والنصف حتى قبيل الفجر، وقد تلاشى بالنسبة لكل منهما أى معنى من معانى الملل.

* * *

عندما تمر بتجربة عنيفة تضحك مع النفس فى حالة من المواجهة، قد تعرضك فى بعض الأوقات لموجة من الاكتئاب.. لذا فإن الحل الأمثل لك هو الانشغال بشىء ضرورى وهام بالنسبة لك. وذلك ما فعله مراد عندما قرر بيع الشقة واستبدالها أخرى بها، فقد كان يهرب من الماضى والحاضر.. من الواقع والذكريات. وقد كان القرار نابعا من قلبه وعقله فى وقت واحد، ولربما كان صائبا فيه لعدة أسباب، فمنذ حادث الانتحار وهو يخشى التواجد فى الشقة أو حتى المبيت فيها. فقد حاول الانشغال بأسعار العقارات وأماكنها. وقد وافق أخيرا على الشقة التى عرضها عليه السمسار وذلك بعد محاولات متكررة من العرض والرفض.

ولكنه لم ينس بعد... فكل مكان يذهب إليه يراها فيه، ولم تكن رؤيتها بالشىء السيئ بالنسبة له، إلا أنها دائما ما كانت تأتى مضرجة فى دماغها.. وهذا ما كان يؤرقه!!

لذا فقد قرر بيع بعض محتويات الشقة وشراء جديدة لعل ذلك يستنزف بعض الوقت، كما أنه سيحدث تغييرا فى حياته بلا أدنى شك. وظل لمدة يومين غائبا عن العيادة فى واقعة تحدث لأول مرة، وقد استغرق العمل فى الشقة كل وقته، وقد أخذت بييرى على عاتقها

مسؤلية تجهيز الشقة الجديدة، كما ظلت تردد طوال الوقت سأجعلك تفخر أنك تسكن هذا المكان.

وكان مراد يعلم مدى ثققتها بنفسها في مجال الديكور، كما طلبت بيرى منه نسخة من مفاتيح الشقة لتسهيل مهمة العمل بالمكان.

وقد تخلص مراد من بعض الأشياء أثناء نقل الأثاث من الشقة القديمة، أما ما يخصه من ممتلكات بسمه فاحتفظ به في غرفة مغلقة في العيادة، أما ما لا يخصه فأعاده مرة أخرى لوالدتها.

وفي ذلك اليوم دخل شقته وهو يحمل صندوقاً كبيراً، ولم يتفاجأ عندما وجد بيرى أيضاً موجودة، وقد أحضرت معها مجموعة كبيرة من اللوحات.

ضحكت بيرى بشدة وبصوت عال، واندهش مراد لذلك وسأل عن السبب...

- لماذا كل هذا الضحك؟

فقالت بعد أن هدأت...

- أولاً.. لم يبذل لي أنك تفاجأت عند رؤيتي. ثانياً... لقد كان لدى إحساس قوى بأننى سوف أراك اليوم. ولا تسألنى عن ذلك ربما يكون مجرد حدس ليس إلا!

أوماً مراد برأسه موافقا على الجملة الأخيرة.. وقال وهو يضع ما يحمله أرضاً...

- وهل يستطيع أى منا تفسير كل ما يحدث حوله طول الوقت؟
هناك أشياء فقط تحدث دون أن نفهم لها سبباً!
قالت وهي تحاول تغيير دفة الحديث...

- ماذا أحضرت معك؟
تنهد مراد وهو يجلس أرضاً..
- مجرد أشياء تخصني كانت بالشقة. ولم أرغب في بيعها مع
ما بيع!
- اندهشت بييرى.. وقالت في تردد..
- هل بعث كافة المحتويات؟ حتى ما كان يخص... وأكملت بتردد
شديد... بسمة؟
- ضحك مراد بتهكم قائلاً..
- هل جننت؟ لكان صلاح ذبحني كالنجاج!
ضحكت بييرى ولم تعلق، فاستأنف مراد...
- لقد احتفظت بما يخصني من أغراضها بالعبادة وأغلقت عليه باب
غرفة لم تكن مستخدمة، أما ما يخص أسرتها فقد أعطيته لوالدتها.
- سألته وهي تجلس بجواره على الأرض...
- هل لا زالت تعاني وتتألم؟ إنها تأتي على بالي في بعض الأوقات!
ولا أعرف لماذا؟
- هز مراد رأسه وعلق في هدوء...
- لقد مرت بأصعب ما يمكن أن يحتمله المرء، كان الله بعونها.
- غيرت بييرى الموضوع مرة أخرى قائلة...
- هل علمت أن صافى حامل؟
ابتسم مراد في رفق قائلاً...
- نعم علمت، فقد أبلغني صلاح أول أمس وقد كان يبكي ويدعو أن
تكون طفلة حتى تصبح عوضاً عن بسمة!

استنكرت بيرى ما قاله بهدوء...

- وهل يعوض ما ضاع؟

فقال مراد بشيء من التعقل...

- أحيانا هناك أشياء تلهم الإنسان السلوان، عليها تصبح كذلك.

أحسست بيرى بتغير نبرة صوته.. فاقترحت أن تطلب الغداء هاتفيا

لأنها تشعر بالجوع الشديد، ولا يزال أمامها الكثير من العمل..

ووافق مراد على الفور، فهو منذ مدة لم يتناول الطعام مع أحد وأثناء

تناول الطعام سألته...

- ما هو رأيك فيما فعلت؟

ضحك مراد بالفعل كما لم تره يضحك من قبل ورد عليها...

- لن أحاسبك الآن سوف نرى العمل عندما يكتمل حتى لا تتعرضي

للظلم ولكن تعجبنى اللوحات بحق فأنا من هواة الرسم.

اعترضت بيرى على ما قال بطريقة ضاحكة..

- إن مثلك لن يقدر أبدا ما أفعل... ولن تعطيني حق قدرى، كما

أن مجرد قبول العمل فى تلك الشقة، وتناول الطعام معك على الأرض

هو قمة التنازل والتواضع.

انفجر مراد ضاحكا وكذلك بيرى التى لمعت عينيها بالدموع من

كثرة الضحك، وأشارت له بيدها علامة التوقف ولكنهما لم يستطيعا أن

يتوقفا...

* * *

بعد الحوار الذى دار بين نادر ووالده، وبعد اللقاء الذى تم بينه وبين

داليا، تزاممت الأفكار فى رأسه، وأصبح مشوشا بشكل كبير، أصبح مترددا

فى كثير من القارات سواء على الصعيد المهنى أو الصعيد الشخصى. ثم أتت القشة التى قصمت ظهر البعير، لقد فتحت مروة نفس الموضوع القديم الذى طالما أرقه، وتوهم أنه تخلص منه. إنها تريد أن تفتتح شركتها الخاصة، وتكون هى ربة عملها وليس حازم أو غيره، خاصة أنها لديها الإمكانيات المادية والتقنية والبشرية.

ولكن نادر كان موقفه واضحاً وصريحاً فى ذلك الموضوع، واستمر عند ذلك الموقف حتى بعد التغييرات التى حدثت فى علاقته مع مروة. فهو كرجل لا يريد أن يعمل منفصلاً عن زوجته، خاصة إذا كانا يعملان بنفس المكان، ثم إنها لم يزعجها أى شخص فى الشركة، ولكن السبب الرئيسى الذى أخفاه نادر عن الجميع حتى عن نفسه هو أنه يرفض أن يعمل برأس مال ليس له فيه شىء، فهو يعلم جيداً أن تلك الشركة ستكون باسم زوجته، وأن أباهما هو الممول الذى يدعمها ويشجعها على تلك الخطوة. وعندما رجع إلى حساباته البنكية وجد أنها لا تكاد تمول شيئاً، وتذكر الحياة التى تجبره مروة عليها كل يوم، فهى تعيش على أرض مصرية ولكن بمواصفات أهل المريح! حيث إنها لا تشعر بشىء سوى ما تطلبه وتقتضيه حياتها الشخصية الناعمة، فهى لا تعبأ سوى بنفسها فقط. أما باقى الأشخاص من حولها فهم مجرد وسيلة لتلبية احتياجات وأوامر تلك المروة.

لذا فقد كان مجرد ذكر ذلك الموضوع مرة أخرى أمام نادر كفيلاً بأن يجعله ينفجر فى وجهها، وقد قرر أن يبوح بكل مكونات صدره التى ظل يكتمها طوال تلك المدة.. فقط إبقاء على حياتهما الزوجية معاً. ولكنها الآن تذكره أن ليس له حيلة فى الأمر بعد أن أصبح ضعيفاً ومجرداً من كل السلطة والجبروت، ولا بد له أن ينصاع رغماً عنه

لكل طلباتها واحتياجاتها - هذا - إن كان يرغب في استمرار الحياة بينهما. ولكن نادر في تلك اللحظة قد تخلص من كل السحر الذي طالما أسره، وجعله يلبي دون إبطاء وتفكير. فقد اختار نادر وبكل شجاعة وثبات الخيار الثاني، ولدهشته.. لم تتأثر مروة بالقرار أو الاختيار.. بل بالعكس تماما.

لقد تلقته وكأنها كانت تتوقعه إلى حد بعيد. وهذا ما أزعجه وأرقه. فهو طالما كره أن يكون كتابا مفتوحا أمام الجميع فيتمكن الناس من قراءته وقتما يحبون. وطلب منها هو أن تراجع نفسها وقرارها وأهلها.. ولكنها ثبتت على موقفها في عناد واضح.. فكان الطلاق في الأخير هو سيد الموقف.. ومن جديد كان للفراق الكلمة العليا في حياة نادر ومروة.

* * *

عند عودة يوسف من رحلته الأخيرة وجد المنزل في حالة شديدة من الفوضى العارمة.

فقد كانت هناك الاستعدادات الأخيرة لزفاف شقيقته فرح، كما وجد دولت هانم بنفسها تشرف على قوائم المدعوين، ولم يشعر أحد بوجوده أو بعودته.

ورغم أنه كان لا يطيق الذهاب لمنزل خالته إلا في أشد الحالات حرجا، إلا أنه قرر اليوم الذهاب إلى هناك كي يرتاح، خاصة أنها في منزلهم و لن يجدها هناك، وسوف ينجو من انتقادها الدائم له ولسلوكة. وعندما كان في طريقه إلى غرفة حازم تناهى إلى سمعه بعض الأصوات التي تنبئ عن وجود مشاجرة، وقد كانت غرفة المكتب هي مصدر تلك الأصوات.

وبالفعل ذهب يوسف يستطلع الأمر، ولكنه وجد عمر في حالة هياج غير عادية وهو يحاول أن يضرب هويدا (ابنة الخادمة)، فض يوسف النزاع بينهما، وقالت الفتاة التي لا يتخطى عمرها السادسة عشرة إنها وجدته في تلك الحالة منذ أن أتى إلى المنزل.

وحاول يوسف تهدئتها عبثاً.. فقد كانت في حالة من الذهول ولا تقوى على الكلام.. إلى أن بدأت أعصابها تهدأ شيئاً فشيئاً. فقالت وهي تتنفس بصعوبة...

- لقد كنت أحمل له فنجان القهوة كما طلب مني، ولكنه باغتنى أن أخذه من يدي وألقى به في وجهي مباشرة. وظل يردد كلمات لا أفهم منها شيئاً، وأشك أصلاً أنها تكون بالعربية، وحاول أن يمسك بي من خلال ملابسى ولكنى كنت أتحرك أسرع منه لأن الخمر كان يسيطر عليه وعلى حركته بشكل كبير. في ذلك الوقت كان عمر لا يزال على الكنبه ينظر إليهم بذهول ويضحك باستمرار، دون التفوه بحرف واحد. نظر يوسف نحوه بخجل ثم التفت إلى الفتاة مرة أخرى وهو يقول بأسف...

- من الواضح أنه لم يتناول الخمر فقط، محتمل أن يكون أخذ بعض الحبوب المخدرة، وهي التي تركت ذلك الأثر عليه، ولكن إذا كنت تودين أن تخبرى دولت هانم بما فعله، فلك مطلق الحرية في ذلك.. بل إنى أقسم أن أعدم موقفك وأؤيد ما تقولين!

ارتعدت الفتاة عند ذكر اسم دولت وقالت في خوف..

- إذا كان ما فعل خارج عن شعوره وعن إرادته.. فمن الممكن أن نبقى على ما حدث سرا، لأننى لا أريد أن يعلم أحدا من أهلى بذلك، ولا أن يتم طردنا من هنا ونظل بلا عمل.

كان يوسف يتوقع ذلك الرد... لذا فقد قال بيأس..
- ولكن دولت هانم لا بد أن تكون على علم بما فعل طفلها المدلل،
ولا يجب عليك أن تتستري عليه، إننى لا أرى فى الأمر فضيحة، لقد
هاجمك وأنت دافعت عن نفسك!

نظرت إليه الفتاة وعينيها تتوسل أن يفعل ما قالته له..
- إننى أتوسل إليك أن تبقى الأمر سرا، لأن من الممكن أن تبقى
علينا دولت هانم، ولكنك لا تعلم ما سيحل على من أهلى!
قال يوسف بعناد زائد..

- إننى أحذرك! إن الصمت لن يزيده إلا رغبة وجنون، من الممكن
أن يتكرر ذلك الموقف، ولن يكون هناك أحد حولك كى ينقذك كما
حدث اليوم، فماذا سيكون رد فعلك إذا نجحت المحاولة فى المرة
القادمة؟

صمتت الفتاة وهى لا تدرى فعلا.. بماذا تجيب؟
ولم يجد يوسف أمامه حلا سوى أن يرضخ لما تقول، وطلب منها أن
تخبر حازم بوجوده، وأنه يريد أن يراه فى غرفة المكتب ثم بإمكانها
الانصراف بعد ذلك.

وبالفعل لم يمض سوى دقائق حتى وجد حازم أمامه، ولما تأكد من
مغادرة هويدا المكان كله، حكى له ما حدث بالتفصيل.

فى البداية نظر حازم نحو عمر باشمئزاز واضح، ولكن عندما ركز نظره
عليه، وجد أنه لم يع أى كلمة مما قاله، فقد كان عمر فى ملكوت آخر.
وقد أخذ حازم على عاتقه مهمة إفاقة عمر من حالة اللا شعور التى
كان عليها، ونجح فيها بالفعل وقد أتت القهوة المسادة والماء البارد
بمفعول رائع.

وهنا تركزت عيون كل من يوسف وحازم عليه.. ونظر هو لهما
بفضول قائلاً...

– لماذا تنظران إلى هكذا؟ هل تريانى لأول مرة؟

قال حازم بهدوء...

– هل تعلم ما هى الحالة التى كنت عليها منذ قليل؟ وما الذى
جعلك تصل إلى تلك الحالة؟ هل تعلم أنه لولا وصول يوسف فى الوقت
المناسب لكنت ارتكبت جريمة، قد تذهب بها إلى السجن!

ذهل عمر مما سمع.. وقال بارتباك..

– هل من الممكن أن تروى ما حدث بهدوء، ودون انفعال زائد لأنى
بالفعل لم أستفق بالشكل الكافى.. فذهنى لا يزال مشوشاً.

صمت حازم، وأكمل يوسف ما بدأه قائلاً...

– لقد دخلت غرفة المكتب، ووجدتك فى نزاع حاد مع هويدا،
وغالبا فقد كنت تتحرش بها أو تحاول الاعتداء عليها!

ظهرت على وجه عمر علامات الاستنكار.. ولكن يوسف أكمل
بهدوء..

– هى كانت فى حالة ذعر رهيبه، ولكنها اطمأنت بعض الشئ
عندما وجدتنى أمامها، ولكنها فى حالة من الخوف الشديد بالطبع.

سأل عمر ببلاهة...

– مما تخاف؟ ألم تقل أنك وصلت فى الوقت المناسب؟

وهنا تدخل حازم فى الحوار قائلاً..

– ألا تخجل من نفسك؟ إنها خائفة من بطش أهلها، ومن الطرد فى الشارع
دون مورد رزق، ومن الفضيحة التى من الممكن أن تحدث إذا علم باقى العاملون
بالفيلا.. وأخيراً منك أنت، لأنها تخشى أن تكرر ما فعلته مرة أخرى.

صاح عمر غاضباً...

- لا.. عليها أن تظمن، لن أكرر ما فعلته أبداً، ثم إننى لم ألسها أصلاً.. فلماذا كل ذلك التعنيف؟

كاد حازم أن يتناول عليه بالضرب وهو يقول...

- ولكنك روعتها! إنها طفلة لا تعرف شيئاً عما كنت تحاول أن تفعله، فماذا كنا سنفعل إذا نجحت محاولتك؟ كنت ستمضى إلى السجن.. وفي جريمة أخلاقية أيضاً..

تراجع عمر وهو يضغط على الحروف...

- أولاً.. أنت تبالغ فى ردة فعلك كالعادة، ثانياً.. أنا أعترف بخطئى.. فقد أخذت بعض الحبوب المنومة ثم أتبعتها بكوكتيل من الخمر، كان له أسوأ الأثر على عقلى، ثالثاً.. وهو الأهم... لا أظن أننى كنت سأذهب إلى السجن فى ابنة الخادمة!

رد حازم بقسوة..

- ولم لا؟ أليست روحاً؟ أليست بشراً؟

وهنا تدخل يوسف قائلاً فى حزن..

- كونها ابنة الخادمة.. فذلك لا يقلل من شأنها فى شىء، إنها فى الأول والأخير إنسانة ولها حقها فى الحياة.. والقضاء الآن ينصف الناس جميعاً أغنياء وفقراء...

وهنا استشاط غضب عمر الذى نهض من مكانه قائلاً...

- كلا كما على خطأ... نحن الآن فى زمن (افعل ما شئت وادفع

الثمن).. ثم إننى اعترفت وأقسمت لكما أنى لن أفعلها مرة أخرى... فلا تتبعا معى أسلوب التهديد والوعيد لأنه لن يجدى شيئاً.

وبالفعل صمت الاثنان وقد أمسك كل منهما برأسه دليل على اليأس
وانهاء النقاش العقيم بينهم.

* * *

مرت الأيام على أحمد فى العمل وكأنه ينتظر حافلة كى تنقله إلى
القمر، لا يتدخل مع أحد فى أى حوار، خاصة من تضرر من شطحاته
العقلية.

لكن صلاح ظل يعامله بشكل طبيعى طالما كان ذلك فى إطار العمل،
أما على الصعيد الشخصى فقلما كانا يتجاذبان الحديث عن أى شىء.
لقد أحس أحمد وكأن صلاح وعى للدرس تماما، فأخذ يخفى عنه كل
ما هو داخل نطاق الأسرة، ويصر على أن يبقى الحديث فقط فى حدود
مشكلات الحياة العامة.

وكان ذلك فى الواقع يشكل عبئاً كبيراً على عاتق أحمد، حيث إن
صلاح كان يشكل بالنسبة إليه دائماً ملاذاً آمناً من كل الذين يهاجمونه،
وكانم أسرارهم الأمين. ولكنه فقد تلك الثقة.. والسبب فى ذلك هو الذى
كان يزعج أحمد ويؤرقه... فمن كان يتخيل أن أحمد وصلاح تتذبذب
أواصر الثقة بينهما؟ وبسبب ببرى!

وكان يرى صلاح من وجهة نظره خائناً للصدقة والعشيرة، فقد ترك
كل ذلك وذهب خلف آراء زوجته.. بمجرد أن وافقت على العودة إليه..
كما أنه رضخ إلى حازم عندما هدد بفض الشركة وإغلاقها إن لم يبتعد
عن أحمد وأفكاره. كما أنه لم ينس موقف الجميع منه عندما ابتعدوا
عنه وكأنما أصابه وباء ما، وضربوا به عرض الحائط وجعلوه كبش الفداء
الذى يتحمل كافة الأخطاء... ما أخطأ فيها وما لم يخطئ فيها. لقد

حولوه إلى شماعة تعلق عليها أسباب فشلهم الجلية والواضحة للعيان.
كان هذا ببساطة رأيه في من حوله.. هز رأسه ثم ردد وكأنما يحدث
نفسه بعد استعراض تلك الأفكار في هدوء...

- فليكن ما يكون... فليقاطعني الجميع، أنا لا آبه بهم بصورة
أو بأخرى، كما أن العلاقة بيني وبينهم لم تكن يوماً مثالية... إنهم
بالأول وبالآخر مجرد نفوس معقدة.

في تلك الأثناء دخلت صافى وقطعت عليه ذلك التحليل النفسى
الرهيب الذى كان مشغولاً به... وقد كانت لا تزال محتقنة منه بعض
الشيء، ولكنها جعلت ذلك خارج نطاق العمل...

ولما كانت بحاجة لمساعدته طلبت ذلك على استحياء وهى تشعر أنه
سيرفض بنسبة مائة بالمائة، ولكنه خيب كل توقعاتها واستمع لها فى
اهتمام كبير وفى هدوء تام.

ثم بدأ يملئ عليها ما يجب أن تفعله، ولكنه وجدها فى حالة عدم
فهم مستمر... فعرض عليها أن يبدأ هو رسم الماكيت الكروكى ويترك
لها تحويله إلى عمل هندسى بديع.

لكن صافى رفضت ذلك العرض فى خجل، وأخبرته أنها لا بد لها أن
تتحدى ذاتها، وتحب كل ما تفعل وإلا فلا يجب أن تبقى فى مكانها
هذا أو حتى تحظى بلقب مهندسة. ولما وجد هذا التصميم فى صوتها
وطريقتها، أعاد عليها ما قاله منذ قليل، وفى تلك المرة استوعبت تماماً
كل حرف نطق به، بل وأخذت تناقشه دليلاً على فهمها للأمور.

ولم ينكر أنه تحسن كثيراً بعد تلك المناقشة عن العمل، وانتعش
بعض الشيء، وأحس بنبضه من جديد يتردد فى عروقه.. لا يعرف

ماذا حدث... ولكنه انكب على العمل بكل ضراوة حتى إنه بدأ بتنفيذ مشروعات كان قد تم إغلاق ملفاتها منذ زمن.

حينها لم يفكر لماذا لا يتحدث إليه أحد. كل ما كان يشغله هو التفوق عليهم جميعا فى العمل. فقد كان فى غاية السعادة، والجميع ينظر لما يفعل والانبهار يكسو وجوههم وملامحهم. وهم يكادون أن يغشوا من جمال ما صنعته يده، أعطاه ذلك شعورا غريبا بالرضا والتواضع لا الغرور، فها هو دون أن يستجدى حديثهم أبهرهم وأثبت كفاءته وكان ذلك الشعور يكفيه حتى تلك اللحظة.

* * *

الحزن هو الشيء الوحيد الذى يولد كبيرا ومؤثرا، ومع مرور الأيام يتقلص ويتناقص شيئا فشيئا، وهكذا كانت الحال عندما ذهبت صافى وبيرى ومى لزيارة والدة بسمه. وذلك تنفيذا لاقتراح من بيرى التى كانت تفكر فى أى شيء من شأنه أن يثلج صدر تلك المرأة المكلومة. وقد كان الأمر بالفعل أفضل من المرات السابقة، فقد مر حوالى ستة أشهر منذ وقوع الحادث، وكانت السيدة فى وضعية أفضل تسمح لها بالتحدث والاستماع.

ولم تكن على معرفة بأحد سوى صافى، لذا فقد اكتفين بالابتسام الخفيف، وكانت السيدة هى من بدأت بالكلام...

– هل أنتن أصدقاء صلاح أيضا أم أنكن فقط أصدقاء لصافى؟

وردت بيرى بهدوء...

– نحن معا فى نفس المكان ونعمل معا أيضا...

وقالت مى فى خجل شديد...

– نحن نود زيارتك منذ مدة، ولكن كنا بانتظار الوقت المناسب.
 قالت السيدة بأومة غير عادية...
 – ما ضاع يا ابنتي لن نملك استرجاعه، والله العلي القدير هو الذى يعلم ما حدث بينهما، ولكن الأم لا تستطيع أن تنسى يا ابنتى، فالقلب لا يطاوع على النسيان.
 وتدخلت بيرى فى الحوار...
 – هل يراودك الشك بأن لمراد يد فيما حدث؟
 وردت السيدة فى هدوء...
 – وهل أنت على معرفة بمراد؟
 وهنا تدخلت صافى وهى تقول...
 – أمى.. إننا نعمل جميعا فى مكان واحد، وحازم صاحب هذا المكان له صديق واحد منذ الطفولة... هو مراد.
 هزت السيدة رأسها دليل على عدم الفهم...
 – إذن صلاح هو من جلب المصيبة إلى شقيقته دون أن يعلم، هو أخذها بيديه إلى ذلك المكان لتقابل ذلك المجنون.
 ذهلت مى للتفسير وقالت...
 – كونى على إيمان تام يا أمى أن بسمة أخذت قدرها من الدنيا كاملا ولم يقتطع منه شيئا.
 وهنا زمجرت المرأة كما يفعل صلاح فى العمل...
 – إن ابنتى ذهبت لمنزله وهى فى كامل قواها العقلية، وقد قضى عليها بإهماله وجنونه ومرضه، لقد قيدها بحبه وجعلها لا ترى أحدا غيره.
 تدخلت صافى لتهدئة الأجواء...

- أمى.. إن مى لا تقصد ما يهين، إنها لم تعرف بسمه جيدا ولم ترها إلا مرات قليلة، أما مراد فكان يأتى ليقابل حازم... وكان فى كل زيارة يترك أثرا جيدا لدى الجميع.

رمقتها السيدة بنظرة نارية وهى تقول...

- وهل أنت على علم بأنه باع الشقة، وتخلص من أغلب الأغراض الخاصة بها، كما أتى لى ببعض أغراضها الخاصة... وحين سألته عن الباقي أخبرنى أنه هو أيضا من حقه الاحتفاظ بما يذكره بها.

وصمتت صافى وتدخلت ببرى...

- على الأقل احتفظ بشيء ما جمعهما ذات يوم معا، وهذا دليل على

الإخلاص لا على الإجحاف.

سألته السيدة فى جحود...

- وما الذى يدفعك للتحدث عنه بتلك الطريقة؟ إنه دجال ومخرب

عقول، لقد مسح كل ما بعقلها ووضع بدلا منه كلامه وتصرفاته، لقد فرط فى كل شيء وكأنه كان ينتظر اليوم.

تنهدت صافى وقالت...

- يا أمى... إن مراد ليس سيئاً بهذا القدر، لقد باع الشقة لأنه

لا يمكنه البقاء فيها دون بسمه، إن ذهنه مشوش لا يمكنه العمل بشكل جيد، يتغيب عن العيادة وعن مرضاه، لقد أحبها حقا يا أمى ولم يكن

ما حدث عن قصد منه... بل كان هذا تصرف القدر.

صاحت الأم فى غضب..

- لا يدافع عنه أحد فى هذا المنزل، وأنا أراهنكن جميعا أنه ترك

كل ما احتفظ به من أغراض فى عيادته اللعينة، ورفض أن يأخذها للمنزل الجديد حتى لا يزعج بها العروس الجديدة.

وهنا تدخلت مى بسذاجة...

- وهل سيتزوج مراد؟

وهنا ردت الأم ثقة...

- من المؤكد! وهل سينتظر على نفسه؟ إنه لا يزال شابا ولكن أتعثم

أن يكون أهلها أفضل منا ويضعوه السجن حين يتسبب فى مقتل ابنتهم.

ولم تتمالك بيرى أعصابها فصرخت...

- هذا يكفى... أتحسينه قاتلا؟ لقد كانت الظروف ضده ليس إلا،

وبسمة رحمة الله عليها تتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية.

ولما لم تجد أى رد فعل.. أكملت فى هدوء...

- إنك تتحاملين على إنسان برىء بلا ذنب، لقد تحدثت مع مراد

عن قرب فأنا مهندسة الديكور التى تشرف على شقته الجديدة، وهو فى

حالة من الحزن مما يجعله يفقد أكثر من ثمانية كيلو جرامات بالإضافة

إلى عدم القدرة على الذهاب للعمل.

تمالكت الأم أعصابها ثم قالت فى هدوء...

- أعتقد أننى بحاجة ماسة إلى النوم والراحة الآن، فرجاء دعينى

وشأنى ولا تكررون هذه الزيارة مرة أخرى.

وكظمت بيرى غيظها من ذلك التصرف، ولكنها قالت فى احترام..

- إننا نشكرك على حسن ضيافتك وسعة صدرك ونرجو لك دوام

الصحة.

وغادرن فى هدوء، ولكن فى سيارة بيرى أكملوا الحوار الذى لم يتم

بالأعلى....

* * *

لم تعد العلاقة كما كانت بين سارا وحازم، منذ أن أعلنت عن حملها، ولكنه قرر أن يساعد عمر على التخلص منها للأبد. وقد فضل الأخوان على بقاء ذلك الأمر سرا بينهما، حتى عن يوسف الذى كان منفعلا وهو يخبرهما بما فعلته المضيئة الكندية. وكان عمر يضحك باستمرار وعلق مازحا..

– إذن فقد وقعت فى حب إنسانة جشعة، ولا تعطى الحب حقه من الوفاء والإخلاص! هل أصابك البله على الكبير؟ ماذا تتوقع من مضيئة طيران من كندا؟ أن تحبك وتخلص لك فى غيابك!

إنها بالطبع تبقى عليك لأنك تغدق عليها بالهدايا، وتقضى معها وقتا لطيفا، تنفق عليها بسخاء، وهكذا تفكر النساء...
انفعل يوسف قائلا...

– احتفظ بخيرتك لنفسك لم يطلب أحد مشورتك!
هدأ عمر من روعه وهو يقول...
– أنا لا أثبط من عزيمتك، بل على العكس. أنا أؤمن بأن المرأة تعشق فى الرجل قوته وجنونه.

استحثة يوسف أن يكمل بنظرة... فأكمل فى غرور..
– الرجل يا يوسف يملك القوة والمال والعقل المجنون، الذى يمكن أن ينفذ أى شىء يطراً عليه دون تفكير أو حسابان، فأنا مثلا عندما تكون أمامى امرأة جميلة تثير فى نفسى كل تلك الانفعالات، لا أفكر فى أى شىء مقابل أن أحظى بها، حتى ولو كان هذا آخر شىء فى حياتى. وصدقتى أمام هذا الجنون تكون المرأة فى غاية السعادة، لأننى

بما فعلت ملكتها الشعور الذى جعلها ملكة على كل النساء، اللاتى تركتهن وجئت إليها، فتمنحك هى فى المقابل كل ما تريده وأكثر.

صمت يوسف ثم قال بهدوء...

— أنت تتحدث عن المحترفات... ولكن ماذا عن فتاة بريئة مثل

مى مثلاً؟

رد عمر وهو يقلب فى هاتفه...

— والبريئات أيضا يحتجن للقوة والمغامرة، فإذا كانت تحبك ستقدم

لك ما تريده، وإذا لم تكن فإنها ستتبذل أمام كل محاولاتك.

انتبه يوسف لما يقول.. وعلق..

— وإذا كانت تريد ولا تستطيع؟

ركز عمر بعض الشيء ثم قال...

— أتزوجها فى الحال سواء أكان عرقيًا أو رسميًا أو بأى طريقة، ثم

نرى كم من الوقت ممكن أن نظل معا.

ولم يستطع يوسف أن يكبح غضبه... فأخذ يلعن عمر ويزدرية

بصوت عال...

— لا يمكن أن تكون جبلت من لحم ودم مثل كل البشر، أنا لا أدعى

أنسى ملاك ولكنى على الأقل أحمل ضميرًا، بينما أنت لا تعرف حتى

معنى تلك الكلمة... حقا أنت لا تحتمل!

ألم تقابل امرأة نظيفة ولو مرة واحدة فى حياتك؟

هز عمر رأسه علامة النفي قائلاً...

— إنهن موجودات بالطبع.. ولكن لسوء حظى العثر دائما ما أصادف

ذوات الخبرة منهن.

ضحك يوسف بصدق وهو يؤمن على تلك الكلمة الأخيرة..

* * *

كثيرا ما نستيقظ من النوم وفي أذهاننا ومخيلتنا شخص معين، نفكر فيه، يشغل بالنا... وأحيانا نقابله في نفس اليوم عن طريق الصدفة. هذا ما حدث لمراد ومي الذين تقابلا صدفة بأحد المعارض التي تهتم بالتحف والهدايا، وذلك بالقرب من منزلها بمصر الجديدة، وعندما سألته عن سبب وجوده.. تلعثم قليلا ثم قال بهدوء..

- لقد وصف لي أحد الأصدقاء المعرض عندما علم أنني أوسس شقة جديدة.. وأنت..؟ ما هو سبب وجودك هنا؟

نظرت مي أرضا.. وقالت على استحياء..

- إنني أختار هدية عيد ميلاد لإنسانة غالية على قلبي وساعدتني كثيرا.

نظر لها مراد طويلا ثم قال...

- هل هي شخص أعرفه؟ حتى أحضر له أنا أيضا هدية..

ضحكت مي.. وقالت ببراءة..

- إنها بيبي.. ولكنها لا تعلم أنني عرفت عيد ميلادها.. لقد علمته بالصدفة من جواز سفرها، وأريد أن تكون مفاجأة.

ثم حاولت مي أن تغير الموضوع، فسألته عن الصدفة التي حدثت وأنها كانت على يقين بأنها ستقابله قريبا..

فهم مراد أنها لا تريده أن يتمسك بفكرة الهدية.. فقال بصدق..

- إنك لم تعلمي شيئا بعد عن النفس البشرية، والعقل الباطن دائما ما يلهمنا، وإذا كنا ذوى أصحاب سريرة نقية مثلك... فإن أماننا الكثير كي نراه.

ثم عاد مرة أخرى للاقتراح الذى رفضته منذ قليل ، ولكن بشكل آخر...

- ما رأيك أن أحضر لبيرى نفس الهدية التى ستحضرينها؟
اندهشت مى من الاقتراح.. وضحكت قائلة..

- إننى أفضل الاقتراح الأول..

فقال مراد بصوت جاد...

- إننى أعنى ما أقول.. فإننا إذا فعلنا ذلك ، استطاعت هى أن تعود للمعرض مرة أخرى وتختار ما تشاء بذوقها هى.

وهنا ضحكت مى.. وقالت باحترام..

- كل يوم أتحدث معك فيه أكتشف أشياء جديدة، فى البداية ظننتك تسخر منى ! ولكن بعد أن اقتنعت بما قلت.. سنشتري نفس الهدية.

شعر مراد بإطراء.. فقال بتواضع..

- لقد أخذت على عاتقها مسؤولية وضع ديكور الشقة بدون مقابل ، وذلك فى حد ذاته شيء لن أستطيع أن أعبر عن امتنانى له.. فالمجهود الذى تبذله لا يقدر بثمن!

وافقت مى على ما قال.. ثم قالت فى حيرة...

- ولكنى لم أستقر على شيئاً بعد!

وتفقد مراد المعرض ثم وجد تمثالا نحاسيا ، ثم حاول أن يقنع به مى ، ولكنها قالت فى براءة...

- لقد جئت هنا مرة مع ببرى من قبل ، وقد أعجبتها بعض مقترنياته... ولذلك أنا هنا اليوم!

وهنا لم يستطع مراد ان يكتم دهشته...
- إذن فقد أعجبت بيرى ببعض المقتنيات ، فلماذا لم تساعدني في الاختيار؟

نظرت مي نحوه وهمست مرة أخرى...
- ولكن بيرى لا تريد أن يعرف أحد تاريخ ميلادها ، ولا أريد أن أكون أنا من سربت الخبر ، فمن الممكن أن تنزعج! لقد قالت لي صراحة إنها لا تحب أن تتذكره أو تحتفل به ، وأنها حماقة أن يحتفل الإنسان بعام يقل من عمره!

تدخل مدير المعرض وهو يسأل إن كان مراد سيبتاع أى قطعة..
والتفت مراد نحو الرجل وهو يقول بثقة...
- إننا لا زلنا نتناقش ولكننا سنأخذ قطعتين من نفس النوع! ونظر نحو مي وهو يقول...

- مي.. أرجوك ، ما هي أكثر قطعة نالت إعجابها؟
وهنا نظرت مي نحو الأرض وهي تقول بخجل...
- رأس الحصان النحاسية..
وهنا ابتسم مراد وهو يقول..
- لقد كنت شبه متأكد من ذلك... ثم نظر نحو الرجل وهو يطلب منه ما اتفقا عليه.

ولكن مي همست بصوت منخفض وقالت...
- وماذا سيكون رد فعلك إذا لم تأت وتستبدلها؟
قال مراد بثقة تامة...
- إنني متأكد من أنها ستأتني وتستبدلها!

غادرا المعرض وعرض عليها مراد أن ترافقه فى المشى بعض الوقت ،
ولكنها ترددت وهى فى حيرة من أمرها ، قبل أن ترفض فى النهاية .
هز مراد رأسه علامة الاستيعاب ، وشعر بالإحراج نوعا ما ثم اتجه
للسيارة وهو يفكر فى تلك الصدفة الغريبة .
لا تعرفى مى لماذا رفضت الدعوة؟
ربما حديث والدة بسمّة دوى فى أذنيها مثل الطلق النارى ! أو أنها
لم تشأ أن تكون متاحة لكل من يطلب ذلك ..

* * *

عندما لا تكون الخيانة كلمة مستخدمة فى حياتك من قبل ، فإن
من الصعب بل من المستحيل للإنسان الطبيعى أن يتعامل معها فى المرة
الأولى بكل رفق وسهولة .
خاصة عندما يغرق ذهنك فى التفكير العميق ليلا ونهارا ، ولا يزيدك
إلا إرهاقا .. كما أنه يترك عليك ذلك التأثير السلبى الذى تعجز من
خلاله على فعل أو إنجاز أى شىء .
كان هذا هو حال نادر وهو يخبر داليا بأنه فكر وقرر أن يتم ذلك
الزواج العرفى ، وليكن فى أحد مكاتب المحاماة الموثوق فيها .
فى البداية عجزت داليا عن التنفس ، وشعرت بنفسها تحلم أو ما شابه
ذلك ، ولكن توقيع نادر كان حقيقة .. وكذلك توقيعها !
والغريب أن داليا لم يراودها الشعور بالذنب أو الإحساس بالخطأ ،
لقد كانت سعيدة وهى تتزوج من نادر وهذا أهم شىء .
بل ولم تندم على كون الزواج الذى ربط بينهما لم يكن شرعيا أو حتى
ظاهرا للعيان ، ولكن أرقها حرصه على أن تبقى العلاقة حبيسة الظلام
ولا تظهر للنور .

وأدركت فقط وقتئذ أن العلاقات التي تولد في النور.. تعيش في النور، وأن العلاقات التي تولد في الظلام فإنها تظل حبيسة له طول بقائها. ولكنها قبلت ووافقت على ذلك، وكذلك نادر الذي كان صريحا ومحددا معها في ما تم بينهما، فقد اتفقا على أن يظل هذا الزواج سرا طالما استمر زواج نادر ومروة، أما في حالة انفصالهما عن بعضهما... فستغادر داليا منزل عمها بشكل كامل وتنتقل للإقامة مع نادر في نفس المنزل الذي أعده لزوجهما، كما أنه وعدها بنقل صيغة الزواج إلى الشكل الرسمي والشرعي في حالة حدوث الطلاق.

وهكذا حدثت الخطوة الأولى التي طالما حلمت بها داليا، وكم كانت تتمنى أن تصر مروة على موقفها، كي تنتقل للحياة مع نادر بشكل كلي. وتشعر أنها زوجة حقيقية وطبيعية وليس زوجة بدوام جزئي كما كانت تردد له طول الوقت.

وهنا أتى دور نادر الذي كثيرا ما كان يحرص على زرع الطمأنينة داخل نفسها القلقة، كما كان يؤكد لها أنه لها في الأخير، وأنها هي الزوجة التي سيقضى معها أفضل أيام حياته.

وتعددت اللقاءات بينهما في سرية وحرص شديد، ولأن داليا لم تكن ممن يغادرن المنزل بشكل متواصل لأي سبب من الأسباب، كان عليها أن تختار سببا مقنعا في كل مرة.

وبينما كانت تعيش هي أسعد وأروع لحظات عمرها، لم يكن هناك جديد في حياة مروة سوى الإشراف على تشطيب شركتها الجديدة.

تلك الشركة التي لم تكن تدرى أنها ستفقد في سبيلها.. ليس زوجها فحسب، بل أيضا أقرب الناس لها.

* * *

لم تكن علاقة دولت مع سارا جيدة أبداً في يوم من الأيام، حتى بعد أن أشاعت سارا خبر حملها، لم يتغير من ناحيتها شعور دولت. بل على العكس لقد ازدادت نقمة عليها، لأنها دائماً ما كانت تخشى وجود أى كيان لسارا في هذا المنزل. ولكنها فكرت بالطفل الذى بصدد ولادته، وكم كانت تخشى دولت أن يتأثر عمر بالطفل أو أن ينشغل عنها أو عن عمله بعد ولادته.

كانت تجهل تماماً ما اتفق عليه عمر وحازم، لذلك فقد كانت تطالع الجريدة فى الصباح عندما سألت حازم فى هدوء عن أى الأسماء يفضل للطفل؟

وضحك حازم ولم يخف انفعاله وسخريته... فهو لأول مرة يرى والدته تأبه لأمر أحد! لذلك فقد قال بهدوء..

- إذا كان الطفل له أب وأم، ليس من حقى التدخل فى اختيار الاسم!

نظرت له ببرود وقالت..

- طالما أنا موجودة.. فأنا التى ستمنحه الاسم!

أدرك حازم وقتها أن الأمر ليس له علاقة بالحب والحنان، ولكن بالطبع له علاقة بكيان دولت فى المنزل.. فعلق ساخراً..

- أنا أتفق معك شكلاً وموضوعاً فى حقك فى اختيار الاسم، ولكن ماذا لو كان عمر وسارا قررا بالفعل اسماً معيناً!

نظرت له شذراً وهى تقول..

- كيف ذلك؟ دون أن يتحدد جنس الجنين بعد!

وهنا ضحك حازم بصدق وهو يقول..

- أنا أرى أن تجربتك مع الأمومة نجحت بشكل مبهر وملفت للنظر ولكن لا داعى لتكرارها، ولماذا نأخذ الأمر على عاتقنا؟ فلندع الأمر لهما، وأنا متأكد أنه سوف يصل إلى ما وصلنا إليه.. شعرت دولت بالسخرية فى كلامه.. فوضعت الجريدة ونظرت نحوه...

- إنه من البداية خطئى، لأننى تحدثت معك وأخذت برأيك، ولكن من الواضح أن الحديث معك أصبح مثل الحرث فى البحر! ذهب حازم نحو الباب والتفت مرة أخيرة وقال فيما بين السخرية والجد...

- يسعدنى حقا أن أراك على هذه الحالة من القوة والجمال، فأنا على يقين تام بأن علاقتى بك هى الترمومتر الحقيقى لاختبار أعصابك.. نظرت له والدته ببرود، ثم أمسكت بالجريدة مرة أخرى واستمرت فى القراءة.. وكأن الحديث لم يكن.

* * *

مر على شادى يومان قبل أن يفكر فى الذهاب إلى عنوان ذلك الرجل، ولكنه أجرى عنه بحثا على شبكة الإنترنت. وكانت المفاجأة أنه وجده شخصا معروفا، بل ورجل أعمال ناجحًا أيضا، لذلك لم يتردد فى القرار الذى اتخذه. فقد مر أسبوع دون أن يرى كريم، أوحتى يتلقى مكالمة هاتفية منه، ولم يكن شادى سعيدا لذلك، فقد اعتمد بشكل كبير على مساعدة كريم له فى أول الطريق.

لكن من الواضح أن السنوات العشر التى قضاها كريم فى الغربية، جعلت منه شخصا غريبا متبلد الحس والمشاعر.

وبالفعل كان قرارا جريئا من شادى. أن يذهب للرجل ويطلب منه عملا يؤمن به حياته الجديدة فى أمريكا.

وشعر بالسعادة حقا عندما تذكره الرجل واستقبله فى مكتبه. بكل مودة وترحاب.. فى البداية شرح له شادى موقفه من الحياة فى ذلك البلد الغريب.

وتفهم الرجل الوضع، وغمرته السعادة أكثر عندما علم أن شادى مصرى الجنسية. فقد كان الرجل شغوفًا بكل ما يخص التاريخ والحضارات.

ولكنه فى البداية عرض على شادى مبلغًا من المال، ولكن شادى رفض المبلغ وأبلغه أنه بحاجة إلى فرصة عمل يثبت من خلالها كفاءته وجدارته. وإن لم يفعل.. فإنه سوف يغادر المكان من تلقاء نفسه.

ووافق الرجل على ذلك التحدى. ومنحه الفرصة التى طالما حلم بها، بل ومنحه أسبوعًا للتدريب على العمل فى المكان والتمرس على اللغة بشكل سليم.

وعندما خرج شادى من مكتبه لم يكن يصدق ما حدث منذ قليل، فهذا هو يضع قدميه ثابتتين دون اللجوء إلى مساعدة أحد.

وكان أول ما فكر فيه هو أن يتحدث إلى كريم. ويروى له ما حدث، وكيف أنه استطاع أن يتدبر أمره رغم عزوفه عن زيارته، ورفضه مد يد العون له فى بداية الطريق

ولكن رد كريم كان باهتا قاسيا. حيث أبلغه أنه أيضا وجد نفسه على بداية الطريق وحده، وأنه لم يجد من يوجهه ويعينه، وأن ذلك حتما لصالحه، فغالبا ما تزيد تلك الأمور من خبرة الإنسان. بل وأخبره

أنه سعيد الحظ إلى حد بعيد حتى تؤدي تلك الواقعة الصغيرة، إلى عمل في شركة يمثل هذا الحجم.

شعر شادى وقتها أنه بالفعل وحيد في تلك الدولة، وظل يراوده إحساس قليل بالندم في أنه تحمس لفكرة الهجرة من الأساس.

* * *

وصلت صافى لمرحلة متقدمة من الحمل، ولكنها أصرت على الذهاب مع صلاح لزيارة والديه بعض الوقت، حتى لا يصيبهما الملل، ورغم اطمئنانهما على صحتهما بشكل عام، إلا أن الغضب كان مسيطرا عليهم مما يدل على عدم تعافيهما من الصدمة بعد.

وحاول صلاح أن يفهم منهم سبب ذلك الموقف الغريب، ولكنهما آثرا الصمت، ولكن صافى قررت أن تجرب حظها عساها تتمكن من حل هذا اللغز، وتصل إلى ما لم يفصحا به أمام صلاح... وقد باءت محاولتها بالفشل حيث لم ينلها منهما سوى التوبيخ نتيجة الزيارة التي قامت بها مع بيرى ومى، ودفاعهن عن مراد وقد استنتجت صافى أن ذلك هو سبب الغضب الشديد.

ولكن صافى شرحت جميع ما حدث إلى صلاح، الذى أنبها من أجل تلك الزيارة.

كما أقسم لوالديه أنه لا يعلم بشأنها، ثم إن مراد إنسان ومن حقه أن تستمر حياته الخاصة، فهو لا يزال في مرحلة سنوية تستدعى ذلك، ولا يجوز لنا أن نحكم عليه أو نخطط له حياته طالما أن الصلة التي تربطنا به قد انقطعت الآن، كما أننا لا يمكننا أن نلومه على ما حدث، لأن بسمه تركت خطاب بخط يدها، ولم يجبرها أحد على كتابته،

وقد اختارت ما اقترفته يداها بمحض إرادتها ولم يدفعها مراد إليه ، ثم إن النياية لم تشتبه به حتى لمجرد الشك ، وذلك لبعده عن موضع الشبهات ، وقضاء الله لا راد له ، وبسمة قررت ولم تكن طفلة حتى نعول على الآخرين أفعالها .

ظل والداه كما هما فى غاية الهدوء والإنصات ، ومن ثم التفقا إليه وعيونهما مليئة بالدموع من شدة القهر ، كما لاحظ تغير لون البشرة بدلا من الأحمر للارزق الداكن نتيجة إلى كظم الغيظ .

تأثر صلاح بدموعهما ، وخفق قلب صافى لتلك النظرة المليئة بالحسرة والألم ، وحاولت أن تمد يدها كى تصلح بعض ما أفسده صلاح بكلامه المسترسل ، ولكن الأم أشاحت بيدها كى تصد يدها فى جمود ثم قالت ... - لقد دافعت عنه أفضل من ألف محامى ، ولكن تذكرى أنه تخلى عنها فى الوقت الذى كانت تحتاج إليه فيه ، وهو يعلم جيدا كل نقاط القوة والضعف فيها ، كان على علم أنها لن تستطيع تحمل هجره وفراقه لها ، وأنها سوف تلجأ لأى شىء يزيحه ويسعده حتى لو على حساب روحها .

وهنا غمغم الأب بالاستغفار و... وأكملت الأم...

- لقد تغاضت النياية عن الكثير من النقاط ، وأنت ساعدت على أن يذهب دم شقيقتك سدى ، ولازلت حتى الآن تستميت فى الدفاع عنه .

خرج صلاح عن صمته منفعلا ومحتدا...

- المشكلة يا أمى... أن مراد لو كان بالفعل قتل بسمة عمدا ، لكان قتلها فى ذلك الوقت وتلك الليلة بالتحديد ، فذلك هو عمرها سواء كانت مع مراد أو كانت معكم...

ولم يكمل صلاح جملته ، وذلك لأن صافى أطلقت صرخة عالية وهى تمسك بالجنين..

وأمام غرفة العمليات، تفتق ذهن صلاح إلى فكرة غريبة.. فقد سأل نفسه عما منع مراد وبسمة من الإنجاب والحمل رغم أنهما تزوجا سنة كاملة، ولكنها لم تسفر عن أى أطفال!

وهنا دقت كلمات أمه كالناقوس فى عقله (إنه هو الذى دفعها للانتحار يا صلاح، إنه يقنع أى شخص بعمل ما يريد).. وظل صلاح غارقا فى أفكاره حتى أفاق على كلمات المرضة وهى تخبره أنه أصبح أبا لطفل جميل..

ولاحظ الجميع دموعه.. ولكن ما لم يلاحظوه أنها لم تكن من أجل الطفل الذى أنجبه، ولكنها كانت دموع الخوف من أن يكون ذلك الكابوس الذى يتخيله حقيقة وليس من نسج أفكاره.

وتناهت إلى أذنه تبريكات بالمولود من الأجداد الذين تجمعوا والفرحة ترقص أمامهم رقصا، ولكن صلاح تركهم وخرج دون أن يسمع صوت أى منهم، خرج وفى نيته شىء واحد... أن يقابل مراد.

* * *

انتهت بيرى من عمل الديكور اللازم لشقة مراد بشكل كبير حيث اضطرت أن تسرع فى الأداء، حتى يتوافق وما يكلفها به صلاح فى المكتب، فهى لم تكذب تنفس الصعداء قبيل انفراج الأزمة. وقد انبهر مراد كليا عندما شاهد لمسات بيرى السحرية على المكان، حتى أنه لم يتمالك أعصابه وانفجر ضاحكا...

- بيرى... ليس من الغريب أن يطلبك العملاء بالاسم، ولا أن يشعر زملاؤك بالغيرة! لقد علمت الآن لماذا اضطهدك صلاح؟

لم تعلق بييرى على جملته ولكنها نظرت نحوه مباشرة وسألته ...

- هل هذا فعلا رأيك الحقيقي؟

هز مراد كتفيه، وهو يقول ...

- لست مجبرا على مجاملتك، أو أن أثنى على ما تفعلين، ولكنى

بالفعل ما كنت أحلم أن تكون شقتى على هذا النحو.

وقتها فقط أحسست بييرى أنها قامت بعمل شيء مميز، فقد كانت

تخشى أن تكون أضفت على الشقة شيئا بعيداً عن ذوق مراد...

ولكنها وجدته يخرج شيئا ما من صندوق أحضره معه، فحاولت فى

فضول التكهّن بما سيخرجه من ذلك الصندوق... ولكنه قال لها فى

ابتسامة هادئة..

- عيد ميلاد سعيد..

ارتبكت بييرى بعض الشيء، فقد كانت قلقة بمعرفة مراد تاريخ

ميلادها، خاصة أنها متكتمة هذه المعلومة، ولكن ما أزعجها أكثر هو

أنه على معرفة بذوقها المفضل فى التحف.

وفضلت الصمت ولم تجب بشيء فقال مراد معلقا..

- بييرى.. إن تاريخ ميلادك ليس سرا حربيا، أما الذوق فقد علمته

من ما تم وضعه فى الشقة!

لم تكن بييرى ممن يتميزون بالخبيث أو المجادلة، ولذلك التفتت لمراد

وابتسمت فى هدوء قائلة...

- سأحاول أن أقنع نفسى بما تقول، وإن كانت تراودنى الشكوك

فأنا لست بذلك الغباء الذى تحسبني عليه.. وضحكت قليلا قبل أن

تقول...

- ولكن تعجبني الهدية لأقصى حد، فهي مذهلة، ولا أتمنى أن تكون مقابل ما فعلته بالشقة، وتكون بالفعل من أجل عيد ميلادى.
تراجع مراد برأسه وهو يعقد ساعديه أمام صدره...
- لقد ابتعدت بالتفكير لحد بعيد بالفعل يا بيرى، فالهدية كانت ستكون لك سواء فعلت شيئا بشقتى أو لم تفعل! يكفى أنك وقفتى بجانبى فى محنتى، ويكفى صداقتنا وثقتنا المتبادلة!

رفعت عينيها نحوه وهى تقول..
إذن فالهدية مقبولة يا مراد... ولكن على شرط ألا تخبر أحدا، فأنا لا أحب الاحتفال بتلك الخرافات.
ضحك مراد وهو يقول..
- صدقى أو لا؟ أنا أيضا لا أحتفل به!
ابتسمت بيرى فى غموض وغادرت المنزل ولا تزال على وجهها نفس الابتسامة.

* * *

تعددت اللقاءات بين داليا ونادر فى شقتهم الجديدة، وكانا قد لاحظا شىء غريب، فقد كانت هناك علاقة طردية بين لحظات الحب التى يسرقونها من الزمن خلسة والشعور بالذنب الذى كان يمزق أحشاءهما تمزيقا كلما تذكرتا تلك الفعلة الطائشة.
وقد أخبرته داليا كم الأسئلة التى تعتصرها اعتصارا فى كل مرة تعود فيها للمنزل، وكيف كادت زوجة عمها أن توقع بها نتيجة الشك فى تغير سلوكها فى الفترة الاخيرة؟
ولكنه استطاع أن يزرع الطمأنينة فى قلبها كعادته...

- إننا لا نفعل شيئاً ضد الشرع أو القانون، ولكن الشعور بالذنب نابع من الضمير الحى لكلينا!

ولأنهما أحبا جميع الأشخاص فى هذه العائلة بشكل مبالغ فيه، فإن ذلك الإحساس هو نتيجة الحب ليس إلا!
وهنا سألته داليا بخصوص الحب...

- إذا كان لا يزال يحب مروة أو ينتابه تجاهها أى شعور خاص؟
وبعفوئته المعهودة أجابها...

- مروة كانت ولا تزال زوجتى أمام الناس، وتتمتع بكافة الحقوق والصلاحيات حتى تنتهى هذه العلاقة.

انتزعت داليا نفسها من بين ذراعيه وهى تصرخ مستنكرة...

- إذن فلم تتغير نظرتك إليها ولا تزال تحبها. حتى بعد كل ما منحتك إياه، لقد غامرت بكل شىء الأسرة، الدفء والاحترام، بالإضافة لفرص لن تعوض أتت ورفضتها من أجلك!
رفع نادر حاجبيه فى دهشة وهو يقول...

- هل هذا الحديث عن جد أم أنه مجرد مزاح ثقيل؟ وعندما أشارت نحو الإجابة الأولى... حينها التفت إليها نادر ثم قال بهدوء...

- إذن دعينى أذكرك يا زوجتى العزيزة أنك أنت من سعيت وراء هذا الوضع الذى نحن فيه الآن.. ولست أنا!

كما أنك أهدرت كرامة تلك العائلة التى منحتك كل شىء كما ترددى، بمحض إرادتك...

والأغرب من هذا و ذلك.. أن ما يدور بيننا الآن من نقاش بسبب تمسكى بمروة ابنة عمك.. عميد تلك العائلة التى لا تلبثى تفكرين فى هدمها... أليس فى كلامك شىء كبير من الازدواجية والخلل؟

استنكرت داليا ما قال.. ودافعت عن نفسها قائلة..
- خلل! هل تشكك في ولائى لأسرتى؟ أنا أحب أسرتى وأحبك...
وأريدكما معا!

تهالك نادر من الضحك ورد قائلاً...
- رغم زواجى من ابنة عمك زواجا شرعيا، ووجودنا معا فى شقة
واحدة بموجب عقد عرفى!
هذا وحده كفى أن يهدم أى أسرة إلا إذا كانت حديدية، أو أفرادها
لا يابهون لشيء...
هنا هدأ صوت داليا ولكن لم تهدأ ثورتها...
- هل تلقى بالذنب على عاتقى وحدى؟ أو لست تتحمل جزءا من
المسئولية؟

ردد نادر فى استسلام...
- أنا لا أتملص من المسئولية، ولكنى أيضا لم أقدم على أى قرار
إلا بموافقة منك، وتشجيع كبير جعلنا فى هذه الوضعية الصعبة، وليكن
فى علمك أن كل لقاء لنا، وكل قرار اتخذناه كان بمثابة خنجر يوضع
فى ظهر عائلتك الكريمة. وذلك الخنجر لم أضعه وحدى.. بل وضعناه
معا.

فقدت داليا السيطرة على أعصابها وجسدها فتهافتت على السرير
ودفنت وجهها بين يديها وأجهشت بالبكاء، ولكن نادر ربت على
ظهرها واحتضنها وردد فى صوت أشبه بالهددة...
- لسنا فى وضع يسمح أن نتعارك، لقد بتنا فى نفس المركب وإذا
نجونا فسنكون معا، وإذا غرقنا فسنغرق معا!

انقطع نحيبها بعد ما قال، ولكن حل بدلا منه صمت أشبه بصمت القبور.

* * *

لم تكن دولت فقط أم ذات رأى نافذ، وأخت ذات بصيرة واسعة ومواقف قوية، فقد كانت تشرف بنفسها على ترتيبات الزفاف الخاصة بابنة شقيقتها فرح.

وقد جاءت ملك كالمعتاد كى تلقى بثقل همومها على عاتق دولت التى كانت تعتبر نفسها المحرك الرئيسى للأسرة، كما أنها أرجعت التغيير الذى حدث فى حياة يوسف بمدى تأثره الواضح بحازم. ولكن دولت تجاهلت حديثها كالعادة، وأخذت تملى عليها التعليمات وملك تدونها وراءها بسرعة شديدة خشية أن تنسى أى شىء.

وبعد الانتهاء نوعا ما، تفرغا لمشكلة يوسف الذى أصبح بإمكانه قضاء شهر كامل خارج البيت. وحسمت دولت الأمر بأن ملك لم تستطع السيطرة على يوسف فى الوقت المناسب مثلما فعلت هى مع ولديها!
وهنا ابتسمت ملك بشىء من الخبث وهى تسأل...

– هل من دليل على تلك السيطرة؟

وهنا تراجعت دولت فى مقعدها وقالت...

– يكفى أنتى فى الوقت الذى شعرت بحتمية التوسع فى توكيلات السيارات.. أجبرت عمر على الزواج من سارا، مع العلم أنه لا يحبها ولا أنا أحبها، كما أنها تبادلنا نفس المشاعر... ولكن بيننا شراكة تقدر بمليارات وذلك يكفى لإنجاح أى علاقة، وعلينا أن نضع الحب جانبا، كما أنها حامل الآن على ما أعتقد، ليس هذا فحسب... فأنا على

علم بكل ما يدور فى منزلى سواء تواجدت فيه أم لم أتواجد، أما حازم فإنه من الممكن أن يتمرد ولكنى لا أفقد السيطرة عليه أبدا، فأنا أحكم قبضتى على كل من يعيش معى داخل وخارج هذا المنزل. واستطردت دولت فى هدوء... كما أن يوسف لم يعد طفلا صغيرا، ويجب أن تتركى له مساحة من الحرية فى اختيار شريكه حياته طالما لا توجد لديكم أسباب تجبره على الزواج من فتاة بعينها. ولا تجعلى من نفسك عانقا أمام سعادته، فأنتم لستم فى حاجة للمال ويوسف لا ينقصه شىء، فاستمعى لنصيحتى وانتهى من زواجه هو وأخته كى تتفرغى لتلك الأندية الخيرية التى تلتهم نصف وقتك دون عائد أو أرباح.

نظرت إليها ملك وأطالت ثم قالت بتؤدة...

- نحن كما سلف أن ذكرت لسنا فى حاجة للمال، ولكن مركزنا الاجتماعى يحتم علينا أن ننتقى من نتزوج، فوالده سفير كما أن زوج شقيقته مستشار وعائلته و و و... قطعتم دولت حديثها...

- إذا واصلت التفكير بهذه العقلية فستفقدين يوسف للأبد، فهو يملك كل مقومات الزوج المناسب ليتزوج كيف يشاء!

وفى الأول والأخير له مطلق الحرية فى الاختيار، وأنا واثقة بأنه لن يستمع إلا إلى صوت قلبه.

* * *

عندما يكون للإنسان هدف معين نصب عينيه فإنه لا يفكر فى أى شىء سوى تحقيق هذا الهدف، حتى لو كلفه ذلك الكثير أو كان على حساب بعض الأمور فى حياته.

ومع احتدام الصراع بين نادر ومروة، وقبيل الانفصال التام بينهما، انشغلت هي بتجهيز مقر الشركة الجديدة الخاصة بها، ولم يبق الكثير بالفعل للعمل على الافتتاح.

وبينما هي تواصل تحاشي النظرات من عيني نادر، إذا بها تتلقى عرضا من أحمد... الذى قرر معاونتها فيما تفعل، خاصة وأنها فى حاجة ماسة إلى أشخاص على ثقة تامة ببراعة أعمالهم. وقد كان أحمد بالفعل بارع فى التصميم الهندسى الأوروبى الذى أصبح منتشرا فى كل المدن الخاصة، كما كانت تفضل البساطة فى أعماله، لذلك قررت أن تقبل العرض بل وتمسك به.

ولكنها لم تخف قلقها مما سيحدث إذا ما ترك الشركة، وذهب إلى شركتها، كما كان يقلقها أن يصل الخبر إلى نادر دون توضيح مسبق منها.

ولكن أحمد أكد لها تفرغه التام للشركة الجديدة، ولديه المزيد من أوقات الفراغ التى يقضيها فى تصميم نماذج من وحي الخيال حتى لا يصيبه الجنون.

ابتسمت مروة.. وقد وافقت بذلك على العرض الكريم الذى عرضه عليها، واتفقا على موعد قريب كى يضعا الخطة الأساسية للعمل.

ولكن رغم انتهائهما من العمل فإنهما لم يفترقا عند ذلك الحد من الحديث، بل ظلا يتحاوران عن مشاكل الشركة وعما حدث بينه وبين صلاح، وعن التحول الذى أصاب الشركة من قوة جماعية مثل أصابع اليد الواحدة إلى شبكة متداخلة مثل بيت العنكبوت ليس لها أول وليس لها آخر، كما صارحها أحمد بأنه يفضل الابتعاد عن تلك التكوينات العنكبوتية، وأن العلاقة لا زالت فى مرحلة التحفظ بينه وبين الجميع

بمن فيهم صلاح.. كما أنها منعدمة تماما مع البعض الآخر. أما العمل الذى ظل متكدسا.. لم يبق منه شيء نظرا للأوقات التى أفضيها فى الشركة، فقد ظللت عاكفا على كل المشروعات حتى أنهيتها جميعا وقبل الجميع، وليس غرورا.. ولكن جميع العملاء قد انبهروا بما صنعت يداى.

وبعد أن انتهيت، أصبح توزيع المشروعات على المهندسين يتم على حسب المقامات الشخصية، وليس حسب الكفاءة والقدرة على الإنتاج. ظلت مروة تستمع له دون أى تعليق منها.. ولكنها وجدته يتطرق إلى مناقشة الحياة الشخصية، حيث إن مزاج مروة وحالتها النفسية استرعت اهتمام أحمد.

ولكنها علقت بمزيج بين الجد والضحك...

– (قد أبدو أمامك محطة ولكنى لست صيدا سهلا أبدا) فقد علمنى أبى... كيف أفضل بين ما يعتمل فى نفسى وما يحدث خارج حدود النفس. وهو رجل اعتصره الفقر اعتصارا، كما أنه نجح فى تكوين ذاته مرورا بتربية أولاده وأولاد أخيه، وعمله فى السوق حتى أصبح اليوم من أكبر الأسماء فى تجارة السيارات.

قد يكون أحمد ممن يبرعون فى نصب المكائد، ولكنه بالفعل كان يتميز بذكاء عقلى كبير، سواء فى العمل أو فى فهم الشخصية التى تجلس أمامه.

وقد فطن إلى ما كانت ترمى إليه، ولكنه لم يرد أن يخسرها كصديقة تستمع له دون حواجز أو قيود، كما أن فى شركتها الجديدة ملاذا له بعيدا عن أنياب حازم.

فعلق على ما قالت بهدوء لم يعتده أحد...

- لا تجعلى الصورة القديمة عنى تخدعك، فكل شىء فى هذه الدنيا قابل للتغيير... كما تغير صلاح وأصابته الرقة، وتغير حازم للناصح الأمين.. يمكننى أيضا أن أتحول للحمل الوديع! ومن وجهة نظرى المتواضعة أتنبأ بأن تلك الموجة من التغيير التى تجتاح الشركة لن تستمر طويلا، وسوف تسقط كل الأقنعة قريبا، وسرعان ما تحدث نوبة إفاقة جماعية من تلك الاوهام. وعلى كل حال فأنا أرى أنهم بحاجة لزلزال قوى يوقفهم أو إعصار يلتهمهم ويلفظهم مرة أخرى.. وتلك الأشياء ستحدث ولكن وحدها الأيام كفيلة بها!

وانبهرت مروة برؤيته وبنفكيره المنمق المتزن، واستنكرت فى الوقت ذاته...

- وأنت... ألسنت جزءا من تلك الموجة؟ ألم تُذعُ شائعة نسجها فقط خيالك المر...

سكتت عن الكلام فجأة.. عندما لاحظت تغير وجهه، وقد هم بالانصراف معلقا...

- من الممكن أن يكون خيالى كان قد جمع بعض الشىء، ولكنه ليس مريضا والدليل على ذلك أنى نسيت ما حدث وتعاملت مع الوضع.. وأنتم لم تستطيعوا.

والمرضى يا سيدتى هو من يرى الآخر يخونه ويتظاهر أنه مغمض العينين...

تركها وخرج من الغرفة وهو لا يدرك ما الذى أكده بداخلها، فمنذ فترة والشكوك تأكل عقلها وقلبها بل تلتهمها التهاما، وكانت جملته كفيلة أن ترجح كفة تلك الشكوك عن كونها وساوس من عمل الشيطان..

* * *

ذهب حازم إلى شقة مراد الجديدة، فقد انتقل إليها بالفعل كما أنه دعا حازم أكثر من مرة ولكن حازم كان مشغولا مع عمر في بعض الأعمال. وعندما رأى لمسات بييرى السحرية، علم في داخله أنها كانت تريد أن تثبت من خلال ذلك العمل أنها بالفعل تستحق أن تكون في المكان الذى حاربت من أجله.

وتذكر حازم مع مراد أنه عندما أتى إلى تلك الشقة منذ ثلاثة شهور لم تكن سوى جدران خالية من أى روح، أما ما يقف أمامه الآن لا يدل إلا على ذوق فنانة تعشق عملها إلى أقصى حد.

وقد أعجب حازم بشدة بذلك الركن الشرقى ذى الطابع السينواى الذى صممه بييرى فى طرف من أطراف الشقة، وقرر أن يجلس فيه مع مراد طوال الليل.

تجاذبا أطراف الحديث كالعادة دون مقدمات عن كافة أحداث الأسبوع، ولكن الحدث الأهم والأبرز بالنسبة للشركة وحازم كان الحصول على صفقة سلسلة فنادق عالمية فى مصر وبالتحديد فى ثلاث محافظات مصرية (القاهرة - الأقصر - جنوب سيناء).

صمت مراد قليلا ثم تتم فى شرود...

- أنا بالطبع سعيد من أجل تلك الأخبار، ولكن هل الشركة يمكنها تحمل مثل هذا الحجم من الصفقات يا حازم؟ فبالرغم من التمويل الجيد والضخم من المجموعة فإنك دائما ما تعاني فى نهاية كل عام من المشكلات والمهاترات مع الضرائب... وفى الأخير أنا أرى أنك تحتاج إلى شريك قوى كى يساندك.

أطلق حازم صغيرا من بين شفقيه، ثم طرقت أصبعيه وهو يبتسم بشكل غريب...

- لقد وقعت بالفعل عقد شراكة مع مروة وشركتها الجديدة، وذلك لما سوف يعود على الطرفين. ولكنها مسألة وقت ونعلن الشراكة وحتى الآن فهي سرية لا يعلمها أحد سواك.

سأل مراد في تردد..

- وما هي الفائدة التي ستعود عليها؟

ابتسم حازم في خبث وهو يقول...

- أولاً... ستنقسم الضرائب على شركتين بدلا من واحدة، ثانياً...

سيتوسع النشاط لكل منا وتصبح مؤسسة بدلا من شركة، وثالثاً...

ما لا أستطيع أن أنفذه وحدى، تنفذه شريكى معى.. فهي أيضا فى

بدايتها وتحتاج إلى مشروعات كبيرة كى تكبر معها..

ضحك مراد وتمتم...

- من الواضح أن جميع أفراد الأسرة لديكم لا تفكر إلا فى المال

والأعمال، فعقلك يعمل تماما مثل والدتك وأخيك!

مط حازم شفتيه وهو يقول...

- وهل ذلك ميزة أم عيبا؟

ضحك مراد وقال بصدق حقيقى..

- إنه ميزة يا حازم.. وهل هناك أجمل من الإنسان الطموح؟ ولذلك

نحن لا نزال أصدقاء... فكلانا طموح!

التفت حازم بعينيه فى المكان ثم واجه مراد قائلاً...

- لقد قامت ببرى بعمل جيد بالفعل، من الممكن أن أجعلها تقوم

ببعض التعديلات على شقة المعادى لأنى أفكر بالزواج فيها...

ثم نظر نحو مراد بشىء من الخبث وهو يكمل...

- ولكنى لم أستقر على العروس حتى الآن!
نظر مراد بعيدا وهو يقول بصوت مرتعش..
- وماذا سيكون رد فعلك لو لم تنل الشقة إعجاب العروس المحظوظة؟
وهنا ضغط حازم على الكلمات وهو يقول...
إذن.. لابد أن تكون العروس شخصا قريبا من بيرى أو بيرى نفسها
حتى لا يكون هناك اعتراض!

هبط الوجود على وجه مراد... وسأل بصوت مهزوز
- وهل أنت تريد أن تتزوج بيرى؟
رفع حازم كتفيه فى تلقائية ثم رد قائلا...
- لم أحدد.. أنا اقترحتها هى أو شخصا قريبا منها فى الذوق العام،
ولكنى بالطبع أريد رأيك فى ذلك الاقتراح...
قال مراد بصوت غير مقنع...

- هل تريد رأيا صريحا أم رأى يرضى جميع الأطراف؟
نظر له حازم طويلا.. وقال فى هدوء
- مراد... أنا أسأل أقرب الناس لى، كما أنه طيب نفسى، ولم أسأل
قاضيا شرعيا!

حاول مراد أن يبتسم ولكنه عجز عن ذلك، فقال فى سرعة..
- إذن... من وجهة نظرى المتواضعة أن تقوم بسؤالها هى أولا.. قبل
أن تأخذ أى إجراء بخصوص الشقة.
قال حازم وقد فرغ صبره...

- مراد... أنا سأقوم بموضوع الشقة سواء تزوجتها أم لا، لأن الزواج
ليس ضروريا بالنسبة لى مثل الخروج ولو ساعات قليلة من شرنقة دولت
هانم.

تهللت أسارير مراد وهو يقول...

- إذن بيىرى بالنسبة لك مثلها مثل أى امرأة أخرى؟

وهنا ابتسم حازم ابتسامة صفراء ثم قال...

- ولماذا كل هذه السعادة يا دكتور؟

ارتبك مراد بعض الشيء.. وصمت قليلا قبل أن يقول..

- لأنى أود أن أعرض عليها نفس العرض... الذى كنت بصدده منذ

قليل!

مط حازم شفتيه وفكر قليلا ثم قال باسم...

- أنا كنت متأكدًا من أنك تحبها يا دكتور، ولكنى أردت أن أختبر

مدى قدرتك على الاعتراف بذلك الحب..

توقف مراد عند رد الفعل، بل واستنكره وحاول أن يقول شيئًا ولكن

حازم استوقفه قائلاً...

- مراد! من حقلك بعد التجربة المؤلمة التى مررت بها أن تحظى

بحياة طبيعية مثلك مثل باقى البشر، أنا لم تتعد أفكارى عن بيىرى

سوى جهدها ومهارتها وثقافتها وحيويتها التى أضفتها على المكان...

ولكن من الواضح أنك أنت الذى غرقت فى بحر الحب وشربت منه

حتى الثمالة.

قال مراد فى جمود.. وكأنه يريد أن ينفى ما قاله حازم...

- حازم.. لأنك بالفعل على دراية تامة بكل ظروف حياتى، كما

أنتك بالنسبة لى حالة خاصة، ولست مجرد صديق، فإنك أعلم الناس

باستحالة حدوث ما اقترحتة منذ قليل.

هز حازم رأسه ومد يده نحو رأس مراد...

- إننى أعلم جيدا مكانى فى حياتك ، ولذلك من حقى أن أنصحك بأن تتزوجها قبل أن يتزوجها أحد غيرك.. ثم ابتسم فى لؤم قائلاً..
- أأست واثقا من نفسك.. أو فيها.. أو فى أنا؟
- انفعل مراد فى قوة وهو يصرخ...
- حازم.. أنا بحياتى ما شككت فى أخلاقياتك ولو للحظة واحدة، نحن بمثابة إخوة...
- نظر له حازم بتمعن ثم قلد مراد بصوته العميق المعهود مع المرضى..
- وهل لديك شك فى صدق كلامى؟
- ضحك كلاهما.. ثم قال حازم بصوت جاد...
- هل ستكلمها أنت.. أم أكلمها أنا عنك؟
- صمت مراد وقال...
- ستظن أنى جبان، وأنا لا أريد أن يكون الانطباع الأول بهذا الشكل..
- لم يستطع حازم كتم الضحكة وهو يقول...
- ولكنها تعرفك بالفعل.. لماذا التعقيد؟
- قال مراد فى جدية..
- حازم.. بواقع طبيعة عملى، أنا أدرى بالتكوين النفسى لكل من أتعامل معهم!
- ارتضى حازم على الأرض ثم قال وهو يتنأب...
- وأنا يمكننى أن أخبرك أننى سوف أنام عندك اليوم.. نظرا لبعضهما البعض ثم استسلما للنوم على الأرض.

* * *

تواصل نزيف الشكوك داخل قلب مروة ووالدتها بشأن داليا ومواعيدها الغامضة المتكررة.

ليس هذا فحسب.. بل أيضا لاحظا حرصها الدائم على المحافظة على مظهرها، والتكتم والبعد عن الآخرين بشكل دائم.. وهى التى كانت لا تترك شاشة التليفزيون أو المطبخ.

وقد انشغلا فى غمرة تعدد أسماء الأصدقاء الذين تذهب داليا لزيارتهم، عن المشكلة الأساسية مع نادر... وإلى أين وصل الخلاف بينهما؟

ولكن بينما هما فى ذلك النقاش، تظهر داليا متأهبة للخروج من جديد، مما أدى إلى انزعاج الأم، فقد أثارت حفيظتها بما يكفى حتى الآن وهى تخشى أن يكون هناك شيئا سيئا يحدث من وراء ظهرهم جميعا، وأن قلبها يخبرها بذلك ولكنها لا تريد أن تبوح بمكنونات صدرها لأحد حتى لا تصيبهم بالتوتر.

وعندما لاحظت مروة مدى إصرار داليا على الخروج بأى شكل، ومهما كان الثمن.. تركتها تخرج بعد أن اتفقت مع والدتها أن تتبعها سرا بسيارتها وتعرف سبب ذلك الإصرار...

وكما توقعت مروة فقد أخذت داليا أول تاكسى وجدته فى طريقها، وذلك حرصا منها على الوصول قبل نادر، ولم تلاحظ سيارة مروة التى سارت خلف التاكسى بهدوء وعلى مسافة متباعدة.

وظل عقل مروة يعمل طوال فترة المراقبة، ورجحت فكرة أن تكون داليا متوجهة نحو أحد الأماكن العامة لمقابلة أحد الأشخاص، ولكن عكس توقع مروة توقف التاكسى أمام أحد البنايات السكنية ونزلت منها مسرعة نحو البناية.

وهدأت مروة بعض الشيء، واستنكرت ما قامت به، لأن داليا ربما كانت على حق وبالفعل في زيارة لإحدى صديقاتها كما أكدت قبل أن تذهب. ترددت للحظات ما بين عودتها للمنزل، أو أن تنتظرها، أو تسأل حارس العقار... وأخيراً.. حسمت أمرها وقررت أن تسأل حارس العقار لتضع الأمور في نصابها الطبيعي، ولأنها باختصار... ليس لديها الوقت كي تظل تراقب اليوم كله...

ولكن المفاجأة هبطت عليها كالصاعقة حيث أخبرها الحارس أن داليا متزوجة بالبنية منذ ما يقرب من شهرين، وأشار نحو سيارة زوجها بيده... وهنا هبطت عليها المفاجأة الثانية كمن هبط عليه جبل من السماء... إذ لم تكن تلك السيارة سوى سيارة نادر...

ترنحت مروة لدقيقة أو دقيقتين من أثر الخبر، ثم استعادت قواها ببطء، وقررت أن تصعد كي تقدم لهما التهنئة!

كانت الصدمة جد عميقة والطعنة في الصميم بالنسبة لها، فقد توقعت لقاء في مكان عام، ولكن ها هي تقف أمام أكبر دليل على الخيانة.

فقد ظل نادر متجمدا للحظات ومروة تنظر له بجمود، فقد اتضح للجميع الحقيقة بلا أكاذيب.. بلا تزييف.. وقد سقطت الأقنعة من على كل الوجوه سقطة واحدة...

ولكن داليا كانت بلا استجابة، فقط دست وجهها بين يديها، للابتعاد عن نظرات مروة النارية التي ظلت ترمقها بها.

وانهار نادر فوق أحد المقاعد، وحاول أن يقول شيئاً ولكن الحروف أبنت أن تخرج من ذلك الفم الجاف، حتى شعر بأنه من الممكن أن يكون فقد النطق.

أما مروة.. فلم تكن تتوقع الخيانة من أقرب الناس إليها، ولكنها الآن أمام نموذج حى للشر والكراهية فى آن واحد. وتركزت نظراتها الملتهبة على نادر، وقد تملكته روح غريبة وقوى غير عادية، وللحظة تمنى أن يكون بيدها مسدس كى تقضى على حياتهما.. ليكون الموت جزاء الغدر والخيانة.

ولكنها انهارت على المقعد المقابل إلى مقعد نادر، والدموع تنهمر من عينيها ساخنة كالأمطار فى ليلة ممطرة من ليالى الشتاء القارص. وأخيرا نجحت محاولات نادر فى التحدث، فتنحى قبل أن يسأل بصوت مبحوح...

– هل يمكن أن أعرف سبب وجودك هنا؟

ندت عن مروة شبه ابتسامة ساخرة فى غمرة الدموع، وهى تقول فى صعوبة...

– حدست أُمى بأن زوجتك الجديدة ربما تكون على علاقة بأحد، وأن تعدد أسباب الخروج لديها ربما يكون وراءه سر كبير، ولإنها كانت تخشى عليها ظنا فى سذاجتها وبراءتها. لذا فقد طلبت منى أن أتبعها دون أن تدرى، كما توقعت أنها ذاهبة إلى أحد الأماكن العامة.. ولكنى لم أتخيل فى أسوأ كوابيسى أن تكون أنت هذا الشخص.

رفع نادر حاجبيه، وهز رأسه وابتسم غيظا وهو يتمتم...

– إذن.. لقد كانت والدتك السبب وراء كل ما حدث بيننا، ووراء دفعك الدائم لتأسيس شركة خاصة، والآن لا تريد أن تبتعد عنى أيضا وبحدسها وشفافيتها استطاعت أن تكشف الأمر... هل تطلبين منى أن أصدق أن والدتك حريصة على مستقبل داليا؟

ضحكت مروة والألم يعتصرها والدموع لازالت تنهمر وقالت...

- لم تكن تحبها منذ بداية الزواج، ولكن لك أن تتخيل - هي أم - مثلها في ذلك مثل كافة الأمهات، ولديها القدرة على الحدس إذا كان أحدهم في أزمة أو ورطة، ورغم أنها لم تنجب داليا، إلا أنها شعرت بشيء غير عادى فى المواعيد المريبة والكذب المتكرر... وأكثر ما يدعو للسخرية.. أن كل ما كانت تخشاه أن يسلب عقلها شخصا ما.. فقط طمعا فى ما لدى عائلتها وليس حبا فيها.

ثم تحول صوت مروة للصرخ وهي تقول...

- ماذا فعلت لكما حتى تكون الطعنة مزدوجة وفى الظهر؟

وهنا قالت داليا وقد استردت جزءا من قواها..

- لا تحسبين أنك قد اكتشفتى سرا كبيرا، فقد كنا نعلم أن هذا اليوم

قادم لا محالة، ولكن هو التوقيت الذى لم نحسب له حسابا!

تجهمت مروة وعقدت شفثيها وهزت رأسها، ثم قالت بنفس الصوت

الثابت وقوة الشكيمة...

- تلك السيدة التى طالما سهرت على راحتك، ولبت طلباتك قبل

ابنتها، هى نفسها التى خشيت أن تكونى قد وقعت فريسة أحد

الطامعين فى المال - خاصة - وأنت ساذجة وبريئة كما كنا نظن

جميعا. ولم تكن تعلم أنك هنا فى أحضان زوج ابنتها...

ثم واجهت نادر وهي تكمل...

- ألم يكن كافيا ما عانيته معك؟ لماذا تصر على زرع الشوك فى

طريقي وتحت أقدامى؟

وكأن الشوك والدماء التى سألت من قلبى لا تكفيك ولا تعنيك فى

شيء، ثم أكملت وهي تلهث...

- ألم تخبرها يا نادر عن السبب الرئيسي في الخلاف الناشب
بيننا؟ ولماذا نحن على وشك الطلاق؟

ثم قالت وكأنها تعرس سكيناً في قلبه...

- لأنه لا ينجب، ولأنه يخشى نجاحي، ودائماً ما يزرع في طريقي
العراقيل، ولأنني أفضل منه من كافة الوجوه، ولأنه لا يمكنه حتى الآن
أن يتكيف مع الحياة التي أريد أن أحيها... كما أننا سأمنا الكذب
والاحتقار على بعضنا البعض... وإذا كنت تحليت بشيء من الصبر
بعض الوقت، لكان زواجكما هذا حدث في العلن وليس في السر.

حاول نادر أن يقول شيئاً.. ولكن مروءة لم تسمح له بذلك.. وقامت
من مجلسها وهي تقول...

- سيكون عليكما التواجد اليوم في تمام التاسعة في منزل الأسرة،
ونظرت نحو نادر.. وقالت بصوت هادئ...

- ولا تنس أن تحضر المأذون معك!

وحولت نظرها نحو داليا وهي تقول بنفس النبرة...

- أتمنى أن يكفى الوقت حتى تتمكني من حزم جميع أمتعتك وكل
ما يخصك من بيت عمك حتى تنتقلي لمنزلك الجديد...
توجهت نحو الباب وخرجت بهدوء يخفي تماماً ما كان يعتدل في
أحشائها.

* * *

عندما يبتعد عمر وحازم عن المنزل، تشعر دولت بفراغ كبير في
يومها، ولكنها لاحظت أيضاً ابتعادهما عن العمل.

وهنا كان لابد لها أن تقلق، حيث أنها لا ترتاح عندما يبتعد واحد
منهما، فماذا يكون الوضع عندما يختفي الاثنان؟

وتزايد القلق عندما أخبرها عمر بأنه مع حازم فى نفس المكان، فقد كانت دولت تخشى كثيرا من أن يجتمعا فى التفكير فى أمر واحد... إذ لا بد من أنه كارثة بلا شك...

ولم يكن مر كثير من الوقت منذ انتهاء زفاف (فرح)، حيث كانت غير متواجدة كثيرا فى المنزل أو المجموعة لمراقبة ما يقومان به، ولكنها ظنت أن سر ابتعاد عمر هو كثرة خلافاته مع سارا. كما أنه تعتمد قضاء معظم أوقاته بالمنبع، مكثفيا بعقد مزيد من الصفقات، والبقاء بجانب المعارضات فى جو من المتعة والسهر.

ولم تكن تعارض ذلك، فقد كانت دائما ما تردد (أن الرجل إذا ما خان زوجته لا يجب أن يلام.. لأنه لو وجد كل شيء لديها ما تركها من أجل امرأة أخرى). فيما ظل حازم على نفس الوتيرة (يعارض ولكن لا ينفذ) وقدر ما كان ذلك الأسلوب يضايق امرأة لها شخصية دولت المتسلطة، إلا أنها كانت تتغاضى عن بعض الهفوات.

ولكن فى الوقت الذى كان القلق فيه يعصف بدولت هانم، كان عمر وحازم مجتمعان فى شقة المعادى يخططان للطريقة التى سوف يتخلصان فيها من سارا، فقد اقترح عمر أن يتم قتل سارا بوضع كمية كبيرة من السم أثناء تناولها الطعام، وبالفعل وافق حازم على طريقة القتل التى اعتبرها رحيمة نوعا ما، ولكنه اعترض على مكان تنفيذ القتل فى المنزل أو حتى فى مصر.

ولم يستوعب عمر ما يحاول حازم أن يشرح له.. فكرر حازم بهدوء.. - أنا أصر على أنه إذا كان يجب علينا التخلص منها، فيجب أن يكون ذلك خارج مصر..

نظر له عمر بجمود.. وقال بحدة

- إننى لا أفهم وجهة نظرك.. هل من الممكن أن تسترسل أكثر فى الحديث؟

هز حازم رأسه وكأنه على وشك أن يشرح شيئا ما..
- يجب أن تقنع سارا بالذهاب إلى أمريكا مرة أخرى.. لأى سبب ما،
ثم على أحدنا أن يوصلها للمطار بالسيارة. ولأن سارا لا تحب الجلوس
فى المطار انتظارا للطائرة كما يعلم الجميع، فهى ستتناول أثناء الطريق
من المنزل حتى المطار القليل من العصير... وكما أكدت أنت منذ قليل..
فإن مفعول السم لن يظهر قبل خمس ساعات تكون فيها الطائرة قد أقلعت
بالفعل، وتكون الوفاة طبيعية نتيجة هبوط حاد فى الدورة الدموية.
ظل عمر يفكر فيما قال حازم بعض الوقت... ثم قال بخبث...
- إنها بالفعل فكرة عبقرية.. وعقلك لازال يعمل جيدا فى الشر كما
كان دائما... ولكن ما السبب الضرورى الذى سيلزمها بالذهاب إلى أمريكا؟
نظر له حازم.. وابتسم بدهاء..
- أنا.. سأقنعها بالذهاب بطريقتى الخاصة، ولكن عليك أنت أن
تصحبها فى رحلتها الأخيرة..

ضحك عمر عندما سمع الجملة الأخيرة، ثم نظر إلى حازم الذى
ضحك بدوره.. وقد شعر كلاهما أن الأزمة أخيرا فى طريقها إلى الانفراج.

* * *

فيما بين الأصدقاء لا توجد حواجز أو قيود، وعندما ذهب صلاح
لزيارة مراد كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة عصرا بقليل، ولكنه شعر
بالقلق عندما وجد صلاح يقف متجهما أمامه و يقول..
- إننى أذكر مواعيدك جيدا، وأعلم أنك تغادر المنزل فى تمام
الرابعة.. كى تستطيع التواجد فى العيادة فى الرابعة والنصف.

تفاجأ مراد فى البداية من الزيارة، لأن صلاح لا يعلم عنوانه الجديد ولم يحاول أن يسأله عنه... وظل صلاح متجهماً منتظراً أن يدعوه للدخول، ثم قال بجفاء وهدوء...

– هل ستتركنى أقف أمام الباب؟

أفاق مراد من حالة الشرود التى اكتنفته.. وابتسم فى خجل.. ثم أفسح الطريق إلى صلاح حتى يدخل الشقة، دون أن ينطق بأى حرف. وبدأ صلاح حديثه متهمكماً.. حيث هز رأسه وتمتم فى خبث...
– ديكور رائع! لا بد أن المهندس الذى استخدمته طلب مبلغاً كبيراً، حتى تكون شقتك فى مثل هذه الروعة...

فهم مراد ما يرمى له صلاح وردد فى هدوء وهو يجلس على المقعد المواجه لصلاح...

– أظنك تعلم أن هذا الديكور الذى نال إعجابك هو من صنع أحد مهندسى شركتكم ومجاناً أيضاً..

لم يتمالك صلاح نفسه من الضحك وردد بصوت خبيث...
– مجاناً! لا بد أنك شخص عزيز على قلبه بشكل كبير، أو أنك ستحل له بعض المشكلات فى المقابل، حتى يضحى بأجره بعد الانتهاء من هذه التحفة الفنية.. هل تتعجب لو أخبرتك أن المهندس الذى صنع لك هذا الديكور لا يصنع مثله للعملاء الذين يدفعون له أجره كاملاً؟
أسمك مراد بطرف أذنه وفركها بشكل غريزى، ثم قال...

– من الطبيعى أن يكون ذلك ما حدث عندما تكون تتبارى مع النفس كى تخرج بأفضل ما لديك وتثبت لمن أمامك أنك بالفعل متميز فى مهنتك أو فى تخصصك..

رفع صلاح حاجبيه ثم أشاح بنظره وردد...

- السؤال الذى يفرض نفسه هنا هو.. لماذا نريد أن نثبت أننا مميزون رغم أن الكل يشهد بذلك؟ لماذا نحتاج إلى إثبات؟ إلا إذا كانت تصنع هذه التحفة من أجل أن تعيش فيها..

اتكأ مراد فى مقعده ليأخذ وضعه ورد بهدوء...

- ما ترمى إليه ليس صحيحا يا صلاح، وبيرى لم تفعل ذلك من أجل شىء ما، فهى فوق مستوى الشك.. والتجربة أثبتت لك ذلك.

هاجم هنا صلاح بشراسة وعلا صوته وهو يقول...

- أخلاقيات بيرى وتصرفاتها تقول إنها لا تفعل شيئا مجانا، إذن لماذا تفعل عكس ذلك معك يا دكتور؟

هز مراد رأسه يمنا ويسرى وهو يقول بضيق..

- لازلت كما أنت... لم ولن تتغير أبدا، دائما ما تتوقع الأسوأ لدى البشر حتى تكون أنت وحدك على صواب.

ظل صلاح على هجومه وقال بعنف...

- هل تشعر الآن بنفسك ووجودك يا مراد؟ هل استطاعت بيرى أن تملأ مكان بسملة؟

كانت الجملة الأخيرة حدا فاصلا للتكهنات التى كانت تدور بينهما، فقد أخذ صلاح المبادرة وهاجم، ولكن دون أن يدري أنه بذلك الاتهام جرح ذكرى بسملة لدى مراد.. الذى تحولت عيناه للون الدم وقفز واقفا وهو يرد على صلاح بقوة...

- كيف تجرؤ على اتهامى بقتل بسملة؟ وأنت بعينيك قرأت الخطاب الذى كتبتة بيدها، كما لا يمكنك أيضا أن تتهمنى بأنى كنت محرصا لها على الانتحار... لقد أحببت بسملة، وأخلصت فى ذلك الحب، ولكنه القدر ولا يمكن لأحد أن يحارب القدر حتى أنت!

صاح صلاح بقوة..

- لقد جعلتها تكره الحياة لأنها لا يمكنها إسعادك أيها الحقيير..
وظلت زوجتك عامًا كاملاً دون أن تطالب بحقها فى أن تكون أم!
انتبه مراد للفظ الأخير فرفع رأسه تجاه صلاح وقال بهدوء...
- صلاح من فضلك عليك باختيار ألفاظك جيداً إذا كنت تود أن
نتناقش بشكل حضارى وفى إطار صداقتنا..

صرخ صلاح فى تهور شديد ...

- لا توجد صداقة بينى وبينك، ومن فضلك أنت أجب عن سؤالى..
لماذا لم تنجب أنت و بسمه؟
جز مراد على أسنانه وهو يقول...

- لقد ظللت أحاول الاقتراب من بسمه حتى يوم انتحارها.. لأن
شقيقتك كانت تخشى الزواج أو تخجل منه.. أو شيئاً من تلك الموروثات
المعقدة التى عانت منها..

صرخ صلاح كالمجنون..

- بسمه لم تكن معقدة.. بل أنت الذى تسببت فى إصابتها بالجنون!
حاول مراد تهدئته من خلال احتواء النقاش فى شكل ودى ورد
بهدهوء...

- صلاح.. أنك تتحدث كما لو كنا أعداء، وستأخذ بالثأر منى!

زمجر صلاح كأنه على وشك الانفجار وصرخ...

- إذا كان فى ذلك راحة لى ولها.. تأكد أنى سأكون أول من يفعل
ذلك.

تراجع مراد وقد ضاق صدره بالإجابة الأخيرة، ولكنه قال بخبث
شديد...

– ولكنك تعلم جيدا أن بسمة ما كانت تتركك لتقتلني، لأنها تحبني حبا شديدا، مما جعلها تنتحر لإحساسها أنها لا توفيني قدرى!
وهنا لم يستطع صلاح أن يكبح جماح نفسه فأطلق العنان لقبضته التي ضربت وجه مراد، مما جعله يفقد التوازن ويسقط أرضا، ومن فوق الأرض رأى صلاح يغادر المنزل، وهو يقول بصوت يمكن للأصم أن يسمعه..
– لن تكون هذه النهاية، إنها البداية فقط.. وعليك أن تحترس منى، أنت والتي ستتزوجها!

* * *

يتمنى الإنسان أحيانا أن تظل حياته حيث هي، ولا يوجد فيها أى تغيير، فقط لأن ذلك سوف يؤجل كل الخطط التي يجب عليه تنفيذها. ولأننا عادة ما نتمسك بالأشياء لفترة ليست بالبسيطة، ومن ثم نتركها هكذا بكل بساطة، دون أن ندري السر وراء تمسكنا بها طوال كل هذه المدة...

هذا بالضبط ما حدث لأحمد الذي كان متمسكا بالعمل بالشركة حتى آخر رمق، حتى إنه استطاع أن يتحمل كل ما حدث بعد أزمة بييرى... من عتاب ونظرات ومواعظ من صلاح عن القيم والمبادئ، تخطى كل ذلك وقرر استئناف حياته وعمله من جديد وكأن شيئا لم يكن.
الآن وبعد تفكير طويل حصل على قرض من أحد البنوك، ثم باتت الرؤية متضحة له بشكل كبير. وقرر أن يكون هذا اليوم هو آخر يوم له في العمل لدى هذه الشركة...

وبالفعل فقد تغير كل شيء عندما قرأ صلاح الورقة التي وضعها أحمد على مكتبه، ولم يصدق صلاح ما قرأ في أول وهلة، فأعاد قراءتها مرة أخرى، ثم ألقاها هو الآخر وهو يتمتم بغضب...

- لست بمزاج جيد يسمح لي بالتعامل مع تلك الخرافات، وكل من يرى أنه يملك وقت من الفراغ، عليه أن يذهب للمنزل، فذلك أفضل من استهلاك طاقة الآخرين.

ضحك أحمد وهو يهز كتفيه.. وقال بهدوء

- ومن الذى أوحى لك بتلك الفكرة؟ أنا أيضا ليس لدى وقت فراغ كى أضيعه فى المزاج، وقرارى لا رجعة فيه، كما أن لى فيه مطلق الحرية ويجب أن يعامل بمنتهى الجدية...

صرخ صلاح فى هيسستيريا أفزعت جميع المتواجدين...

- أنت! لماذا؟ قد كان أولى أن تغادر وقت اتهمت زملاءك بأفعال لم يرتكبوها، وعدت وكأنك لم تفعل شيئا وأنا من ساعدك على تجاوز الأزمة، واسترداد ثقتك بنفسك مرة أخرى، كما حاولت الصلح بينك وبين الجميع، ودائما ما كنت تردد أنا باق طالما أنت باق... ولكنك الآن تتقدم لى باستقالتك كإى موظف حكومى قذر، اختلس من المال قدر المستطاع، ثم ترك السفينة وقفز...

كانت آثار تلك الهجمة قوية على الجميع، خاصة وأن حازم كان موجودا لتوقيع بعض الأوراق، وبالطبع كان فى حالة مزاجية سيئة بسبب خلافاته مع دولت هانم... وزاد مزاجه حدة وسوءا بسبب تلك المشكلة، فقد استفزه أحمد عندما قدم طلب الاستقالة إلى صلاح، رغم تواجد حازم بالمكان مما جعل حازم فى حالة من الثورة العارمة.

ولأن أحمد يعلم جيدا أن ذلك التجاهل يزعج حازم ويؤرقه، لذا فقد فعل ما فعل متعمدا، رغم أن صلاح ليس إلا المدير التنفيذى للمكتب، وليس رئيس مجلس إدارة الشركة.

ولكنه سريعا ما أدرك أن الجو قد سرى به تيار كهربى ، ولم يحبذ فكرة أن تتفق عليه كافة الأقطاب بعد الخصام ، ويكون هو الفريسة التى ينهشها الأسود. لذلك اتخذ قراره بسرعة ورد بقوة ، موجهها حديثه نحو صلاح مرة أخرى فى تجاهل تام للآخرين...

- الورقة أمامك يا صلاح.. سواء اعتمدتها أو لا! سوف أنقطع عن العمل لأن لدى عمل جديد، لذا فإن تلك الورقة ليس لها أى معنى سوى أنى لم أعد أعمل لديكم منذ الآن، وقد سبق أن أخذت كل متعلقاتى من المكتب فى اليومين السابقين.

كما أنى لا أريدك أن تنفعل من أجلى، لأنى من وجهة نظر الجميع إنسان لا يتميز بأى أخلاقيات، لذا فإننى لست من نفس المستوى الذى يتمتع به كل العاملون هنا، فلا يمكننى البقاء.

وهنا تدخل حازم بيروده المعتاد قائلاً...

- لا تقلق يا أحمد! رغم أنى لست إلا رئيس مجلس إدارة تلك الشركة... ألا أننى سوف أحاول جاهداً أن أقنع صلاح (رئيسى) أن يمنحك حريتك ويوافق على استقالتك، وإذا فشلت فسوف أقوم بطردك لأن مكانك بالفعل ليس هنا! لم تغب عن صلاح نبذة السخرية التى تحدث بها حازم، وأدرك تماماً ما يعنيه بتلك الرسالة، فأمسك عن غضبه وقال بصوت خفيض... - لا يوجد لدى أى تعليق بعد ما قاله حازم! يمكنك أن تعتبر نفسك مفصولاً منذ الآن.

وعلى عكس ما كان يطمح حازم التزم أحمد الهدوء، وخرج من المكان دون أى تعليق، ولكن أثر المفاجأة لم يزل من المكان بعد... فلم يتمكن أحد من متابعة ما كان يعمل عليه..

* * *

فى أوقات كثيرة.. نثور.. لا نفكر.. فقط نقرر وبسرعة اتخاذ ذلك القرار مهما كانت أهمية ما سوف يترتب عليه من ندم أو رفاهية. ذلك بالضبط ما حدث بالنسبة لنادر ومروة وداليا.. فقد حاول نادر الهرب من حالة الاحباط وفقدان الذات مع مروة فألقى بنفسه فى أحضان داليا، نفس الداليا التى تعاطفت معه حتى وقعت فى حبه دون أن تدرى أن الشفقة والعطف هما أول الطريق إلى الحب. أما مروة فقد ارتكبت أكبر غلطة فى حياتها، حينما جعلت من الجميع طرفا فى حياتها الزوجية، فتسببت بذلك فى توتر الأجواء بينها وبين نادر.

نادر.. الذى ضيقت عليه الخناق وزادت من الضغط على أعصابه حتى لم يعد يجد الراحة إلا فى بعده عن المنزل. وفضل الوالد فى حيادية إخفاء الأمر عن كريم وشادى فى أمريكا، حرصا منه على إبقاء الأمر داخل نطاق الأسرة دون توسيع دائرة النزاع. وفى الموعد المحدد حضر الجميع، وفى لحظات مرت بهم كل المشاعر الإنسانية واعتملت فى أنفسهم دون أن يبدي منها شيئا على محياهم.

كان الجمود مسيطرا على مروة ووالدتها، مما انعكس على وجه نادر باللامبالاة، أما التوتر فكان من نصيب الأب الذى ظل يرمق داليا بنظرات اللوم والعتاب حتى انهمرت الدموع المترققة فى مقلتيها. كما أنه هو الوحيد الذى استطاع أن يكسر حاجز الصمت بصوته الهادئ الأجلش...

— مروة ابنتنا وداليا ابنتنا.. وكلنا معرضون للوقوع فى تلك النوعية من المشاكل خاصة إنها ليست لديها الخبرة الكافية للتعرف على كل

نوايا البشر، سواء كانت طيبة أم خبيثة؟ كما أننا أصبحنا نعيش في زمن قلت فيه الأفعال وكثر فيه الكلام.. وشح فيه الرجال. فقد أصبح الحب لعبة يستخدمها البعض كي يبهر به عين فتاة لا تعرف شيئا عن العالم الخارجي ولم تحتك بأى معتك في الحياة من قبل، لذا فإنني أبرأ ساحة داليا أمام الجميع.

إنها ابنتي التي لم أنجبها، ولن أغضب عليها مهما فعلت، فالأب يقسو على أبنائه ولكن لا يمكنه أن ينكرهم.

وهنا تدخل نادر في الحوار قائلاً...

- إنني لم أستخدمها، كما أنني لم أكن أسعى إلى الطلاق منذ البداية أو حتى إلى الوصول إلى تلك المرحلة..

صمت الأب قليلاً ثم قال...

- لا يوجد فرق بين داليا ومروة.. فهما شقيقتان، ولا يمكنك الجمع بينهما، كل ما سيحدث هو أنك ستستمر في زواجك من داليا على أن يكون شرعياً.. وإن كنت لا أفضل فكرة السفر التي طرحتها، ولكنك سبق وتعاقدت على عمل هناك... أما مروة ستحصل على الطلاق مع كافة حقوقها وتستانف عملها الجديد في شركتها الخاصة.

توقف الرجل عن الكلام قليلاً ثم سأل بهدوء...

- هل يود أحد أن يزيد على ما قلت؟

ولكن خيم الصمت على المكان، وأخذت الإجراءات تتم من تلقاء نفسها تباعاً دون توقف حتى انتهت... وانتهت معها أشياء كثيرة لمعظم الحاضرين...

فداليا انتهت معاناتها في إخفاء ذلك السر الذي كان يثقل قلبها وعانتها.. مروة انتهت من النزاع الدائم بينها وبين نادر في دائرة مفرغة

من المهارات. أما نادر فظل متجهم الوجه وعاقده حاجبيه كما كان منذ حضر، وكأن قبضة من الحديد تعتصر قلبه.. بل وتكاد تقتلعه من مكانه، وشعر بالبرودة تسرى في أوصاله... كان لا يزال ممسكا بالقلم في يده، عندما استفاق من ذكرياته مع مروة.. الحلوة منها والمرّة، كما تذكر حجم المعاناة التي فرضها عليها بزواجه من داليا.

ولكن الوقت قد مر على عتاب النفس وجلد الذات بالنسبة إليه، إذ أفاق على صوت والد مروة وهو يقول...
- بما أن زواجكم الآن بات صحيحا وشرعيا، فإنى سوف أعلنه فى صحف الغد.

لم يعلق نادر على ما قاله الرجل.. وتركه يكمل فى هدوء..
- ويمكنك أن تأتى غدا لتأخذها مع كافة أغراضها حتى يحين موعد السفر، هل لديك أى تعليق على ذلك؟
هز نادر رأسه علامة النفى، ثم وقف وهم بالرحيل، فأمسك والد مروة على يده وقال...

- إنها ابنتى هى الأخرى، ولا يمكنك أن تمسها بسوء أو تتسبب فى مضايقتها بأى شكل من الأشكال، وسوف نكون دائما بجانبها حتى لو ذهبت إلى أبعد بقاع العالم... لأن من الواضح أنه مقدر لك أن تظل جزءاً من هذه العائلة بشكل أو بآخر.

نظر له نادر وقد فهم ما يرمى إليه الرجل، فشد على يده هو الآخر عرفانا منه بالجميل، حيث جنبه الكثير من المشاكل وتعامل مع الوضع بمنتهى الحنكة والخبرة والعقل.

غادر نادر فى هدوء دون حتى أن يودع داليا التى ذهبت نحو غرفتها وأغلقتها خلفها بالفتاح حتى تمنع دخول أى شخص، أما مروة فقد

استكانت بجوار والدتها ولم تتحرك من مكانها بعد، مما يؤكد أنها لم تستوعب ما حدث بعد.

* * *

هل يمكننا أن نتحدث بما لا يعتمل داخل أنفسنا؟ هل يمكننا أن نتناول ما لا تشتهي أنفسنا؟ هل يمكننا أن نعمل بمهنة لا تتوافق مع قدراتنا وإمكانياتنا؟ هل يمكننا أن نخطو خطوات ما كان لنا أن نخطوها؟

هل يمكننا أن نسأل أسئلة لا يملك أحد أجوبتها؟ هل يمكننا أن نبحث عن أشياء لم تكن لنا من الأساس؟ هل يمكننا أن نقول إننا فقدنا شيئاً لم نكن نملكه؟

عندما يعيش الإنسان حالة مزاجية غريبة تجمع ما بين الدهشة والاستنكار.. والارتياح والشعور بالذنب! إذن من الواجب عليه التوجه إلى أقرب طبيب نفسى له، فمن المؤكد أن لديه الملاذ الذى يمكنه أن يزيح عن قلبه ذلك العذاب النفسى والضعوط التى من شأنها أن تفقده التركيز.

وهذا بالتحديد ما فعلته ببرى فى ذلك اليوم قبل أن تعود للمنزل، فقد اتصلت هاتفياً بمراد، وطلبت منه أن ينتظرها بعد الانتهاء من مرضاه لمدة قصيرة يمكنه خلالها الاستماع إليها.

ووصلت ببرى فى الموعد المحدد، وكما وعدها مراد، وجدته بانتظارها ومستعد إلى جلسة استماع طويلة..

وقد ألغى آخر جلسيتين من جدولته، حتى يتسنى له الجلوس معها أطول وقت ممكن، ولكنه لم يخبرها بذلك حتى يمكنها الحضور مرة أخرى.

وفى غمرة تلك الأفكار وجد نفسه سعيدا، بل فى غاية السعادة منذ أن تلقى اتصالها بشأن تلك الجلسة، وظل يكذب على نفسه ويراوغها بينما هو يعلم تماما السبب الذى جعله يتلعثم من شدة السعادة لمجرد رؤيتها.

ولم تتردد ببرى وتحديث عما يؤرقها دون مقدمات حرصا منها على مواعيد مراد، ولم تكن تدرى أنه يود لو تظل تحكى ما تبقى من الليلة. وبعد أن قصت عليه ما حدث فى المكتب اليوم، وكل ما تعلق بشأن أحمد واستقالته، وخوفها من أن يكون ذلك بسبب ما حدث منذ فترة. فى البداية ابتسم.. ثم هون عليها وأخبرها بحقيقة وضعية أحمد التى هى قلقة بشأنه، ثم قال بشيء من الخبث الشديد...

– لو كانت تربطك بمرورة علاقة قوية أو صداقة مميزة، لزال عنك كل ذلك القلق والعناء، وأصبحت على علم بما حدث فى تلك الصفقة بالتحديد.

وبالفضول الأبدى، والذى لن يستطيع أن يسبر أغواره أحد، سألته عن ما يرمى إليه لأن عقلها مزدهم بالأفكار...

– ما الذى ترمى إليه؟ أنا بالفعل لم أسع أبدا إلى توطيد علاقتى بمرورة، فهى دائما بعيدة عن المشكلات..

ضحك مراد بشدة.. وهو يقول..

– بالطبع! فأنت دائما فى قلب كل مشكلة..

ابتسمت ببرى.. ثم قالت بلؤم شديد

– بالتأكيد يا دكتور.. أنت تعرف عنى أكثر من نفسى.. ولكنى لن

أترك العيادة قبل أن أعرف قصة تلك الصفقة.

وضع مراد ساقا فوق ساق وقال فى هدوء...

- القصة كالآتى.. أحمد قدم استقالته بالفعل، ولكن بعد أن حصل على قرض بربيع مليون جنيه، ولأنه ادخر الربع الآخر فأصبح يملك نصف مليون جنيه، وضعهم فى شركة مروة الجديدة دون أن يدري الخسارة التى سيمنى بها.

ليس ذلك فحسب، بل إن حازم راهن على أن أحمد سوف يقع مغشياً عليه... لو علم بما تم بعد تلك الشراكة مع مروة، وهو الأمر الذى سيتضح معالته غدا..

هو يقول إنها مفاجأة من العيار الثقيل، لأنها ستهبط على رأس أحمد كالصاعقة.

قلبت بيرى شفتها السفلى وهزت رأسها فى حيرة وتمتمت...
- لا أعلم عما تتحدث... أحمد يدخل فى شراكة مع مروة، ثم تعود وتقول أن أحمد سوف يتلقى مفاجأة من حازم عن طريق صفقة مع مروة... مراد القصة معقدة بعض الشيء!
سكت برهة، ومال للأمام وقال لها بهدوء..

- ما الغامض فى كلامى... أحمد وجد فرصة العمر سانحة أمامه لدى مروة وشركتها الجديدة، خاصة وأنها بحاجة ماسة للخبرة، وبحاجة أكثر للمواساة ولن يأخذ بيدها بعد طلاقها من نادر... ولما كان عزيزنا أحمد خبيراً فى تلك الأمور، فإنه لم يضيع وقتاً كثيراً فى التفكير، واتخذ قراره ووضع كل رأس ماله فى شركتها وراهن عليها، كما أنه فضل أن يكون شريكاً على أن يكون مهندساً، حتى لا يتكرر ما حدث من قبل.

انتفضت بيرى بعد كلامه ... وسألت وقد بح صوتها...
- ومتى انفصلت مروة عن نادر؟ ولماذا؟ إنه يحيها بجنون!
أشار لها بيده حتى تتوقف ولم يزل محتفظا بالهدوء وقال...
- بيرى أرجوك لا تأخذينا بعيدا عن القصة الأصلية، وسوف نتطرق
إلى ذلك فيما بعد...

وافقت بيرى على ذلك، وقالت في خجل..

- أعتذر عن المقاطعة... ماذا بعد؟

فاستأنف حديثه قائلاً..

- بالطبع صلاح يظن أن أحمد مرهف الحس استقال بسبب المعاملة
السيئة التي يلقاها في الشركة، ولم يدر بعد السبب الرئيسي لتلك
الاستقالة.

فقد لجأت مروة إلى حازم كى يضع لها الأطر الرئيسية لشركتها
الجديدة، ثم تحولوا إلى الجانب المالى والريح السنوى وكيفية خصم
الضرائب.

وهنا تفتقت عبقرية مروة الحقيقية، لأن عندما أخبرها حازم أنه
سجل هذه الشركة على نفس السجل التجارى للمجموعة الصناعية
التي يترأسها شقيقه عمر.. حتى تكون الأرباح غير معلومة، وفى الحال
اختمرت الفكرة فى رأس مروة، وطلبت منه أن تسجل شركتها على
نفس السجل، وقيل حازم ذلك ولكن... بالتأكيد هناك مقابل!

صمتت بيرى بعض الوقت.. ثم قالت بفضول..

- وما المقابل؟

ابتسم هو فى برود.. ثم أكمل..

- كان المقابل أو التسوية التي تم الاتفاق عليها، وحسب النسبة التي يريدتها حازم.. ودون الرجوع إلى أحمد على اعتبار أنها الشريك الأكثر مساهمة في رأس المال... هي أن يتم الدمج بين الشركتين تحت اسم المجموعة الصناعية، ولكن إدارتهم فقط ترجع إلى توقيع حازم أو مروة. وهكذا تم تجهيز العقود وسوف يتم التوقيع غدا، وبالطبع فإن مروة تعتقد أن ذلك هو أروع ما يمكن حدوثه، خاصة أن هذا التوسع يسمح بتوزيع العمل دون أى تضارب للمصالح بينهما.

ظهرت نظرة من الاشمئزاز على وجه بيرى وهى تسأل..

- وما الذى يجبر حازم على تلك الشراكة؟

رد مراد، وعلى وجه علامات تساؤل...

- النظرة على وجه أحمد.. والتي سيدفع حازم أى شىء كى يكون

أول من يراها!

أومأت برأسها علامة الفهم، وأخرجت من حقيبتها سيجارة وأشعلتها بعد أن سمح لها مراد بذلك، وعقبت على ما انتهى من سرده منذ قليل...

- إذن.. أحمد كان يعلم جيدا ما يفعل عندما قدم تلك الاستقالة، فهو بذلك يبغى الشراكة مع مروة، وإيقاعها فى براثنه فى نفس الوقت، وبذلك يكون قد اصطاد عصفورين بحجر واحد. كما أنه لا يعلم ما يتم من خلف ظهره بين حازم ومروة، فهو بذلك سيكون مديرا له من جديد، وذلك ما يدفع حازم بحماس نحو تلك الصفقة.

أمن مراد على كل ما قالت، ولكنها استوقفته بإصبعها وابتسامه، -

ولكن سردك هناك ما ينقصه...

رفع كتفيه وأنزلها قائلًا..

– وما الذى ينقصه؟

هزت هى رأسها فى حيرة..

– كيف علم حازم فى الأصل بالشراكة بين أحمد ومروة؟ كما أن من

الممكن أن تحذر مروة أحمد... فلا يتواجد فى المكان!

تراجع فى مقعده.. ورد فى تلقائية

– مروة هى من أخبرت حازم بذلك عندما استشارته، وقررت الأخذ

برأيه عندما قدم لها النصيحة بخصوص أحمد... لذلك قبلت الشراكة

بشرط أن تكون هى صاحبة الكلمة الأخيرة بفضل العقد الذى قام بصياغته

المحامى الخاص بالمجموعة، وبفضل نسبة الأسهم، وكان من الدهاء..

عندما طلب منها ألا تخبر أحمد عما سيحدث بعد ذلك حتى لا يأخذ

حذره... وقبل أن يزداد فضولك..

– لا يحق لأحمد الانسحاب، وإلا خسر كل رأس المال المشارك به،

بفضل الشرط الجزائى بالعقد الذى أخبرتك عنه، والذى وافق عليه أحمد

على اعتباره تحصيل حاصل ليس إلا!

زمت شفيتها الجميلتين وقالت بصراحة شديدة...

– ولكن هذا التصرف إن دل فإنه يدل على دناءة حازم، وتربصه

بأحمد، فقد دس له السم فى العسل كما يقولون... ولا أعلم لماذا يطارده؟

فهو اختار أن يبتعد عنه.. ولكن من الواضح أن حازم لا يريد أن يبتعد

عنه!

رد سريعاً هذه المرة وقال فى حيرة...

– هل تتعاطفين الآن مع أحمد؟ لماذا؟ أنا عاجز كلياً عن فهمك!

صاحت فجأة..

- بل أنا التي تعجز عن فهمكم، هذا الشخص آثر البعد.. وفضل البدء من جديد، كما أنه يريد التمتع بالحرية بعيدا عنكم، كى يشعر بطعم جنى ثمار عمله طوال تلك السنوات.. وأنتم بكل سهولة تضيعون عليه تلك اللحظة، لمجرد أحقاد دفينه لا أريد أن أعلم عنها شيئا... سألها مراد وقد تضاعفت حيرته...

- ولماذا أنت منفعلة هكذا؟ أليس هذا هو أحمد الذى روج إشاعة حبه لك، وأنك عرضت عليه الزواج وهو الذى رفضك!
استمرت بانفعالها...

- هو مريض نفسيا، كما أن خياله المريض يتوهم أشياء لم تحدث، فما هو الواجب علينا؟ هل نعالجه ونقف بجانبه؟ أم نعاقيه كما لو أنه ارتكب جريمة شنعاء.. أنا غير راضية عما سوف تفعلون مع ذلك البائس. وأكثر ما يوجعنى فيما قلت... أنكم تتعاملون مع ما سيحدث وكأنه لعبة، أو كأنه فأر تستمتعون برؤيته وهو يدخل المصيدة التى تمسكون بها.

انفعل مراد بقدر انفعالها...

- لا أعلم لماذا تتحدثين بصيغة الجمع! أنا على علم بالأمر، ولكنى لم أشارك به ولم أخطئ له، ولم ولن أكن لأحد ضغينة من قبل.
صحيح أن أحمد كان يزكى نيران الغضب بينى وبين صلاح، ولكنى قررت أن لا أشارك فى تلك المعركة، ويمكننى أن أقسم على ذلك.
احتجت قائلة...

- لا أحتاج منك للقسم ولم أطالبك بشيء من ذلك، ولكن كن على علم أن ما يخطط حازم لن يأتى إلا بثمار الحقد والكراهية، وباستطاعة

أحمد أن يرد تلك الصفة بأى وسيلة يراها ممكنة ومثمرة... أكرر لن تعوقه الوسيلة، فالمنتقم فى الغالب يكون أعمى لا يرى من شدة الغضب. أوماً برأسه علامة على الفهم والموافقة.. ثم قال..
- إن عقله يتطابق مع عقل حازم فى التخطيط للشر، وكأنهما ولدا ليصنعا لبعض المكائد!

ثم ابتسم بشكل مفاجئ...

- لقد ابتعدنا كل البعد عما أود أن أخبرك به..

قاطعته ببرى فى سرعة...

- وأنا لم أفصح عن كافة مكنونات صدرى بعد! فأنا..

ولكنه قاطعها...

- أرجوك يا ببرى أن تؤجلى مكنونات صدرك لوقت آخر، لأن لى ما أقوله لك.

ابتسمت موافقة، فأكمل باسماء...

- إننى أريد أن أوثق علاقتى بك أكثر من أن تربطنا صداقة، أننى

أريد أن أرتبط بك، لأننى مقتنع بك وبآرائك وبشخصك.. كما أننى

لا أريد أن أحصل على أى رد منك الآن، بل لديك كل ما يلزمك من

الوقت، وليكن بعلمك أنه مهما كان قرارك فلن يؤثر أبدا على صداقتنا

أو ثقتى بك.

استقبلت ببرى العرض فى هدوء تام.. ثم نهضت قائلة

- لقد تجاوزت الساعة الواحدة صباحا، ولقد قضينا معظمها فى

المناقشة والمهاترة حول حازم وأحمد، ثم اختتمت أنت الجلسة بمفاجأة

أخرى.. ويجب أن أغادر الآن.

استوقفها مراد بيده قائلاً...

- أئن تخبريني عما جئت من أجله؟

ابتسمت بيرى فى هدوء وقالت...

- فيما بعد!

وغادرت المكان دون أن تضيف أى حرف، مما أصاب مراد بخيبة

أمل كبيرة، فهو لم يكن يتوقع رد فعل مماثل على الإطلاق.

* * *

عندما يضعك القدر بين شخصين لا يمكنك أن تضحى بأحدهما،

فعليك أن تحاول جامداً أن لا تخسر أيًا منهما.

ذلك بالضبط ما وجدت صافى نفسها فيه، تماماً كما يقال (بين شقى

الرحى) فصلاح يهاجم مراد بشدة، ومراد لا يريد أن يرد عليه لأنه يرى

فى ذلك ما سيجعل منه متهماً حقيقياً.

ورغم انشغال صلاح بالطفل الذى أطلق عليه اسم (حمزة) وكذلك

صافى، إلا أنها أخذت على عاتقها مهمة عودة الأمور بينهما إلى ما كانت

عليه من قبل، خاصة بعد ما أسرت به بيرى إليها وعرض الزواج من مراد،

وكم بلغت سعادتها بمثل هذا العرض، فهي تفضل الارتباط بمراد عن أى

شخص آخر نظراً لتقارب وجهات النظر، والتوارد الواضح بين عقليهما.

وهكذا مضت صافى تستغل لحظات الهدوء القليلة كما أنه التى يمر

بها صلاح، ولم يكن صلاح مقتنعاً من داخله، كان يمر بحالة غريبة من

التشويش الداخلى.

كان كلما اهتدى لفكرة ما أطاح بها الشك من عقله وأدركت صافى

ذلك، وباتت تغذى ذلك الشعور داخله، حتى وجد نفسه يتعاتب معها

بصوت عالٍ وذلك ما لم يفعله صلاح من قبل.

وفى تلك اللحظة تأكدت أنه يمكنه الاقتناع بما تريد، ولكن كانت هناك المشكلة الأخرى وهى أنه سيعلم بما سيقوم به مراد إن آجلا أو عاجلا، وتذكرت ملاحظات مراد عن تغذية الشعور بالذنب. وفى ظل المحاولات المستميتة وجدته يردد فى شرود...
- وهل سيظل هكذا؟ إنه لا يزال شابا، بل وفى أجمل مراحل شبابه..

ثم يهز رأسه ويتمتم بشرود.. لا أظنه سيصمد! أمّنت صافى على ما قال وأكملت وراءه..
- لا أحد يستطيع أن يصمد فى هذا الزمن يا صلاح، من كانوا يستطيعون ذلك عاشوا منذ قرن مضى، ولا تنس أنه لا بد من استمرار الحياة.

ردد وراءها مباشرة بصوت به عتاب ولوم...
- ولكن هناك أناس لا يمكننا أن ننساهم مهما مر من الوقت ومهما فعل الزمن، لا يمكننا أن نخون ذكراهم ولو حتى بالتفكير فى غيرهم. أمّنت صافى على ما قال بصدق حقيقى، فقد كان كل حرف مما قال حقيقة غير قابلة للشك أو الجدل، ثم قالت وهى متوجسة مما ستقول...

- إذن أنت لا تمنع أن يتزوج مراد مرة أخرى؟ ضاقت عينا صلاح.. وقال كمن اكتشف شيئا...
- كنت واثقا أن هذا الحديث الطويل وراءه شيئا، ولكن هل أرسلك مراد كى يحصل على إذننى ومباركتى؟ ومن التى ستحتل مكان بسمه؟ عادت صافى للهدوء والنعمومة التى بدأت بها الحديث...

- لا تنس أنك لکمته فى منزله آخر مرة، ومن قبل فى منزلکم، ولا يزال
يعتز بک وباق على صداقتک أو كما قال (يعتبرک بمثابة أخ كبير له).
رمقها صلاح بشكل يوحى باقتناعه، وردد بصوت متهدج...
- ولكن ها هى الأيام أثبتت صدق نظيرتى، فهو لم يستطع أن يقاوم
بعد وفاتها، ويريد الزواج قبل أن يمر عام واحد على رحيلها، وتعاتبيني
على اللکمتين! أبدا لن أعتذر له، فأنا لست نادما على ذلك! بل أقسم
على أن أکررها عندما أراه.

ضحکت صافى بصوت مرتفع ثم قالت بهدوء...
- كنت واثقة من نقاء سريرتک وطيبة قلبک، ولكنک متفق معى فى أن
دوام الحال من المحال، نحن فى الأول والأخير بشر، نصيب ونخطأ..
هكذا هى الحياة.

وهنا عاد صلاح مرة أخرى لشروده..
- ولكنى أبدا لن أسامحه يا صافى، فهو إن لم يدفعها للانتحار..
فإنه قصر بشكل كبير فى حمايتها.

صمتت صافى لحظة.. ثم قالت..
- وهو لم ينکر ذلك، لقد اعترف بذنبه، وأقر بأنه ما كان له أن
يتركها وحدها وهى فى تلك الحالة، ولكن بالأخير تظل الأعمار بيد
الله عز وجل.

لم يرد صلاح على كلمات صافى الأخيرة، فقد كان يعلم أنها على
حق فى كل ما تقول...

* * *

ولأن المصائب لا تأتى فرادى) كما يقال.. فقد فوجئ حازم باستقالة
نادر توضع على مكتبه، ولم ينم عن حازم أى رد فعل لأول وهلة.

ولأن علاقة الصداقة التي جمعت بين نادر وحازم تختلف كلياً عن العلاقة التي تجمع بين أحمد وحازم، لذا فقد اختلف رد الفعل نهائياً بعد رؤية تلك الاستقالة.

فقد انفرد به حازم وحاول جاهداً إقضاه عن ذلك القرار، كما أخبره برحيل مروة عن الشركة وكذلك أحمد حتى يثنيه عن ذلك القرار. وفي محاولة يائسة منه مزق الورقة صارخاً..

– إنني لن أتركك تغادر هذه الشركة، فأنت من الأعمدة الأساسية هنا، كما أنك لا يمكنك الرحيل بمجرد أن تكتب ورقة وتركها على المكتب، نحن لسنا في الحكومة يا نادر.

ولكن نادر رد في إصرار..

– إنني لا أغادر هرباً من مروة أو أحمد، وأقدر كل ما تفعل يا حازم، ولكن عليك أن تدعني أرحل.. أرجوك.

وهنا أدرك حازم أن كل محاولات الإقناع لن تلبث أن تتكسر كالأموح عند صخرة العناد التي وقف عندها نادر، وأنه مهما حاول إبقائه سوف يفشل في ذلك.

لذا فقد قرر الرضوخ لمطلبه، والتوقيع على طلب الاستقالة الذي كتبه نادر مرة أخرى.. نظراً لأن حازم مزق الورقة الأولى.

ولكنه أضاف بعد التوقيع بالموافقة.. (على أن يستأنف عمله بالشركة فور عودته في أي وقت أو رغبتة في ذلك)

وأمام تلك الكلمات لم يستطع نادر أن يتمالك أعصابه، فاحتضن حازم الذي برهن بالفعل على أنه وقف بجانبه في أزمته وآزره بشكل كبير.. فهو بالفعل بمثابة أخ له أو أكثر.

لذا فقد شد نادر على يده متأثراً بمشاعر حازم، وذلك التصرف غير المتوقع من حازم على غير العادة، ولكن حازم ردد فى ثبات...
- سوف تعود مرة أخرى يا نادر، وأقسم لك على ذلك، فمثلك لا يمكنه الابتعاد كثيراً عن الجذور..
رد نادر فى تأثير كبير..

- سوف نترك للأيام الكلمة الأخيرة يا حازم، وهى وحدها كفيلة على الرد على كلينا، ولقد منحتنى الآن سبباً قوياً للعودة مرة أخرى، وأنا أعلم تماماً أن مكاني سيظل ينتظرني مهما ابتعدت عنه.
قال حازم فى سخرية...

- ستعود لتجد كل الأمور كما تركتها، لأن الناس ببساطة لا يمكنهم أن يتغيروا يا نادر.. فكل يبقى على طباعه مهما مر عليه الزمن، حتى وإن ترك عليهم الدهر آثاره.. فتظل فى أشكالهم فقط.. أما النفوس.. فإنها تبقى.. معقدة.

* * *

عندما تجرح إنساناً أنت على علاقة وثيقة به.. فإنك تتألم لذلك، وإن لم تكن العلاقة وثيقة.. يصبح الجرح شعوراً بالذنب وإحساساً بتأنيب الضمير.. هذا إذا كنا نملك واحداً حياً بالفعل.
وعندما جلست مروة مع أحمد فى ردهة أحد الفنادق ذات الخمسة نجوم، كانت متوترة بعض الشيء وهى تتناول قهوتها، وظلت تنظر حولها وهى تهز رجليها بانتظام، مما نقل التوتر بالإحياء لأحمد الذى قال بهدوء...
- لو أنك متوترة من تلك الصفقة، فيمكننا أن نغادر قبل أن يأتى هؤلاء العملاء..

قالت مروة بمزيد من الخوف...

- إننى لست متوترة من العملاء.. إننى متوترة لسبب آخر، وسوف أقوله لك ولكنى أريد أن أعلم.. هل من الممكن أن تكرهنى أو تحقد على لأى سبب من الأسباب؟

ابتسم أحمد وهز رأسه فى حيرة فائلا...

- أنا لا أفهم أى شىء مما ترمى إليه؟ هل أنا السبب فى ذلك التوتر؟ ردت مروة بعصبية...

- ليس بشكل مباشر!

وفى تلك الأثناء دخل إلى اللوبى حازم ومحاميه الذى يعرفه أحمد جيدا، ولاحظ أحمد التغير على وجه مروة، ونقل بصره بينها وبين حازم، ثم بدأ يفهم معنى عبارة (ليس بشكل مباشر).

وجلس الجميع، وقبل أن يبدأ المحامى بتوزيع الأوراق، طلبت مروة أن تلقى كلمة قصيرة..

- بداية أعتذر لأنى لأول مرة أصبح رئيس مجلس إدارة، وهو منصب لم أخطط له فى سيرتى الذاتية بالمرّة، لذلك من البديهى أن أكون غير قوية ومترددة، ولست على علم بكافة الأمور لإنجاح الشركة، خاصة فى بداياتها ولذلك لجأت إلى أقرب صديق لى متمرس على ذلك بشكل كبير، كما أن لديه القدر الكافى من الخبرة اللازمة، ولكن الحسابات لم تكن أبدا سهلة.

صمتت لحظة لالتقاط الأنفاس، ومن ثم وجهت كلامها نحو أحمد...

- لذا فقد طلبت منه دمج الشركتين باعتبارى الشريك الأكثر نسبة فى رأس المال والأسهم.. وهذا يفسر سر توترى منذ قليل.. فقد كنت قلقة من كيفية إخبارك بذلك.

• ومرة أخرى صمت الجميع ، وكان أحمد أول من تكلم...
- سأسأل سؤالاً واحداً وأريد إجابة بنعم أو لا.. اتفقنا... والسؤال
موجه إليك مروة... هل تدخل حازم أو محاميه فى صياغة عقد الشراكة؟
وبهتت مروة من السؤال، ولكنها كانت متأكدة أنه لا مفر من
الإجابة.. فقالت بكلمة واحدة كما أراد أحمد.. نعم.

وانتفض أحمد واقفا وردد بصوت عال.. وناظراً نحو حازم
- إذن أنت لا تريد أن تتركنى وشأنى، وتصر أن تحرمنى من تحقيق
نجاحى، بل ومن الممكن أن أفقد كل ما أملك إذا ثرت لكرامتى وتخلت
عن العمل فى تلك الشركة الجديدة، وكل ذلك بسبب ذلك العقد اللعين
الذى وقعت عليه بغباء منى، وثقة للأسف ليست فى محلها.

ثم وجه كلامه نحو مروة، وأشار لها بالإصبع..
- وأنت.. لست ملاكا كما تدعين، وفى الوقت الذى أردت أن
أقف بجانبك فيه، وأشد من أزرک، كنت أنت تخططين كى تطعنينى
بظهورى مع أكثر إنسان يبادلنى الكراهية فى العالم.
ألقي بتلك الكلمات السريعة، ومر مغادرا وهو يتمتم بكلمات غاضبة
لم يفهمها أحد...

نظرت مروة نحو حازم والدموع بعينيهما ورددت...
- هل حصلت على ما كنت ترنو إليه؟
هز حازم رأسه إيجابا، ومد يده بالعقود لإنهاء الدمج الذى تم دون
مزيد من الكلمات.

* * *

الندم... هو ذلك الشعور الذى ينتابنا بعد أن نخسر شيئا غاليا علينا
دون أن نعرف قيمته الحقيقية، أو نعطيه حق قدره. والأسوأ من ذلك

هو أنك تظل تتذكره طوال الوقت، ولا يمكنك أن تدعه يخرج من محيط تفكيرك ودائرة اهتمامك.

وهو نفسه ذلك الشعور الذى راود يوسف وسيطر عليه سيطرة كاملة بعد أن جلس مع النفس وحاسبها، ووجد أنه لا يستطيع التنفس دون أن يفكر لحظة واحدة فى مى، وبراءتها، وصدق مشاعرها تجاهه. وكم كان متسرعا حين شعر بالخوف من الالتزام وفر هاربا بعيدا عنها، وكم خسر من الوقت فى ذلك البعد.

وعلم يقينا أننا بالفعل لا يمكننا أن ندرك قيمة ما بين أيدينا إلا فقط عندما نفقده، فإننا نحزن عليه ونحاول بكل الطرق أن نسترده. هذا أن كان لا يزال فى إنتظارنا.

وتذكر لقاءه معها فى آخر مرة، وكم كانت مرحلة وجميلة! وكم كانت سعيدة بوجود شخص جديد فى حياتها!

وانقبض قلبه بعض الشيء عندما تذكر تلك اللحظة، وقرر أن يتحدث إلى حازم ويتأكد منه من صحة هذه المعلومة التى كانت كفيلة بحرمانه من ذلك الحلم بالسعادة.

ولم يضيع أى لحظة، فبمجرد أن أكد له حازم تفرغ مى الكامل فى العمل، وعدم ارتباطها بأى شخص آخر، لذا فقد استجمع يوسف شجاعته وقرر الاتصال بها.. وظل منتظراً صوتها الهادئ كالعادة أن يأتيه من الجانب الآخر...

وبالفعل وجد صوتها خفيضا دافئا كما كان يتذكره، وطلب منها أن تقابله فى أقرب مكان لها الآن، ولكن الغريب فى الأمر هو أنها لم توافق مباشرة. بل طلبت وقتاً للتفكير إذا ما كانت ظروفها تسمح بذلك أم لا؟

وبعد أن طلبت المشورة والرأى من بيرى.. رفضت العرض الذى قدمه لها، بحجة أنها مشغولة ببعض الأعمال المكتبية الهامة لبعض العملاء، ولا يمكنها أن تكون متاحة فى كل الأوقات، ثم فضلت أن تنهى كلامها معه بكلمات قليلة ولكنها معبرة.. لذا فقد قالت فى برود..

- هناك أشياء ثمينة لا يمكننا أن نحصل عليها كلما أردنا ذلك، خاصة إذا كنا أهدرنا قيمتها من قبل وعاملناها بشكل سيئ، ولكن إذا كنت بالفعل تريد أن تحصل عليها.. فعليك بالانتظار...

ولم يكن يوسف فى وضع يسمح له برفض بارقة الأمل التى أشارت لها من خلال عتابها له.. فقد فهم على الفور أنه يمكنه العودة إليها ولكن فى الوقت الذى تحدده هى وليس هو.

وأنتهى المكالمة وهو يؤكد لها أنه سوف ينتظرها مهما طالت مدة تفكيرها، بل وسيظل يحاول الاتصال بها كل يوم حتى تتأكد من عزمه وثقته فى جدية قراره تجاه حياتهما معا هذه المرة.

أما على الجانب الآخر، فلم تتمالك مى نفسها من الفرحة التى كادت أن توقف نبض قلبها من سرعة التردد فى صدرها، فقد أنت المحاوله اليائسة التى قامت بها منذ شهرين أو أكثر ثمارها، وهى هو يستفيق من غيبوبته ويحاول جاهدا أن يستردها ويسترد ثقته مرة أخرى.

ولكن بيرى كانت واضحة فى تعليماتها لها حين نصحتها برفض محاولة الحوار الأولى والثانية، والاستجابة للمحاولة الثالثة لأنها تدل بالفعل على العزم والإصرار.

ولأن الإنسان إذا ما كان يسعى خلف الشئ بشكل عشوائى لن يثابر من أجله أكثر من محاولة أو اثنتين.

وكم كانت مى معجبة ببيرى وبراعتها فى إدارة لعبة الحب ، كما كانت تحب أن تطلق عليها.. ولكنها كانت تخشى أن لا يحاول يوسف بعد المرة الثانية وكانت قلقة بشدة من مسألة الرفض ، ولكن بيرى أكدت لها صدق وقوة تأثير نظريتها ، وبالفعل اطمأنت مى بعض الشيء وأغلقت الهاتف.. وأغلقت عينيها..

ولكن هيهات.. فإنها لم يغمض لها جفن ، فقد كان كل تفكيرها متجها نحو يوسف.. وحلم الرجوع إليه..

* * *

بعض الأوقات نبتعد عن الحق ويجانبنا الصواب ، ونصبح عباقرة فى حياكة الشر والتخطيط لنصب المكائد.

وهذا ما تفرغ له حازم فى الفترة الأخيرة من خطة مقتل سارا ، فلم يكن عقله يعمل بشكل جيد مع أحمد ، لذلك لم يقم أى احتفالات بسبب دمج الشركتين ؛ حيث ظل يتودد إليها فى الفترة الأخيرة كما خطط مع عمر فى آخر لقاء لهما معا ، إلى أن وثقت به سارا بشكل كبير ، بل وأقنعتها حازم أنه يود قضاء بعض الوقت معها دون أى رقابة من عمر أو دولت هانم ، ولكن عليها أن تسافر هى قبله بأيام حتى لا يشك أحد فى الأمر ، ومن ثم يلحق هو بها هناك.

ولم تصدق سارا حجم الفرحة التى كانت تعترئها عندما أخبرها حازم بتلك الخطة ، وظلت ترددها وراءه كما الطقلة وتعيد على مسامعه كل جزء فيها.

واكتملت فرحتها أكثر حين أخبرها أنه سوف يقوم بتوصيلها إلى المطار بنفسه ، بل وسينتظر أيضا حتى تقلع الطائرة ، على أن يستقل هو طائرته بعدها بثلاثة أيام لا أكثر.

ولم يضيع حازم الوقت، فقد حمل على عاتقه مسئولية حجز تذكرة الطيران وإنهاء إجراءات السفر لأنه يعلم جيدا أن آخر شيء تفكر به سارا هو الاهتمام بتلك الأشياء، بل ويعلم جيدا أنها دائما ما تصل متأخرة على موعد الطائرة وغالبا ما تدخلها قبل إقلاعها بدقائق معدودة. ولكنها لم تكن تعلم أن حازم كما تفتق ذهنه لخلق تلك الرحلة الوهمية كي يدفعها بعيدا تماما عن مصر. وتكون وفاتها طبيعية على متن الطائرة.

وعندما أتت اللحظة المناسبة للسفر لم يتردد حازم وهو يمنح سارا المشروب المفضل لها، خاصة وأنها كانت ممنوعة من تناول الخمر بسبب الحمل، لذلك فقد أعد لها الكوكتيل الذي تفضله وأصر على أن تتناوله بأكمله قبل نزولها من السيارة، ومن ثم احتضنها بقوة على أن يقابلها قبل أقل من ثلاثة أيام.

ولم يكن هناك وقت متبق أمام سارا للحاق بالطائرة سوى أن تركض لإنهاء إجراءات ما قبل السفر، وكان آخر شيء يمكن أن تفكر فيه هو ذلك السم المركز الذي تجرعتة منذ قليل دون أن تدري والذي لن يظهر مفعوله قبل ثلاث ساعات أو أكثر من تناوله.

وكما وعدنا حازم فإنه لم يتحرك من أمام صالة السفر إلا بعد أن تأكد من إقلاع الطائرة وسارا على متنها. وقتئذ فقط أزاح حازم حجرا كبيرا من على صدره، وتنفس لأول مرة الصعداء منذ أن بدأ هو وعمر الإعداد لتلك الخطة للتخلص من سارا.

وبالطبع عمر يجب أن يكون على علم بكل مجريات الأمور، وتسارعت دقات قلبه حين أبلغه حازم بأن الأمور جرت تماما كما تم التخطيط لها.

وهكذا فقد تم إسدال الستار على تلك المرحلة من حياة حازم وعمر، وقصة سارا وحملها مع آل سالم. فقد بدأت بصفقة تجارية وانتهت بأزمة قلبية.

* * *

فى الوقت الذى كانت فيه تتوقع مروة مزيدا من العقود للتوسع فى حجم استثمارتها، كان نادر أيضا يوقع عقد العمل الذى تعاقده عليه مع إحدى شركات المقاولات والبناء فى الخليج. وقد عزم على الرحيل تماما عن مصر دون أن يودع أحد، فقد كان من الذين يتأثرون بلحظات الوداع، كما أنه كان محطما تماما. ويمقت تلك الدموع المرتبطة بها، لذا فقد آثر الابتعاد فى هدوء.

وودع الأهل منذ أيام، كما حرص على أن يذهب للحاج عبد العزيز فى المعرض كى يودعه ويصافحه، فقد كان حريصا على أن يخبره بالعنوان الذى سيتواجد فيه، لأنه كان يعلم مدى أهمية أن تظل داليا تحت وصايته.

ولا يمكن لأحد أن ينكر أن الرجل حقا تأثر كثيرا بالدموع التى رآها فى عيني نادر، والتي حاول جاهدا أن يخفيها خلف ستار من الجمود والضحكات الخافتة الباهتة.

ولم يكن الإحساس داخل نادر أفضل حالا من ضحكاته، فقد كان يشعر من داخله بفراغ كبير، أو خواء حتى إنه كان يمكنه أن يسمع الصوت والصدى يترددان فى داخله، ومنحه ذلك شعورا غامضا بالخوف نحو المجهول، لم يشعر به يوم قط.

ولذلك لم يجد أمامه شخصا يخرج فيه تلك الشحنات سوى داليا، التى كانت ولا تزال تفضل البقاء فى مصر عن السفر خارجها أو الهروب

خارجها كما كانت تردد، فقد أخذ يبعثر كل ما كانت تنظمه في الحقائق، ويلقى به خارجها مرة أخرى، كما أخذ يقلب ويضرب كل ما يقابله سواء بيده أو بقدمه.

فلم تتمالك أعصابها هي الأخرى فأخذ بالصراخ بكلمات مبهمة حاول كل منهما أن يفرغ من خلالها كم الكبت والانهيار الذى يعتمل داخله، والذى انتهى بسقوط نادر مغشيا عليه وسط مزيج من الفوضى والدموع. ولكن الغريب هو ما قامت به داليا.. فقد حرصت قبل أى شىء على التأكد من وجود نبض وأنفاس تتردد فى صدره، ومن ثم فقد أبعدته بعض الشىء عن الملابس التى سقط فوقها وأكملت ترتيب الحقائق كما كانت تفعل قبل أن يأتى فى هدوء.

أصابتها الحالة النفسية التى كان عليها بالاكنتاب، خاصة أنهما لم يعودا كما كانا عليه من وفاق منذ أن علم الأهل بالزواج. فقد باتت وكأنها لعنة تعرضا لها عندما أعلننا عن زواجهما، لذا فقد أغلقت حجاب وأحكمتها جيدا، ثم طلبت الطعام هاتفيا، وأخذت ترنو إليه وهو سم والدموع تنزل من عينيها فى صمت.

فقد شعرت فى تلك اللحظة فقط، أنها ربما تكون غامرت أو قامرت بحياتها فى مقابل لاشىء، وكلما تذكرت تلك اللحظات التى سرقاها من الزمن بزواجهما العرفى كلما اشتدت سخونة الدموع على وجنتيها. فقد أدركت فقط أن نادر أخذ ذلك القرار وهو نصف محطم، أما الآن فقد أصبح محطما بشكل كلى بعد أن أجبر على مغادرة البلد التى عاش فيها والعمل الذى طالما أحبه وارتبط به، والمرأة التى ما أحب يوما غيرها.. وفى تلك اللحظة فقط. شعرت بغباء الاختيار...

* * *

إذا أغلق الزمن بابا فإنه يفتح دائما لك نافذة، وهذا بالفعل ما حدث مع صلاح وصافي عندما بدأ طفلهما الأول ينمو ويكبر، فقد كان من السعادة بحيث أصبح كل شيء في حياتهما غير عادى واستثنائى، فقد كان حمزة بمثابة البلمس اللطيف الذى بدأ يمحو آثار غياب بسمة عن حياة صلاح، بل وبدأ يتقبل فكرة زواج مراد مرة أخرى وابتعاده تماما عن دائرة الشبهات.

كما باتت السعادة واضحة أيضا على الجدين الذين أخذوا يتعافيان من رحيل بسمة، وتقبلا فكرة أن الأيام وحدها كفيلة بأن تجعل أشد الجروح تلتئم وتشفى.

كما أن هناك شيئا ما بدأ يتغير داخل نفس صلاح، وقد لاحظت صافى ذلك، فأدركت أنها يمكنها أن تواصل الضغط عليه من أجل الموافقة على فكرة زواج مراد وبيرى، ولأنها كانت على ثقة من قدرتها كأنتى فى السيطرة عليه، ومرة أخرى استطاعت أن تثبت له أنها كانت محقة فى أنه بحاجة ماسة للعطف والحنان.

لذلك فقد نظمت صافى حفلا بسيطا فى منزلها جمعت فيه كل من فى المكتب تقريبا، واستطاع أن يعود فيه صلاح إلى طبيعته من جديد، واختلط بالجميع وقد أصبح اجتماعيا بشكل غير عادى.

وقد قدم اعتذاره لمراد عندما اتصل به هاتفيا كى يهنئه على قدوم (حمزة)، ولذلك فقد تم اللقاء بينهما فى شكل ودى وبدون وجود أى مشاحنات.

وكان من الغريب تواجد مروة وأحمد معا ضمن الحضور فى الحفلة، ولكن صلاح أخبر صافى أنه بالفعل قام بدعوة أحمد إلى الحفل باعتباره

من أهم أصدقائه، كما أنه يقوم بتصفية الأجواء مع الجميع لذا فلا يجب أن نستثنى أحداً.

ولكن المفاجأة الحق كانت عندما أعلن أحمد خطوبته من مروة فى حفل عائلى خالص، ولما كانت مروة تفضل السرية والكتمان فى مثل تلك الأمور خاصة وأنها لم تف عدتها بعد، لذا فقد ظهر عليها الضيق بعض الشيء.

وهبط الخبر كالصاعقة على البعض، وآخرون تبادلوا معها التهاني والضحكات، وذهبت ببرى وهى لا تتمالك نفسها من الضحك واتجهت نحو حازم الذى كان مبهوراً بوجه مائل قليلاً للزرقة كمن سقط ببئر عميق، ثم مالت على أذنه وقالت بصوت طفولى عابث...

– عليك الاعتراف أنه كان هذه المرة أفضل منك، بل إنه تفوق عليك، إلا إذا كنت تنوى الزواج منها كى تقطع عليه الطريق!
نظر إليها حازم ببطء وقال بتروى...

– ليست من النوع المفضل لى، وذلك لن يمحو ما وقعناه على الورق، فأنا لازلت رئيسه!

رفعت إصبعها أمام وجهه لتواصل بنفس الصوت العابث...
– عليك أن تستيقظ من أحلامك، أحمد سيصبح زوجها وإذا كانت العصمة بيده سوف يتحكم بالشركة بنسبة مائة بالمائة، وأنا أقسم على أنه لقادر على أن يسلبها كل شىء فى أقل من شهرين ليس إلا!
أمن حازم على ما قالتها ورد قائلاً...

– ولكن فض الشراكة سيكلفه شرط جزائى خمسة ملايين دولار، وهو مبلغ لا تملكه شركتهما الآن!

وانتبهت بيري على يد مراد وهي تمسك بمرفقها، وقد مال على
أذنها يهمس ببعض الكلمات. ثم أشركا حازم في ما يدور بينهما. ولكن
حازم أزاحهما بيده وقال بصوت عال... .

- إذا كان منزل صلاح اليوم مكان مناسب للإعلانات الساخنة
والخاصة بالزواج. فإن لدى خبر أود أن أعلن عنه. وهو اقتراب موعد
خطوبة د/ مراد والمهندسة الجميلة بيري.. .

· بالبداية لم يظهر أى رد فعل من قبل الحاضرين، ثم تعالت صيحة
فرح من صافى. أتبعتهما بزغرودة طويلة، وتوالت من بعدها التهاني.
ولكن صلاح.. ظل واجماً بعض الوقت يفكر فى صمت شارد، وعندما
التفت وجد صافى بجانبه.. فقال فى حزن.. .

- بيري! إنك لم تعطينى أى خيارات؟ كنت أعلم أنه يحبها وإنها
هى التى سوف يرتبط بها.. هل هى الاختيار المناسب له يا صافى؟ هل
يمكنها أن تكون بديلاً لبسمة؟

ولكنه وجد مراد وبيري يتجهان نحوه فى هدوء.. وقد بدأ مراد
بالحديث دون أى مقدمات...

- صلاح.. أنا أقسم على أنى لن أتمم شىء من مراسم الزواج إلا إذا
حصلت على مباركتك، فأنا لن أنسى أبداً أننى يوماً من الأيام كنت فرداً
من أسرتكم، كما أنكم كنتم عائلتى الوحيدة.

وكانت المفاجأة هى بيري التى قالت فى ود وحب...

- يمكنك أن لا تمنحه تلك المباركة التى يسعى خلفها، فأنا لن أوافق
على الزواج منه إلا إذا كنت أنت ترغب فى ذلك، كما أننى لم أعطه
الرد النهائى بعد.

وهنا ظهرت ابتسامة حقيقية على وجه صلاح.. ورد في صدق حقيقى..
- يمكنك أن تمنحيه الرد النهائى ، فأنا أوافق على ذلك الزواج ،
وأتمنى لكما حياة سعيدة، كما أتمنى أن نظل على علاقتنا وألا تنسانا
بعد الزواج يا دكتور..

فى البداية لم يصدق مراد أذنيه.. فقد كان يتوقع أن تثور نائرة
صلاح ، وأن ينقلب عليه كما فعل من قبل.. ولكنه لم يملك سوى يرتضى
عليه ويعانقه فى حرارة شديدة ثم يقول فى أذنيه...
- لقد كنت أعلم مدى طيبة قلبك، وأعلم جيدا مكانتى لديك، فأنت
دائما ما كنت تردد أنك تحبنى مثل أخيك الأصغر.

وانقسم الحضور كالعادة بعد هذه المفاجآت لثنائيات، فقد جلس
حازم ومى يتحدثان عن المشاريع الصيفية فى الشركة، وفيما يتحدثان
سمح لنفسه أن يفتح معها موضوع يوسف... ولكنها أشارت بأن يوسف
يمكنه أن يتحدث عن نفسه، كما أنه هو الذى فسخ الخطبة من قبل،
لذا عليك أن تدعه يتولى أموره بنفسه.

أمام ذلك الرأى الراجح السديد لم يجد ما يدافع به عن يوسف،
فأختار موضوعا آخر يتحدث عنه...

أما صلاح فقد انشغل مع مروة فى المزيد من العمل، وتوضيح الخطوط
الرئيسية للصفقات الجديدة التى استقطبها حازم إلى المكتب، فقد عاد
حازم وألقى بالمسئولية على عاتق صلاح كما كان من قبل بعد استتباب
الأمن بالمكان، والتخلص من أحمد نهائيا، فقد كان حازم على سبيل
العناد ليس إلا دائما ما يتدخل فى قرارات صلاح، والعكس يحدث
عندما يتخذ حازم قرارا ما، مما جعل الفوضى تعم والقرارات تتزاحم
وتتعارض مع بعضها البعض.

لذلك فقد كان انشغال حازم فى الفترة الأخيرة وابتعاده عن الشركة بمثابة موجة من الهدوء النفسى لصالح، الذى أصبح المدير التنفيذى للشركتين، والإبقاء على أحمد كعضو منتدب، وكان حازم يتعارض مع صلاح فى ذلك، ولكنه رضى فى النهاية لأنه كان على ثقة تامة فى قدرة صلاح على السيطرة على أحمد، كما كان صلاح أيضا يعلم دائما ما كان يردد حازم فى غيابه.. أنه أعظم مهندس تعلم منه والشخص الوحيد القادر على إدارة هذا المكان.

وعندما كانت تصل تلك الكلمات إلى صلاح كان يشعر بمزيد من الفخر والضغط والمسئولية، كما كانت تؤكد فكرته عن حازم.. أنه بالفعل أهوج ومن الممكن أن يؤذى نفسه، ولكنه لا يمكنه أن يؤذى أى شخص آخر خاصة إذا تعلق الأمر بالأصدقاء.

* * *

هناك أناس يفضلون المفاجآت طوال الوقت، وآخرون يهتفون المفاجآت ويمقتون أيضا من يقومون بها.

ودولت هانم كانت من الفريق الثانى، فقد كانت تحب الحقائق وتكره المفاجآت وتعتبرها شئيا سخيفا يقوم به البعض.

لذلك عندما أتى إليها نبأ وفاة سارا من الولايات المتحدة الأمريكية، ظلت تعتقد أنه مفاجأة من النوع السخيف، لمدة عشر دقائق أو أكثر وهى تحاول أن تستوعب ما يخبرها به الطرف الآخر.

وكم كانت تكره سارا، وكم كانت تحتقرها، ولكنها أيضا كانت فى قمة السعادة حينما أخبرتها أنها حامل، ومن المحتمل أن تصبح جدة عما قريب، ولكن ها هو الحلم يتبخر تماما...

ولم تستطع أن تتحمل تلك المفاجأة وحدها، لذا فقد سعدت وأيقظت

كل من حازم وعمر وحاولت أن تستجمع أعصابها كي تخبرهم بمثل هذا الخبر المفجع خاصة إلى عمر.

لذلك فقد جلست ونظرت نحوه فى حنو بالغ وقالت...

- ابنى العزيز.. لكم يصعب على أن أخبرك أن حلمك فى الأبوة قد ذهب أدراج الرياح، خاصة وأنت أصبحت أرمل فى هذه السن المبكرة.. فقد ماتت سارا قبل أن تصل حتى إلى أمريكا.. لقد هاجمتها أزمة قلبية فى الطائرة أثناء ذهابها إلى هناك.

لأول وهلة لم يظهر أثر للمفاجأة على عمر.. ولكن حازم تنبه لما تقول وصرخ مرتاعا فى محاولة لشد انتباه عمر حول ما يجب أن يقوم به...
- ما الذى تقولين يا أمى؟ إن قلب سارا لم يكن يعانى من أى أزمات! ثم إنها سافرت وعادت أكثر من مرة دون أن تهاجمها مثل تلك الأزمات.. هل أنت على ثقة مما تقولين؟

وهنا جاء الدور على عمر كى يقوم بدوره فى تلك المسرحية الهزلية التى يقومان بتمثيلها أمام دولت.. فقال لاهثا..

- من الذى أنبأك بمثل هذا الخبر؟ إننى أبدا لن أصدق أن سارا تكون رحلت عن عالمنا! وابنى.. لن أصبح أبًا يا أمى.. لن أصبح أبًا نظر له حازم بمزيد من السخرية، وكادت ضحكة أن تفلت منه وهو يحاول تهدئته... قائلا..

- لا عليك يا عمر.. لازلت صغيرا، وستتمكن من الزواج مرة أخرى، وإنجاب العديد من الأطفال.. لا عليك.. لا تقلق.

هزت دولت رأسها موافقة على ما قال حازم.. وقالت فى قوة بعض

الشيء..

- إنك لم تكن على وفاق معها، وكما قال أخوك يمكنك أن تتزوج بأخرى وتنجب العديد من الأطفال، فربما كان ذلك هو تصريح القدر، وربما أراد الله لك شيئا أفضل من سارا.. لا أحد يمكنه أبدا أن يطلع الغيب يا عمر.

رد عمر فى هدوء لا يتناسب مع الموقف...

- بالفعل يا أمى ربما أراد الله أن يمنحني زوجة أفضل من سارا، وأبناء أفضل أيضا.. فمن يدري؟ لربما كانت لتأخذهم وتسافر بهم إلى أمريكا ولا أستطيع أبدا رؤيتهم..

اشمأز حازم من ذلك الأداء.. وقال فى صوت رزين..

- ما هذا الذى تهذى به؟ كل ما حدث أنها اختارت أن تسافر إلى والديها وماتت فى الطريق.. وهكذا يمكننا أن نسدل الستار على سارا ومشكلات سارا التى لم تكن تنتهى أبدا خاصة معك أنت يا دولت هانم..

- فقد كانت عبارة عن صفقة ناجحة ومثمرة، ولكنها باتت مزعجة فى الآونة الأخيرة، ونحمد الله الذى مَنَّ علينا وخلصنا منها بشكل نهائى.
قالت دولت فى برود..

- وأروع ما فى الأمر أنها برحيلها نتحرر تماما من ذلك العقد الملزم بالشراكة مع والدها المخرف... هل هناك ما هو أفضل من ذلك؟
ضحك عمر فى ثقة وهو يقول...

- لا بد أن نتحلى بالصبر، حتى يمل الخصم الذى أمامنا ويظن أننا فقدنا الأمل تماما، ويفتح أبوابه وهو مطمئن.. وحينها نهجم والخطوط كلها مكشوفة.

انتفضت دولت مما قال عمر.. وقالت فى دهشة..

- هل لازلت تتذكر تلك العبارات يا عمر؟ لقد كنت ألقنها لكما وأنتما فى السادسة تتعلمان الرماية بعد!

وهنا رد حازم قائلاً..

- ذلك يا أمى لأن كل كلمة علمتها لنا بمثابة قانون يجب أن نظل ملتزمين به..

ولم تتمالك دولت أعصابها، فقد كانت جد فخورة بأبنائها. فقالت فى هدوء..

- ولكننى أخشى عليكم كثيراً، أخشى عليكم من نفسيكما أحياناً، أخشى عليكم من الجموح الذى أنتما عليه، لا بد من الحرص كل الحرص.. فإن لكما الكثير من الأعداء.. ولكن عمر أنهى الحديث عندما قال..

- لا بد أن نجمح فى مثل هذا العمر، إنه وقت الجموح يا أمى والسن المناسبة له.. أما الأعداء فلا يجب الخوف منهم بل على العكس لا بد من إعطائهم مساحة كى يظهروا لنعرفهم.

وعلى عكس ما بدأت تلك المواجهة.. فقد استكمل ثلاثتهم حديثهم عن المال والأعمال فى شكل طبيعى وتلقائى دون الرجوع إلى حادثة موت سارا مرة أخرى...

* * *

الرتابة.. هى جزء من حياتنا اليومية، هى أن نظل نفعل نفس الأمور يومياً دون أى تغيير.

وهذا ما كانت عليه حياة داليا ونادر فى الخارج، وبالرغم من أنهما كان يعيشان فى رفاهية تامة، إلا أن الحياة كانت سوداء قاتمة لا يتخللها أى نور.

فقد باتت حياة داليا بأكملها أمام شاشة الكمبيوتر، سواء فى وجود نادر أو غيابه، مما كان يثير حفيظته ويجعله فى عصبية دائمة. وغالباً ما كان يعلو صوته، ويلقى بأشياءها الثمينة فوق الأرض ويهشمها.. مما يجعلها تبكى فى عنف وتنتحب فى قوة. ولكنه أبداً ما حاول مرة أن يضربها، وكان شديد الحرص على أن لا يمسخها بسوء، فقط.. لأن عمها أخذ عهداً عليه بذلك قبل أن يسافر. وحاولت داليا أن تدافع عن نفسها، وتشرح له أنها من خلال الإنترنت تطمئن على شقيقها الوحيد، لأنه من النوع العاطفى المرتبط بالجذور وسيؤثر عليه هذا الجفاء، خاصة من شقيقته الوحيدة. ولم يلق نادر بالآباء كما كانت تفعل على الإنترنت، أو مع من كانت تتحدث، فأخبرهم أصبح الاعتناء بها أو الرغبة فى التحدث إليها وكلما مرت أيام أكثر بهم فى الغربية، لما ابتعدا عن بعضهما أكثر وأكثر. حتى إنها باتت تتذكر الأيام التى قضياها معاً فى تلك الشقة المفروشة أثناء زواجهما العرفى وكأنها حلم، فكم كانت سعيدة بل كانت فى قمة السعادة.

فقد كانت على الأقل تشعر به قربها وتحس به وتتمكن من رؤيته جسداً وروحاً، أما الآن فهو بالنسبة لها مجرد شخص غريب لا تعلم عنه الكثير، وغالباً ما يكون متواجداً بالمكان ولكنها لا تراه.. لا تشعر بوجوده فهو جسد ولكن بلا روح.

وفى ظهيرة ذلك اليوم دخل هو المنزل، سمع صوتها تبكى ولكنه لم يجدها.. ففتبع آثار الصوت حتى وجدها جالسة بأحد أركان المطبخ واضعة رأسها بين ركبتيها ويديها فوق رأسها والدموع منهمة من

عينيهما، مما أصاب نادر بالفرح، وحاول عبثاً أن يحل تلك الوضعية الغريبة التي اتخذتها.. فصرخ نادر كى تكف عن البكاء وتخبره عن السبب وراءه، ولكنها نهرتة بعنف، فما كان منه إلا أن ذهب يتفقد الكمبيوتر عسى أن يعرف من خلاله السبب، ولكنه لم يجد عليه سوى الرسائل المتبادلة بينها وبين شقيقها، ولم يكن فيها شيء جديد، وعاد إليها ووجدتها لاتزال كما هي، ففض يديها بالقوة، وصرخ من جديد كى يعلم سبب البكاء..

– داليا.. لماذا تبكين بهذا الشكل؟ هل الجميع بمصر بخير؟ هل أنت مريضة أو أصابك مكروه؟

ولما لم يجد جواباً على كل تلك التساؤلات، لم يجد أمامه سوى أن يمسك كتفيها، ويهزها فى قوة.. حتى بدأت تتوقف شيئاً فشيئاً عن البكاء المتواصل.. فأخذ يصرخ فى قوة..

– لقد مللت هذه الحياة، فإذا كنت لا تريدان الزواج منى، لماذا إذن حطمت حياتى؟ وجعلتها جحيماً على الأرض!

نظرت له داليا والدموع لا تزال تنهمر، ثم أخذت تضربه وبكل قوتها فى صدره وهى تقول بصوت مخفوق...

– أنت من دفعنى إلى ذلك.. أنت تتحمل نفس المسئولية معى، فقد عاملتنى برقة وحب حتى قدسك كل من فى المنزل.

إن لم يكن لمثالثتك المزيفة، فمن أجل وحيدتهم المدللة، حتى أصبح والدا زوجتك يفضلان الوقوف بصفك عندما تتشاجر معها، رغم أنك فى أوقات كثيرة ما تكون المخطئ.

ليس ذلك فحسب... بل إنها أخبرتهم بعدم إنجابك وعمك الذى لا أمل فى شفائه إلا بمعجزة إلهية.. فما كان منهم سوى أن نصحوها

بالتروى وعدم اتخاذ قرار خاطئ تندم عليه وقت لا ينفع الندم، وذلك لأن مثلك لن يمكنها العثور عليه كل يوم...

هل علمت الآن لماذا ضعفت أمامك؟ لأننى أحببتك كما أحبك الجميع، وتمنيت من صميم قلبي أن أحظى برجل مثلك.

وأقسم بكل ما هو مقدس إننى لم أكن أنوى أن أتزوجك أنت، أو أدمر حياتك وحياة مروة، ولكنه القدر الذى وضعنا فى ذلك الاختبار الصعب.

استمع نادر لكل ما قالتة وهو فى حالة من الذهول، وألقى بجسده على مقعد المطبخ فيما تزال هى جالسة على الأرض.. فقال فى استسلام وضعف...

- لست الوحيدة الملامة على ما وصلنا إليه، ولكنى أيضا كنت قد مللت من الكذب والهروب من مروة، ولم أجد أمامى سوى صدرك

يحتوينى ويضمنى وقد ضعفت تماما كما ضعفتى أنت..

أخذت تمحو الدموع من عينيها وقالت بصوت مبحوح...

- ولكنك لست سعيدا معى مثلما كنا فى السابق، فأنا فى حالة يرثى

لها، أشعر بأن قلبى أصبح موطننا للتعاسة والاكتئاب، وكأن حياتى ضاعت هباء بلا ثمن، حتى إننى أصبحت أسترجع ذكرياتنا معا فقط..

كى لا ألجأ للانتحار، فهى التى تبقينى حية حتى الآن.

هز رأسه، ونزل على الأرض بجوارها قائلا بركة شديدة...

- هل تعلمين أننى لم ألجأ للعنف معك منذ أن تزوجنا لسببين،

الأول أننى لست من هواة العنف خاصة مع المرأة، والثانى أننى أقسمت

على المصحف أمام عمك أننى لن أمسك بسوء سواء اغتربنا أم لا!

وأنا من وقتها أحاول جاهدا أن لا أحنث بوعدى وقسمى، ولكنى

كم أود أن أفعل ذلك، خاصة عندما أبدأ فى تكسير الأشياء أو بعثرتها،

أعترذ بالفعل عما بدر منى ولكنى لا أشعر بالراحة هنا.. وكم أود العودة!

وضعت يدها على صدره وقالت بصوت خافت...
- ولكننا ربما لا يرحب بنا بالشكل الكافي فى مصر..
تناول يدها وقبلها، وهو يقول...
- هذا لأنك لست على علم بالجديد، فمروة ستزوجه أحمد وستصبح
سيدة أعمال، كما أنها قامت بدمج شركتها مع الشركة التى كانت
تعمل بها، وكل ذلك يمكنه أن يقلل من حملة اللوم والعتاب التى كنا
سنعرض لها!
دهشت كثيرا عندما سمعت بزواج مروة المحتمل، ولكنها لم تكثر
سوى لأمر واحد...
- إذن سنعود...
هز رأسه علامة الإيجاب.. وقال..
- نعم سنعود، ونحاول أن نسترد ثقة الجميع، كما سأسترد وظيفتى
فى الشركة، وسنبداً من جديد..
وضعت رأسها فوق صدره، وقالت بخشوع...
- أجل.. يمكننا دائما البدء من جديد. خاصة عندما لا يكون لديك
حلا آخر.

احتضنها وقبل رأسها وردد بصوت هامس...
- سيكون القادم أفضل، أعدك بذلك بل وأقسم لك أن يكون أفضل.

* * *

هناك عادات لا يمكن أن تتغير مع مرور الزمن، حتى وإن تغير
الوقت فإنها تظل شامخة أمام تأثير الأيام..

وهكذا فقد جلست مى كالعادة فى التراس تشرب فنجانا من الشاى مع والدتها وجدتها، وكانت عقارب الساعة تقارب الساعة السابعة مساءً، عندما رن جرس الباب واتجهت والدتها نحوه... وكانت صافى وبيرى هما اللتان قدمتا على الباب، وكم كانت سعادة الأم لوجود أصدقاء من الممكن أن يغيروا من مزاج مى المعتل إلى الأفضل.. واستقبلتهما بترحاب، وضحكت مى من شدة السعادة والمفاجأة لرؤيتهما وصاحت قائلة...

- ماذا تفعلان هنا؟ أستم تعدون العدة للزفاف؟

ضحكت بيرى وعانقتها قائلة...

- بالضبط.. كيف أعد للزفاف دون أعز صديقاتى، فذهبت واختطفت صافى من بين مخالِب صلاح، كما أننا جننا مع حمزة كى يزعج والدتك وجدتك، وسيكون منزلك هو غرفة العمليات لإتمام هذا الزفاف إذا لم تمانعى!

وهنا صاحت والدة مى...

- بالطبع لا يوجد مانع فإن مى بحاجة للخروج من تلك الحالة النفسية السيئة.

وهنا هزت مى رأسها إيجابا، وقالت...

- نعم.. أنا بالفعل بحاجة إليكم!

ضحكت بيرى وصافى وهما تضعان بعض الأشياء كانت بأيديهما وقالت بيرى..

- لدى الحل الأمثل لتلك الحالة، ولكننى لن أعطيك إياه إلا بعد أن

يتم الزفاف، فهل أنت موافقة؟

قالت مى بثقة..

- نعم... ولكن هل من الممكن ان أسأل عن مراد؟ وهل يمكننى استشارته مقابل أن أستضيفكم الليلة؟
ضحك ثلاثتهم.. ثم قالت ببرى بصدق..

- إنه بالعبادة، ثم سيذهب مع صلاح كى يشتري بعض الأشياء،
وعليك أن تثقى فيما أقول..

ومن ثم جلست ثلاثتهن يخططن ويكتبن ويعملن حتى قاربت الساعة
العاشرة فصرخت صافى فجأة...

- صلاح... وفى لحظة خطفت الرضيع. وودعتهما متجهة نحو
الباب، وحاولت أن تسابق الزمن كى تصل إلى المنزل قبل صلاح.

وعندما انتهت كافة اللمسات السحرية، ومرت عليهم لحظة من
الصمت. نظرت مى نحو ببرى وقالت...

- ما هو المفتاح السرى للسعادة؟

ضحكت ببرى، وقالت بعبث...

- لن تصمدى حتى الزفاف، لذا فالمفتاح السرى للسعادة يا سيدتى
العزيزة، هو مفتاح شقتى بباريس، وسوف أمحك إياه كى تذهبى إلى
هناك وتقضى شهرا أو اثنين حسب رغبتك، ويمكنك أن تصطحبى معك
أيضا والدتك وجدتك، التى وبالمناسبة تبدو أكثر منك شبابا!
اندهشت مى قائلة...

- ولكن من الممكن أن لا أستطيع الحصول على أجازة من العمل..
بالإضافة إلى أننى أتحدث الفرنسية ولكن ليس بطلاقة، ولست متأكدة
من موافقة أمى وجدتى.

وضعت بيىرى يدها على فم مى وهى تقول...
- أولا.. الفرنسىون يتحدثون الإنجليزىة، أما والدتك وجدتك فسوف أقنعهما، واتركى أمر العمل على أنا وصافى.

صمتت مى بعض الوقت ثم قالت..
- لقد اتصل مرة أخرى يا بيىرى، وصددته بنفس الطريقة، وكل ما أخشاه هو أن ييأس ولا يحاول أن يعاود تكرارها مرة أخرى.. فمن يرغب فى أن يتعرض لمثل هذا الموقف السخيف طول الوقت؟
هزت بيىرى رأسها فى هدوء، ثم قالت...

- مى.. سوف يتحدث، وإن لم يتحدث فقد يتواجد بصفة شخصية خلال الزفاف، وبما أنك بحاجة ماسة الآن لمن يركاك ويرعى شئونك، فعليك بقبول العرض فى المرة الثالثة.. فهى تعنى الإصرار والرجوع إلى الحق.. كما تعنى أنه لُقِنَ الدرس الذى أخذه جيدا ولن يعاود تكرار تلك الأفعال مرة أخرى، كما أنك لست بحاجة لتخطيط حياتك طول الوقت بأشياء متوقعة، عليك دائما أن تفاجئى نفسك من وقت لآخر!
عانقتها مى بقوة وقالت...

- أنا أحبك بشدة، وليس عليك الرحيل الليلة، فأنا بالفعل بحاجة إلى التحدث معك فى موضوعات كثيرة.. فهل يمكنك البقاء معى؟
وسنذهب للعمل صباحا معا من هنا.
وافقت بيىرى على الفور، وارتمت بجسدها على السرير وقالت بصوت عال...

- مى... لقد استطعت أن تترجمى كل أفكارى التى كانت مزدحمة فى عقلى منذ قليل.

* * *

على الرغم من انشغال حازم بشدة فى إنهاء كافة الترتيبات لحفل زفاف مراد وبيرى، والذى أصر على أن يقام فى قصر آل سالم.. نظرا لمكانة العروسين لديه، فإنه لم يستطع أن ينسى مواعده مع عمر فى شقتهما بالمعادي، فقد كان عليه أن يتوجه للشقة قبل ساعة.. لذلك لم يندهش عندما وصل ووجد عمر شبه نائم تقريبا... ولكنه أيقظه وبدأ فى الحديث دون أى مقدمات..

- أولا.. أعتذر عن التأخير، ثانيا.. إنك لم تهنئنى أو تشكرنى على تلك الخطة العبقريّة التى تخلصنا فيها من سارا!

ورغم أن عمر أهدى إلى حازم سيارة جديدة تنضم إلى الأسطول الذى يمتلكه، امتنانا وتقديرا منه عما بذل من جهد فى سبيل التخلص من ذلك الكابوس، إلا أن حازم لم يقتنع بذلك.. فقال فى برود...

- لقد منحتك السيارة التى طلبتها بالاسم.. هل تريد شكراً فى الجرائد القومية على براعتك فى التخطيط للقتل! أنا على أتم الاستعداد لذلك إذا كنت أنت تبغى ذلك..

ضحك حازم بصوت عال وهو يقول..

- أنا اخوك، ولا أظن أنك من الممكن أن تقدم على مثل هذه الخطوة، خاصة وأن هناك أم قوية مثل دولت هانم تجمعنا، ولكن يكفينى اعترافك ببراعتي فى التخطيط.. ولا تنس أننى فى الأصل مهندس!

وهنا ضحك الاثنان معا حتى رن جرس الباب.. وكان القادم يوسف الذى وجد الباب مغلقاً من الداخل..

ولما اعتذر حازم عن عدم البقاء معهم لضرورة تواجده فى مكان آخر، لم يبق أمام يوسف أمامه حل بديل سوى عمر، الذى لم يكن فى مزاج يسمح له بالحب والغرام، لذلك فقد نكز يوسف فى كتفه قائلاً...

- بسرعة أيها العاشق الممل، ليس لدى من الوقت ما أضيعه في
قصص الحب والغرام، ما هو الأمر العاجل الذي جئت بي إلى هنا من
أجله؟

لم يكن أسلوب عمر جديدا على يوسف، فهو يعرفه كما يعرف
نفسه، لذلك فقد تناسى تماما ما قال منذ قليل.. ورد في هدوء...

- عمر السبب الوحيد في أنني جئت بك إلى هنا، هو هروب شقيقك
منى منذ قليل، لذلك فأنت في وضع يجبرك على أن تستمع إلى دون
أن تسخر.. أو تسأل أي سؤال..

- عمر.. هل وقعت يوما في الحب، لدرجة أنه أصبح يسبب لك ألما
شديدا في كافة أعضائك؟

ظل عمر صامتا كما هو، فصرخ يوسف...

- لماذا لا تجيب أيها الأبله؟

قال عمر ببطء...

- لقد حذرتني منذ قليل أن لا أقول أي كلمة!

أمسك يوسف برقبة عمر قائلا...

- بل حذرتك من السخرية مما أقول، ومن توجيه مزيد من الأسئلة

الغيبية.. لذا هل لديك إجابة عن سؤالى؟

هز عمر رأسه وقد كتم ضحكات كادت أن تفلت من فمه...

- نعم.. بخصوص الحب والألم الداخلي، يمكن أن يحدث ذلك مع

البعض!

باغته يوسف...

- وهل شعرت به من قبل؟

تغير لون وجه عمر بعض الشيء، مما يدل على أن السؤال كان مفاجئاً.. ولكنه تماسك قائلاً...

- ألم تأت إلى هنا باحثاً عن إجابات تخصك؟ لماذا تقمىنى فى هذا البحث الطبى؟

صمت الاثنان صمتاً طويلاً، فذهب عمر للبار وتناول كأساً وجرعه دفعة واحدة وقال بحدة...

- أنت تعيش فى هذه الدنيا وحدك، وتريد أن تتعذب بشىء لن تتمكن من احتمالها، لذا فاستمع إلى جيداً لما سأقول.. إذا لم يأت إليك الحب فلا تذهب أنت إليه، لأنك إذا خسرتة سوف تخسر معه كل شىء، وستكون روحك هى أول ما تخسر (سوف تشيب روحك) هل تعلم معنى ذلك؟ أن تشعر وكأنك إنسان فارغ من المشاعر والنبضات، مجرد من الإحساس. حواء يتردد فيه الصوت والصدى، وكأنك آله ميكانيكية تستجيب لردود الأفعال ليس إلا.

لم يغيب التغير الذى طرأ على عمر ولهجته عن يوسف.. فقد كان يعرفه جيداً، ويعرف متى يشعر بالضيق ومتى يتظاهر به... لذا فقد تحدث فى حذر قائلاً..

- عمر... أنا أكثر قرباً من حازم، ولكن ما تحدثت عنه منذ قليل يبنى بأنك مررت بتجربة حب عنيفة وفاشلة!
هز عمر رأسه قائلاً...

- يمكنك أن تقول ذلك، ولكن إذا كنت تحب مى هذه بحق وتشعر أنك بالفعل لن تكتمل إلا معها، فعليك بها مهما كلفك الأمر، وأحذر بك بشدة من أن يتم بيعك فى صفقة تجارية تكون أنت الضحية فيها...
تماماً مثل العبيد.

شد يوسف على يديه قائلاً...

- أتمنى أن تحظى بأجمل قصة حب. فأنت بالفعل رائع، ولكنك لا تفضل أن يظهر ذلك للعيان دائماً، ولا أعلم لماذا؟

رد عمر وهو يفتح باب الشقة...

- لأن الناس إذا ما علموا أنك رائع وطيب سوف يستغلونك حتى تتحول إلى ذلك الشخص القاسى الذى يجب أن يتعامل معهم بالأنياب! أغلق عمر الباب، تناول يوسف الهاتف وأخذ يحاول الاتصال بحازم الذى أخبره بحضور مى حفل الزفاف الذى سوف يقام فى منزلهم فى نهاية الأسبوع.

وانتفض جسد يوسف عندما سمع اسمها.. ونهض واقفاً، وأخذ يلقي على حازم نفس الأسئلة التى طرحها على عمر منذ قليل.

* * *

كان حفل الزفاف بسيطاً للغاية وذلك لسببين..

الأول... أن العروسان من عشاق البساطة... وثانياً... مراعاة لشعور صلاح. لذلك كان الحفل فى قصر آل سالم.

كان حازم يريد من خلال الحفل أن يتخلص من آثار موت سارا، التى لم يتخلص منها بعد، كما أنه أراد أن يبرهن لنفسه أنه انتهى تماماً من التفكير فى ببرى.

كانت مروة ضمن الحضور، وبطبيعة الحال حضر معها أحمد زوجها الذى تعمد أن يذهب نحو حازم...

- لقد جئت اليوم فقط كي تتأكد أننى لا أحمل لك أى ضغينة. لذا فأنا أتيت أحبيك بشكل خاص يا حازم!

رفع حازم حاجبيه فى دهشة، وقال بصوت هامس لأحمد..
- أولا.. أنا من يجب أن يرحب بك لأنك فى منزلى ثانيا.. المباراة
بيننا لم تنته بعد.. ثالثا.. أنت بذلك الحضور تعالج نفسك نفسيا، لأنك
تقف الآن فى زفاف من توهمتها يوما ما زوجة لك، إذن أنت تريد أن
تثبت لنفسك شيئا.. وأتمنى أن تكون نجحت فى ذلك.
لم يبد على أحمد التأثر بما قال حازم، بل ضحك بسخرية ورد
هامسا..

- كلنا مرضى يا حازم، ومن منا ليس بمرضى؟ إن النفس لأماراة
بالسوء، ولكنى على يقين من شفائى بشكل تام، والدليل أنى من
المحتمل أن أصبح أبا بعد بضعة أشهر ليس إلا..
فوجئ حازم بما قال، ولم يتمكن من إخفاء المفاجأة..
فهز رأسه وقال بهدوء...

- ربما تكون هذه الجولة لك! لكن الحرب لم تنته بعد..
لفت نادر نظر الحضور، خاصة وقد خسر بعضا من الوزن، ولكنه
لم يزل محتفظا بوسامته ونظرتة الفاحصة، وذهب البعض كى يلقوا عليه
التحية، ولكن حازم جذب به بعيدا عن الجميع، وقال هامسا فى جدية
بالغة...

- لديك خياران لا ثالث لهما... إما أن تكون بارد الأعصاب وتتحمل
أحمد واستفزازه لك حتى النهاية، أو أن ترحل دون أى مشكلات!
دهش نادر قائلا...
- ولماذا يريد أحمد استفزازى؟
قبض حازم على يده..

- مروءة حامل، وأنا واثق أنه سيذيع ذلك الخبر بوكالات الأنباء،
طالما أنه سيتمكن من لفت الأنظار إليه أو سيؤذى شخصا ما!
اهتز نادر بحق من سماع تلك المفاجأة، ولكنه قال بثقة..
- وأنا على استعداد أن أهنتهما بنفسى، وبذلك تمتص سم ذلك
الثعبان الأرقط.

استوقفه حازم لمرة أخيرة...

- هل أنت واثق من أنه يمكنك فعل ذلك؟

صمت نادر لحظة ثم قال بشرود..

- بكل قوة...

جذبه حازم برفق قائلاً...

- نادر.. لا تريد عراقا ومشاجرات هنا اليوم، ما المقصود بكل قوة؟

- اطمنن يا حازم، فالقوة التى أتحدث عنها كامنة فى نفسى، وليس

فى ذراعى، مروءة بالنسبة لى مجرد ماض وانتهى ليس إلا!

أفلته حازم كى ينفذ ما يريد، عندما لاحظ اقتراب مى وصافى فابتسم

لهما وقال بصوت ماكر..

- ما هذا؟ هجوم ثنائى؟ ولكنهما اقتربا أكثر وشرحا له الخطة التى

دارت ما بين ببرى ومى قبل أيام فى منزلها، كما أن مى حصلت على

موافقة مبدئية من صلاح على هذا الاقتراح.

صمت حازم قليلا، وأريد وجهه ثم قال بخبث شديد... قائلاً

- لست موافقاً لسببين.. أولاً، لأن صلاح موافق.. وثانياً، يجب أن

أكون فى هذه الرحلة!

ضحكت صافى بصوت عال، ولكزته فى صدره فقال بصوت هامس..

- أوافق بشرطين.. الأول ان أرقص معك، والثانى.. أن تمنحى يوسف فرصة ثانية، لأن هذه الفرصة ربما لن تتكرر فيما بعد..

نظرت له مى مطولا، وقالت بركة..

- لقد تحدثت إلى يوسف بالفعل منذ قليل، وربما سيرافقنى فى تلك الرحلة، ومن يعلم ما سيحدث غدا يا حازم؟ فقط اترك الأمور للأيام.. وحدها لديها إجابات كل الأسئلة.. لعل وعسى..

تركتهما صافى وزهبت نحو صلاح الذى كان مشغولا مع مراد وبيرى ودولت هانم فى حديث عن تاريخ القصر والطراز المعمارى له، لذلك فقد تركتهم وعادت مرة أخرى نحو مى وحازم.

أما عمر فقد انشغل بشكل كامل مع مروة وأحمد فى الاهتمام ببنود الدمج الذى وثقه منذ أيام فى الشهر العقارى.. كما حدثهما عن دورهما فى الإدارة وما لهما وما عليهما..

ومضى الحفل الذى بدأ على أنه حفل للزفاف، ولكنه ما لبث أن تحول إلى اجتماعات ثنائية فى أحاديث ما بين الحب والعمل، وما إن انفردت بيرى بمراد حتى سألته فى خبث شديد..

- هل كنت تتوقع أن يمر هذا اليوم بتلك الطريقة يا دكتور؟

ظهر شبح ابتسامة ساحرة على وجه مراد وهو يقول..

- أستطيع أن أؤكد أن مهارتى فى الطب النفسى، قد تم اختبارها أكثر من مرة حتى عبرنا بأمان إلى هذا الحفل!

ضحكت بيرى، وسألت بجدية..

- وهل دائما ما تصدق توقعاتك؟

قال مراد وقد اكتسى صوته بالجدية مثلها...

- نعم.. وبلا غرور يا عزيزتي، صلاح سيظل فى ونام مع صافى لسببين، ابتعاد أحمد عنه وهو مصدر السمية بالطبع، والسبب الآخر هو أنه تذوق مرارة الطلاق ولوعة الحب خاصة وأنه يواجهها كل يوم فى العمل... أما أحمد فأنا على يقين تام بأنه سيظل ينسج المكائد بين حازم ومروة حتى يجبر حازم على فض الشراكة، ولكن ما لا يعلمه هو أن حازم من أصحاب النفس الطويل، لذلك سينصب كل اهتمامه فى السيطرة على مروة...

كما أعتقد بقوة أن علاقة مى ويوسف ستنتهى بالزواج هذه المرة.. أما نادر فإنه يمر بحالة عدم اتزان كبرى، جعلته يفقد بعضاً من الوزن كما لاحظ الجميع، كما أنه يخفى حزناً هائلاً خلف تلك الابتسامة الباهتة.. هزت بيرى رأسها تؤمن على تلك الكلمات، وقالت بهدوء..

- هل تعتقد أنه يراوده الشعور بالندم؟

هز مراد رأسه، وقال فى هدوء مماثل..

- سيكون غير بشرى إن لم يراوده الشعور بالندم، فقد خسر حب عمره وزوجته وعمله بين ليلة وضحاها، لذلك فالندم هو الشعور المناسب كى يشعر به، كما أن زواجه من داليا لم يكن ذا نفع بالنسبة له، بل على العكس... لأنه سيظل يتذكر دائماً ما حدث بينه وبين مروة كلما رآها، مما سيولد فيما بعد الشعور بالحنق والضجر، وأخشى ما أخشاه أنها ستكون ضحية طلاق آخر...

ابتسمت بيرى وهى تقول بدلال..

- ونحن؟؟

ولكن مراد علق بنفس الهدوء...

- هناك نتائج لن تتغير مهما تكررت الأحداث!

قالت بييرى، وقد استفزتها كلماته..

- ماذا تقصد؟

أكمل على نفس الوتيرة ولكن بسخرية تامة..

- أقصد أن دولت هانم ستظل تتحكم بمصائر من حولها، وعمر على

نفس عاداته لن يغيرها... بينما أنا أحاول أن أستمر فى حبك إلى ما لا

نهاية...

ولم تتمالك بييرى نفسها من الضحك عند الجملة الأخيرة، وانضم

إليهما الأصدقاء حيث زينت الابتسامات وجوه الجميع...

كان بعضها حقيقياً، والآخر مزيفاً يخفى العديد من الانفعالات

والحقائق داخل النفس التى طالما عجزنا عن سبر أغوارها.. ومعرفة ما

يعتمل داخلها من مشاعر حقيقية..

* * *

رقم الإيداع	٢٠١٤ / ٢٦٣٥
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7945-8

١/٢٠١٣/١٠٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع)